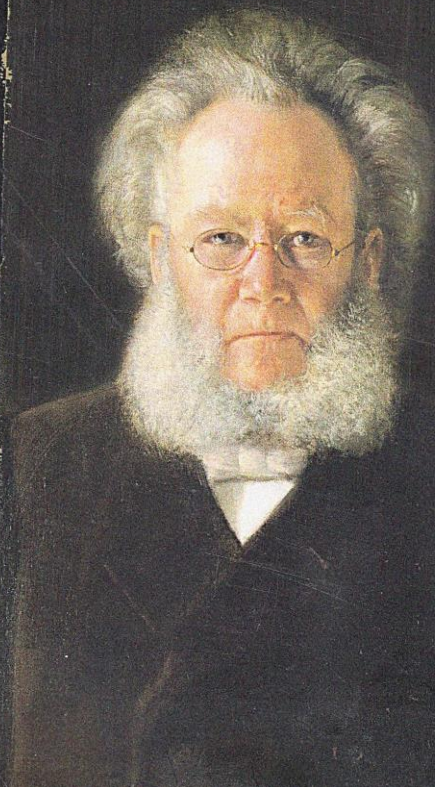


ميراث الترجمة

مختارات
من
إبسن



المجلد الرابع

1609



NORWEGIAN EMBASSY



المركز القومي للترجمة



مختارات من هنريك إبسن

(المجلد الرابع)

المركز القومي للترجمة

إشراف: جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة

المشرف على السلسلة: طلعت الشايب

– العدد: 1609

– مختارات من هنريك إبسن (المجلد الرابع)

– المسرحيات الثلاث: عدو الشعب – عندما نبعث نحن الموتى –

جون جابرييل بوركمان

– مجموعة من المترجمين والمراجعين

– الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة مختارات من هنريك إبسن (المجلد الرابع)

(يعيد المركز القومي للترجمة نشره بالتعاون مع السفارة الملكية النرويجية بالقاهرة)

وذلك بمناسبة مرور مائة عام على رحيل الكاتب المسرحي الكبير

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Galalaya St. , Opera House, El Gezira, Cairo

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 – 27354526 Fax: 27354554

مختارات من هنريك إبسن (المجلد الرابع)

اختيار وترجمة

نخبة من المترجمين والمراجعين



2010

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الفنية

إيسن ، هنريك (١٨٢٨ - ١٩٠٦)

مختارات من هنريك إيسن (المجلد الرابع) / نخبة من المترجمين والمراجعين؛

القاهرة : المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٠

٥٧٢ ص ، ٢٠ سم

١ - الأدب النرويجي - مجموعات

٨٣٩،٨٣٠٨

(أ) العنوان

رقم الإيداع : ٢٠١٠ / ١٤٥٣٣

الترقيم الدولي : 9 - 182 - 704 - 977 - 978 - I.S.B.N

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

الفهرس

7 « و الشعب
217 «دما نبعث نحن الموتى
393 «ون جابرييل بوركمان

عدوّ الشعب

ترجمة: إبراهيم رمزي

مراجعة: خليل مطران

محمد زكي المهندس

زكي ظلمات

أشخاص الرواية

- الدكتور توماس ستوكمان Thomas Stockmann :مفتش صحة حمامات البلدية.
 - كاترين ستوكمان Katrine Stockmann : زوجته.
 - بتر Petra : ابنتهما، معلمة فى مدرسة.
 - إيليف Ejlif : ابن لهما، عمره ١٣ سنة.
 - مورتن Morten : ابن لهما، عمره ١٠ سنوات.
 - بيتر ستوكمان Peter Stockmann : أخ أكبر للدكتور،
عمدة المدينة ورئيس لجنة الحمامات إلخ.
 - مورتن كيل Morten Kill : صاحب مديعة.
 - هوفستاد Hovstad : رئيس تحرير «جريدة رسول الشعب».
 - بيلنج Billing : محرر بالجريدة المذكورة.
 - هورستر Horster : قبطان.
 - أسلاكسن Aslaksen : صاحب مطبعة.
- رجال مختلفو الأحوال والأعمال، وبعض نساء، وفرقة من أطفال المدارس، وجمهور يحضر إلى اجتماع عام.

تحدث الرواية فى إحدى بلدان الساحل

من جنوبى بلاد النرويج

نقلت هذه الرواية عن ترجمة إنجليزية للأصل النرويجى قام بها فاركوهارسون شارب Farquharson Sharp واستأنس المترجم عند نقلها إلى العربية بترجمة أخرى تولتها السيدة ماركس أفلنج.

عليه مولا

الفصل الأول

المنظر:

غرفة جلوس الدكتور ستوكمان Stockmann. والوقت مساء . الغرفة بسيطة ولكنها مفروشة فراشاً نظيفاً. ويوجد في الجدار الأيمن بابان، الأبعد منهما يؤدي إلى البهو والأقرب إلى غرفة المطالعة التي للدكتور . وفي الجدار الأيسر أمام الباب الذي يؤدي إلى البهو باب يؤدي إلى الغرف التي لبقية أفراد العيلة، وفي منتصف هذا الجدار يوجد موقد التدفئة، وبعده مقعد (كثبة) معلق من فوقه مرآة، وأمام المقعد منضد بيضى الشكل، وعلى المنضد مصباح له مظلة، وفي ظهر الغرفة باب مفتوح يؤدي إلى غرفة المائدة. ويُرى بيلنج Billing جالسا إلى المائدة وقد وُضِعَ عليها مصباح مشعل، ومعه قطيلة (فوطية) محشورة في طوقه تحت ذقنه، والسيدة ستوكمان امرأة الدكتور واقفة بجوار المائدة تقدم إليه صحنا كبيرا مُلئى لحما (روزيف). أما بقية الكراسى التي حول المائدة فهي خالية، وتلوح المائدة غير منظمة، يدل ظاهرها على أن بعضهم كان جالسا إليها وأكل وانتهى وتركها هكذا...

كاترين : ها أنت ذا ترى أنك إذا حضرت متأخرًا عن الموعد ساعة لم يكن بد من أن ترضى بلحم بارد.

بيلاج : (وهو يأكل) إنه طيب فوق العادة. شكرًا، طيب جدا.

كاترين : زوجي يحتم أن يتناول طعامه في أوقات محدودة وأنت تعرف...

بيلاج : لا يؤثر فيّ هذا شيئًا، بل الواقع أنى أكاد أعتقد أنى أستلذ الأكل وأنبسط إذا جلست إلى المائدة وأكلته كله وحدي لا يزعجنى أحد.

كاترين : حسن، ما دمت تستطيعه... (تلتفت صوب باب البهو تتسمع) أظن أن السيد هوفستاد Hovstad قد حضر هو أيضًا.

بيلاج : يغلب ذلك.

(يدخل بيتر ستوكمان وهو لابس معطفًا وقبعة رسمية عليها شريط مذهب ويحمل عصا*) .

بيتر : مساء الخير يا كاترين.

كاترين : (آتية إلى غرفة الاستقبال) أه، مساء الخير. أهو أنت؟ ما أكثر لطفك لتفضلك بزيارتنا.

(*) ورد في ترجمة السيدة ماركس أفلاج أن على هذه القبعة شريطًا مذهبًا.

بيتر : اتفق أنى كنت مارا ولذا... (ينظر إلى غرفة المائدة)
أرى عندك ضيفاً.

كاترين : (بشئ من الارتباك) أوه، لا، إنه حضر مصادفة.
(بسرعة) ألا تدخل وتتناول شيئاً أنت أيضاً.

بيتر : أنا؟ كلا، شكراً. أعوذ بالله، لحم سخن بالليل؟ لا ؛ إن
معدتى لا تقر هذا.

كاترين : أوه، ولو مرة واحدة على سبيل...

بيتر : لا . لا، يا سيدتى العزيزة إنى ملازم فنجان الشاى
وقطعة الخبز والزبدة. إنها على مضى الوقت أحسن
وأفضل ونوعاً ما أقرب إلى الاقتصاد أيضاً.

كاترين : (بتبسم) إياك أن تظن لهذا أنى أنا وتوماس على
شئ من الإسراف.

بيتر : أنتِ؟ - لا يا عزيزتى، محال أن أظنك كذلك. (يشير
إلى غرفة مطالعة الدكتور) أهو هنا؟

كاترين : لا. إنه خرج يتمشى قليلا بعد العشاء، هو
والأولاد.

بيتر : لا أرى أن هذا المشى بعد العشاء فى محله.
(يتسمع) أظن أنه هو الآتى.

كاترين : لا، لا أظنه هو. (تسمع دقة على الباب) تفضل.
(يدخل هوفستاد من باب البهو) أوه، هو أنت يا سيد
هوفستاد؟! .

هوفستاد : نعم، رجائي أن تعذريني؛ ولكنى شغلت فى المطبعة.
سعدت مساء يا حضرة العمدة.

بيتر : (ينحنى بشيء من الجفاف) سعدت مساء. إنك آت فى
مهمة بلا شك؟

هوفستاد : بعض الشيء، بشأن مقالة من أجل جريدتى.

بيتر : هكذا قدرت. بلغنى أن أخى أصبح من أسيل الناس
بدأ فى مراسلة «رسول الشعب».

هوفستاد : أجل. إنه من أصلح من يستطيعون التحرير فى
«رسول الشعب» يوم يتناول مسألة من مسائلنا فى
البلدية.

كاترين : (إلى هوفستاد) ولكن ألا... (تشير إلى غرفة المائدة).

بيتر : صحيح، صحيح، لا ألومه بتاتا، وهو كاتب، أن يوجه
أقواله إلى الجهة التى يجد منها عطا وإقبالا، فضلا
عن هذا فإنى شخصيا لا أحمل فى قلبى موجدة على
جريدتك يا سيد هوفستاد.

هوفستاد : أنا على ما ترى.

بيتر : إذا ذكر الشيء بالشيء فإنى أقرر أن فى البلد روح تسامح كبير، وروح قومية بلدية تسر خاطر. كل هذا ناشئ عن وجود مصلحة مشتركة بيننا، مصلحة عالية فى نظر كل مواطن مخلص سليم العقل.

هوفستاد : الحمامات؟ نعم.

بيتر : بعينها، حماماتنا الجميلة البديعة. تنبه إلى كلامى يا سيد هوفستاد، ستكون الحمامات محور حياتنا البلدية، لا أشك فى ذلك بتاتا.

كاترين : هذا بعينه ما يقوله توماس.

بيتر : انظر الآن، كيف أن بلدنا كبرت واتسعت أعمالها فى السنة الأخيرة أو السنتين إلى حد يدعو إلى العجب. تدفقت الأموال فى البلدة، ودب فيها شيء من روح الحياة والعمل، وأخذت قيمة المنازل والأراضى ترتفع يوما عن يوم.

هوفستاد : وأخذت البطالة تقل.

بيتر : نعم، هذا شيء آخر. وقد خف عن الناس عبء ضريبة الفقراء فارتاح أصحاب الأملاك. وفى

اعتقادی أن العباء سيخف أكثر إذا جاء موسم الصيف
هذا العام كما نرجو، وقصدنا كثير من الزوار وكثير
من المرضى الذين يشهرون صيت الحمامات.

هوفستاد : لعله ينتظر أن يكون الحال على ما نرجو.

بيتر : الحالة تبشر بذلك، والبريد يأتينا كل يوم بعيد من
الرسائل يسأل فيها أصحابها عن شقق خالية وغرف
وغير ذلك.

هوفستاد : إذن فسيكون نشر مقال الدكتور الآن في وقته.

بيتر : هل كتب شيئاً آخر في هذه الأيام؟

هوفستاد : هي مقالة كتبها في الشتاء يوصي الناس فيها
بالانتفاع بالحمامات، ويسهب في بيان المزايا
الصحية التي تتعم بها هذه البلدة، ولكنني وقفت نشرها
مؤقتاً.

بيتر : آه، لعل ذلك لمانع بسيط في شأنها!

هوفستاد : لا، لا، ولكنني استصوبت أن أبقئها حتى يأتي الربيع،
لأن الناس في ذلك الوقت يفكرون في الجهات التي
يقصدون إليها في الصيف.

بيتر : في محله، لقد كان رأيك صواباً يا سيد هوفستاد.

كاترين : فعلا، إن توماس لا يكل له جهد إذا هو اشتغل بأمر خاص بالحمامات.

بيتر : تذكرى أنه مفتش صحة هذه الحمامات.

هوفستاد : نعم، وأكثر من ذلك أنها لم تتشأ إلا بفضلها.

بيتر : بفضلها هو! نعم يبلغنى من آن لأن أن فى الناس من يرى هذا الرأى؛ ولكن يجب على فى الوقت نفسه أن أقول إننى أتصور أن لى فى الأمر يدا ولو قصيرة.

كاترين : فعلا. هذا ما يقوله توماس دائما.

هوفستاد : من ينكر عليك هذا يا سيد ستوكمان؟ أنت نفذت المشروع وجعلت منه مصلحة قائمة، نحن جميعا نعرف ذلك، ما عنيت إلا أن فكرة المشروع إنما تأتت من أخيك الدكتور أولا.

بيتر : الفكرة! نعم الفكرة. إن أخى كان كثير الفكر فى ذلك الوقت لسوء الحظ، ولكن عندما يراد التنفيذ الفعلى يجب عليك أن تقصد إلى شخص من طراز آخر يا سيد هوفستاد، وقد كان يدور فى خلدى أن فى هذا البيت على الأقل...

- كاترين : رويدك يا عزيزى بيتر...
- هوفستاد : كيف تظن أن...
- كاترين : ألا تدخل وتتناول شيئاً من الطعام يا سيد هوفستاد؟
مؤكد أن زوجى سيحضر توّأ.
- هوفستاد : شكرا لا بأس بقطعة صغيرة. (يذهب داخلا إلى
غرفة الطعام).
- بيتر : (يخفض صوته قليلا) إنه ليدهشنى أن أولاد الفلاحين
هؤلاء لا تفارقهم قلة الذوق بناتا.
- كاترين : هوّن عليك، ليس هذا مما يستحق الاهتمام له. ألا
يمكنك أنت وتوماس أن تتقاسما فضل العمل
كأخوين؟
- بيتر : كنت أرى ذلك، ولكن يظهر أن فى الناس من لا
يقنعون بحصة واحدة.
- كاترين : ما هذا الكلام الفارغ؟ أنت وتوماس على أتم وفاق.
(تتسمع) هاهو ذا أت على ما أظن. (تخرج وتفتح
الباب المؤدى إلى البهو).
- الدكتور : (يضحك من الخارج ويتكلم بصوت عال) هو!
كاترين جئتك بضيف آخر، أما فى ذلك ما يسر؟

تفضل يا قبطان هورستر، علق معطفك على هذا المشجب. آه، إنك لا تلبس معطفا. تأملى يا كاترين، لقيته مصادفة فى الطريق ولم أستطع حملته على المجىء إلا بالجهد الجهد. (يدخل القبطان هورستر ويحى السيدة ستوكمان، ويتبعه الدكتور ستوكمان بجانب الباب) ادخلوا يا أولاد، لقد هضموا ما أكلوا الآن وعادوا إليك جياعا. تفضل يا سيد هورستر، لا بد أن تأكل قطعة من اللحم، (يدفع هورستر إلى غرفة الطعام).

كاترين : (يدخل إيليف ومورتن بعدهما) وى! توماس، ألا ترى...

الدكتور : (ملفتاً فى مدخل الباب) أوه، هذا أنت يا بيتر. (ويذهب ويسلم عليه باليد) حقا إن هذا شيء جميل.

بيتر : بكل أسف لا بد لى أن أذهب على الفور.

الدكتور : كلام فارغ، سيأتى الآن شراب التودى Toddy .
لعلك لم تتسنى التودى يا كاترين.

كاترين : كيف أنساه؟ الماء يغلى الآن. (تذهب داخله غرفة الطعام).

بيتر : شراب التودى أيضا؟

الدكتور : أجل، اجلس وسنشره مؤتسين.

بيتر : شكرا لك. لا، لا أعشى مجالس الشراب فى المساء.

الدكتور : ولكن ليس هذا مجلس شراب.

بيتر : يخيل إلى أنه كذلك. (ينظر صوب غرفة الطعام) عجبًا

كيف يلتهمون كل هذا المقدار العظيم من الطعام؟

الدكتور : (يمسح كفيه إحداها بالأخرى) نعم، أليس مما يسر

النفس أن نرى الشبان وهم يأكلون؟ إنهم جياع دائما،

وهذا ما يجب لهم، لا بد أن يأكلوا. إنهم يحتاجون

إلى القوة، هم الذين عليهم أن يحركوا ما يختمر الآن

من قوى المستقبل يا بيتر.

بيتر : أسمح لى أن أسألك ماذا هم واجدون هنا ليحركوه

كما تقول؟

الدكتور : آه، وجّه سؤالك هذا إلى الشبان أنفسهم يوم يأتى

وقتهم، نحن لا نستطيع أن نرى هذه الأوقات بالطبع،

بغلان عتيقان مثلنا...

بيتر : مهلا، مهلا. حقا إن هذا التعبير مستغرب.

الدكتور : أوه، لا يصح أن نفهم كلمتى بمعناها الحرفى يا بيتر.

إنى فى غاية الارتياح والرضا، وفى اعتقادى أنه من
الحظ العظيم النادر أن يكون الإنسان منا فى وسط
هذه الحياة النابتة النامية العفوية. أجل إنه وقت باهر،
تستحب فيه الحياة، ويخيل إلى كأن عالما جديدا
برمته يخلق من حولك.

بيتر : أترى ذلك فعلا؟

الدكتور : أه، بالطبع إنك لا تتبينه بالوضوح الذى أتبينه به، لقد
قضيت عمرك فى هذه الحياة فاعتدتها، وأصبح
إحساسك بها فاترا. أما أنا، وقد دفنت كل هذه السنين
فى زاويتي الصغيرة بأعلى أشمال حيث لا أكاد
أرى غريبا قد يأتى إلى بأفكار جديدة، فالتأثير
الحادث الآن لى من رؤيتى ما آلت إليه هذه البلدة هو
عين التأثير الذى كان يحدث لى لو أنى ألقيت فجأة
فى صميم مدينة مزدحمة.

بيتر : أوه! مدينة!

الدكتور : أعرف، أعرف أن أحوال بلدتنا تجرى فى نطاق
ضيق بالقياس إلى غيرها، ولكن فيها حياة وفيها
رجاء، وفيها من الأمور الجمّة ما يستحق أن تعمل

له وتجاهد فى سبيله، وهذا هو الشيء المهم. (ينادى)

كاترين! ألم يحضر ساعى البريد؟

كاترين : (من غرفة الطعام) كلا.

الدكتور : ثم كون الإنسان عائشاً هنا يا بيتر عيشة راحة، هذا

شئ يعرف قيمته من كان على حافة الموت جوعاً

كما كنا.

بيتر : نعم مؤكداً...

الدكتور : فى الواقع أننا كنا فى الشمال فى غالب الأحيان

نقاسى شظف العيش، أما اليوم فالواحد يعيش كأنه

لورد. اليوم مثلاً فى الغداء كان عندنا روزبيف وفى

العشاء أيضاً. ألا تأتى فنتناول قطعة صغيرة؟ أو

تعال أريكه على كل حال تعال هنا.

بيتر : لا. لا، ولا بملك الدنيا.

الدكتور : طيب. طيب، ولكن تعال هنا. أترى أننا اشترينا

غطاء للمائدة؟

بيتر : لاحظت ذلك، نعم.

الدكتور : كذلك اقتنينا مظلة للمصباح، أتراها؟ كل هذا مما

تقتصده كاترين. إن هذه الأشياء تجعل الغرفة ممتعة،

ألا ترى ذلك؟ قف هنا قليلا فقط. لا. لا، ليس هناك،
هنا بالضبط، نعم. انظر الآن، عندما تقع الأنوار
عليها كلها، أعتقد تمام الاعتقاد أنها جميلة جدا. أليس
كذلك؟

بيتر : أوه، إذا كنت تستطيع اقتناء مثل هذه الطرف.

الدكتور : نعم أستطيعه الآن، تقول لى كاترين إن مكسبى يكاد
يكون قدر ما ننفق تماما.

بيتر : يكاد؟ نعم!

الدكتور : ولكن الرجل المشتغل بالمسائل العلمية يجب أن تكون
معيشته على نمط ممتاز نوعا ما، إنى متأكد أن
الموظف المدنى العادى ينفق فى العام أكثر مما أنفق
أنا.

بيتر : الواقع أن الموظف المدنى، الرجل الذى يكون فى
مركز عال، يسمح حسن مرتبه فيه...

الدكتور : دع ذلك. لنقل أى تاجر عادى مثله ينفق مرتين أو
ثلاثا أكثر منى.

بيتر : هذا أمر طبيعى يتبع تفاوت الناس فى المراكز.

الدكتور : على كل حال أوكد لك أنني لا أنفق نقودا فى غير فائدة صحيحة، بيد أنه لا يطاوعنى قلبى فأحرم نفسى لذتها بإضافة إخوانى، أجدنى كما تدرى شديد الحاجة إلى مثل هذا. لقد عشت مدة طويلة محبوسًا عن كل شىء، حتى لقد أصبح من ضرورات الحياة عندى أن أختلط بالشباب الناهض، بالرجال المتحمسين ذوى المطامع، ذوى العقول الحرة النشيطة. وهذا ينطبق تمام الانطباق على هؤلاء الأشخاص الذين يستمتعون الآن بطعامهم. ليتك تعرف هوفستاد أكثر مما...

بيتر : على فكرة، أخبرنى الآن هوفستاد أنه شارع فى نشر مقالة لك أخرى.

الدكتور : مقالة لى؟

بيتر : نعم، عن الحمامات، مقالة كتبتها فى الشتاء.

الدكتور : أوه، تلك؟ لا، لا أريد أن تنشر هذه المقالة فى هذا الوقت بالذات.

بيتر : لماذا؟ يخيل إلى أن هذا الوقت أليق الأوقات لنشرها.

الدكتور : نعم، قد يكون ذلك فى الظروف العادية. (يخطو قاطعًا الغرفة).

بيتر : (يتبعه بنظراته) أهنك شىء غير عادى فى الظروف الحاضرة؟

الدكتور : (يقف ساكناً) أقول لك الحق يا أهى، لست أستطيع أن أخبرك الآن. وعلى كل حال، فى هذه الليلة، قد يكون هنك شىء كثير غير عادى يحيط بالظروف الحاضرة، وقد لا يكون هنك شىء من ذلك بتاتا. وقد يحتمل جد الاحتمال أن يكون الأمر وهماً من أوهامى.

بيتر : كلامك كله مبهم. أهنك تدبيرات جارية تعملون على إخفائها عنى؟ كنت أظن أنى بصفة كونى رئيساً للجنة الحمامات.

الدكتور : وأنا كنت أظن أنى... أوه، دع عنك ذلك. لا يحملنا الأمر على أن يهب بعضنا فى وجه بعض.

بيتر : معاذ الله، ليس من عادتى أن أهب فى وجه الناس كما تقول، ولكن لى الحق أن أطالب وأشدد عليكم باتباع الطرق الرسمية، وأن تجرى الأمور فى مجاريها الصحيحة، حتى يتناولها الرؤساء المنوطون بالعمل رسمياً ويفصلوا فيها. إنى لا أسمح لأحد أن يمر من وراء ظهورنا بحركة من حركات المداورة.

الدكتور : هل علمت أنى حاولت فى يوم من الأيام أن أمشى وراء ظهوركم؟

بيتر : مهما يكن من الأمر فإنك ميال بطبيعتك إلى السير على هواك، ولا يسمح بهذا فى مجتمع صحيح النظام. يجب على الفرد بلا شك أن يدعن للمجتمع ويخضع. وبعبارة أدق، يجب عليه أن يدعن لولادة الأمر الذين فى يدهم مصلحة المجتمع.

الدكتور : على الراجح. ولكن ما دخل كل هذا فى شأنى؟

بيتر : هذا بعينه ما يخيل إلى أنك لا تريد أن تفهمه بناتا يا عزيزى توماس. ولكن. تنبه لقولى. ستأسف يوما من الأيام على سلوكك هذا، يوما قريبًا أو بعيدًا. لقد أنذرتك. سلام عليك.

الدكتور : هل زائلك الصواب؟ ماذا أصابك؟ لقد شطت بك الظنون.

بيتر : ليست هذه عادتى، فاعذرنى إذا أنا... (ينادى موجهًا صوته إلى غرفة الطعام) ليلة سعيدة يا كاترين ليلة سعيدة يا سادة. (يجرح).

كاترين : (تأتى من غرفة الطعام) هل ذهب؟

- الدكتور : نعم، ذهب مغضبًا.
- كاترين : ولكن يا عزيزى توماس ماذا صنعت به ثانية؟
- الدكتور : لا شىء البتة. وعلى كل حال، إنه لا يستطيع أن يجبرنى على تقديم تقريرى إليه قبل الموعد اللائق.
- كاترين : أى شىء لديك تقدم عنه تقريراً؟
- الدكتور : (يهمهم) هه! دعى لى هذا يا كاترين. غريب أن ساعى البريد لم يحضر.
- (ينهض هوفستاد ويبلنج وهورستر عن المائدة ويحضرون إلى غرفة الجلوس. إيليف ومورتن يحضران بعدهما)
- بيلنج : (يتمطى) آه. إن الإنسان ليشعر أن قواه قد تجددت بعد مثل هذه الأكلة.
- هوفستاد : إذن لم يكن العمدة لطيف المزاج هذه الليلة!
- الدكتور : العيب فى معدته، إنه سيئ الهضم جدا.
- هوفستاد : يخيل إلى أنه لم يستطع هضمنا نحن الاثنتين من محررى رسول الشعب.
- كاترين : لقد استطعت أن تخلص نفسك منه بلطف.
- هوفستاد : نعم. نعم، ولكنها لا تخرج عن هدنة بسيطة.

- بيلاج** : هذا هو الواقع، فى هذه الكلمة كل شىء.
- الدكتور** : تذكروا دائماً أن بيتر رجل وحيد، مسكين، ليس لديه من مسرات الحياة العائلية شىء. لا شىء عنده إلا الشغل على الدوام، كما أن ذلك الغول الجهنمى، الشاى الذى يملأ به بطنه... ها. هاتوا يا أولاد كراسى هنا. أما يأتينا شراب التودى يا كاترين؟
- كاترين** : (ذاهبة إلى غرفة الطعام) سأحضره على الفور.
- الدكتور** : اجلس هنا على المقعد بجانبى يا قبطان هورستر، نحن لا نراك إلا نادراً. تفضلوا بالجلوس يا إخوانى، (يجلسون إلى المنضد وتحضر كاترين ستوكمان صينية عليها مشعل كحول وأكواب وزجاجات... إلخ)
- كاترين** : إليكم هذا عرق وهذا روم وهذا هو الكونياك، وليخدم كل نفسه.
- الدكتور** : (يتناول كوبه) سنفعل. (كلهم يأخذون فى المزج لصنع شراب التودى) وعلينا بالسيجار. إيليف! أنت تعرف مكان الصندوق، وأنت يا مورتن هات غليونى. (ينصرف الولدان ذاهبين إلى الغرفة اليمنى) إنى أظن أن إيليف يضع فى جيبه شيئاً من السيجار من أن لأن!

ولكنى أتغاضى عن ذلك. (ينادى) وقبعة التدخين
أيضا يا مورتن. كاترين، خبريه أين تركتها. آه، إنه
أحضرها. (يحضر الأولاد الأشياء المطلوبة) الآن أيها
الإخوان إنى ملازم غليونى كما تعلمون، وقد شهد
هذا الغليون معى أياما من أسوأ أيام الجو فوق، فى
الشمال. (يقرع كأسه بكنوس إخوانه) صحتكم جميعاً.
جميل أن يجلس الإنسان هنا مرتاحاً دقيماً.

كاترين : (وهى جالسة تشغل بالإبرة) أنت مبحر قريباً أيها
السيد القبطان؟

هورستر : أرجح أننا سنقلع فى الأسبوع القادم.

كاترين : أظن أنكم قاصدون أمريكا.

هورستر : أجل هذى هى الخطة.

كاترين : إذن فلن تشترك فى الانتخاب المقبل.

هورستر : أمنتظر أن يحدث انتخاب؟

هيلنج : ألا تعرف ذلك؟

هورستر : لا. إنى لا أشغل نفسى بهذه المسائل.

هيلنج : ولكن ألا تهتم بالمصالح العامة؟

- هورستر** : كلا. إني لا أعرف شيئاً من شئون السياسة.
- بينج** : ومع ذلك، يجب على كل إنسان أن يعطى صوته.
- هورستر** : حتى وإن لم يكن الإنسان يعرف ما يجرى في البلد؟
- بينج** : لا يعرف شيئاً! ماذا تعنى بذلك؟ إن المجتمع أشبه
شئء بالسفينة، واجب على كل من فيها أن يكون
على استعداد لتولى قيادتها.
- هورستر** : قد يكون هذا صحيحاً على البرّ، أما على ظهر
السفينة فهذا لا ينفع.
- هوفستاد** : يدهشنى أن غالب الملاحين لا يهتمون بشئء
مما يجرى على اليابسة.
- بينج** : غريب جداً.
- الدكتور** : إن الملاحين كالطيور الرحالة؛ جميع البقاع موطن
لها على السواء، وفى هذا سبب آخر فى أننا أشد
منهم حرصاً على مصلحة بلادنا. هل لديكم فى عدد
الغد من رسول الشعب شئء ذو أهمية خاصة؟
- هوفستاد** : لا شئء من مسائل البلدية، ولكن كان فى نيتى أن
أنشر مقالتك بعد غد.
- الدكتور** : مقالتي! إلى حيث، اسمع. أهملها وقتاً ما.

هوفستاد : حقا؟ كان عندنا فراغ لها. ولقد زعمت أن هذا هو الوقت الملائم لنشرها.

الدكتور : نعم. نعم، قد يكون رأيك في محله، ولكن يجب تأجيلها الآن على كل حال؛ وسأوضح لك السبب فيما بعد.

(تأتى الأنسة بترا Petra من البهو لابسة قبعة ومعطفا ومعها ربطة كراسات مدرسية تحت إبطها).

بترا : سعد مساؤكم.

الدكتور : ومساؤك يا بترا، هلمى. (تحيات وتسليمات وبترا تخلع أشياءها وتضعها على أحد الكراسى بجوار الباب).

بترا : أنتم جالسون هنا جميعاً تستمتعون بعضكم ببعض وأنا هناك أفاسى الأمرين.

الدكتور : إذن فتعالى وخذى نصيبك أنت أيضاً.

هيلنج : أجهز لك كأساً؟

بترا : (آتية إلى المائدة) شكراً! ولكنى أفضل أن أصنع

شرايى بيدي. إنك تجعل المزيج شديداً جداً، ولكنى

نسيت، يا أبى، معى خطاب لك. (تذهب إلى

الكراسى التى وضعت عليها أشياءها)

الدكتور : خطاب ؟ ممن؟

بترا : (باحثة فى جيب معطفها) ناوئى اياه ساعى البريد
عندما كنت خارجة من المنزل.

الدكتور : (ناهضاً وذاهباً إليها) وأنت تعطينى اباه الآن فقط.

بترا : لم يكن عندى فى الحقيقة وقت للرجوع، ها هو ذا.

الدكتور : (يتناول الخطاب) دعينى أرى! دعينى أرى يا بنية.
(ينظر إلى العنوان) نعم. هذا هو.

كاترين : أهو الخطاب الذى كنت تنتظره بفروغ صبر يا توماس؟

الدكتور : نعم هو. سأذهب إلى غرفتى و... أين أجد المصباح
يا كاترين؟... أليس فى غرفتى نور... مرة أخرى؟

كاترين : بلى. إن مصباحك مشعل من قبل على المكتب.

الدكتور : حسن، حسن. معذرة لحظة واحدة، (يدخل غرفة
المطالعة).

بترا : ما تخمينك أن يكون هذا الخطاب يا أمى؟

كاترين : لا أدرى. لم يزل أبوك منذ يوم أو يومين يسألنى هل
أتى ساعى البريد؟ أو لا!

بترا : لعله بشأن مريض من أهل الريف.

بيلاج : مسكين أبى. إنه سينهك نفسه بالعمل على عجل.
(تمزج كأسًا لنفسها) ها هو ذا! سيكون طعامه
لذيذًا.

هوفستاد : هل عدت إلى التدريس اليوم فى المدرسة الليلية؟
بترا : (تحتسى الكأس) ساعتين.

بيلاج : وأربع ساعات فى المدرسة بالنهار.
بترا : بل خمس ساعات.

كاترين : ولا يزال معك كراسات للتصحيح على ما أرى.
بترا : نعم. كومة كبيرة.

هورستر : يخيل إلى أنك أنتِ أيضًا مثقلة بالأعمال!

بترا : أجل، ولكنه مفيد. إن الإنسان يصبح من بعد ذلك
متعبًا تعبًا لذيذًا.

بيلاج : وهل تحبين هذا؟

بترا : أجل، إنه يجعل نوم الإنسان هنيئًا.

مورتن : لابد أنك اقترفت خطايا كثيرة يا بترا؟

بترا : أنا؟

مورتن : نعم، لأنك تشتغلين كل هذا المقدار. يقول أستاذنا
السيد رولاند إن الشغل عقاب لنا على خطايانا.

- إيليف : ويحك، أنصدق مثل هذا الكلام؟
- كاترين : إيليف، أقصر، أقصر.
- بيلاج : (ضاحكا) هذا شيء عظيم!
- هوفستاد : ألا تريد أن تشتغل مثل هذا الشغل الشاق يا مورتن؟
- مورتن : كلا، لا أريد.
- هوفستاد : إذن فماذا تشتهي أن تكون؟
- مورتن : أشتهي أن أكون من الفيكونج أمراء البحار.
- إيليف : إذن فلا بد لك أن تكون بلا دين.
- مورتن : من السهل أن أصبح بلا دين. ألا يمكننى ذلك؟
- بيلاج : إني على اتفاق معك فى الرأى يا مورتن هذا إحساسى بعينه.
- كاترين : (تكلمه بالإشارة) إنى واثقة أن هذا غير صحيح، يا مستر بيلاج.
- بيلاج : بلى، وأقسم إنه صحيح، وإنى فخور بذلك. صدقينى يا سيده ستوكرمان إن العالم سيصبح بلا دين فى وقت قريب.
- مورتن : وعندئذ يتاح له أن يفعل ما يريد.
- بيلاج : أنت ترى طبعًا. يا مورتن أن...

كاترين : لا بد من ذهابكما الآن إلى غرفتكما يا ولديّ. لابد أن لديكما دروسا في الغد واجبة الحفظ الليلة.

إيليف : أشتهى أن أبقى هنا قليلاً...

كاترين : كلا. كلا، اذهب أنت وهو كلاكما.

(الولدان يحيان «سعيدة» ويذهبان داخلين إلى

الغرفة اليسرى)

هوفستاد : أتعتقدين فعلاً أن هذا الكلام يضر الأولاد في شيء؟

كاترين : لا أدري، ولكنى لا أستحب ذلك.

بترا : ولكن يا أمي، إنى أعتقد أنك لست على صواب فيما ترين.

كاترين : قد يكون الأمر كذلك ولكنى لا أقره، لاسيما في بيتنا.

بترا : إن هناك أكاذيب كثيرة في البيت أو المدرسة على السواء، ففي البيت يحتم علينا ألا نتكلم، وفي المدرسة يطلب إلينا أن نقف ونقول للتلاميذ أكاذيب صريحة.

هورستر : تقولين أكاذيب؟

بترا : نعم. ألا تدريين أن علينا أن نعلمهم مسائل كثيرة لا نؤمن نحن بها؟

بيلنج : هذا هو الواقع فعلاً.

بترا : لو كانت عندى الوسيلة لفتحت مدرسة وسرت بها على منهج يختلف عما هو جار تمام الاختلاف.

بيانسج : أوه. الوسيلة...! قبحا للوسيلة.

هورستر : إذا كنت تفكرين فى هذا فعلا يا آنسة ستوكمان فإنه يسرنى أن أهىئ لك مكان المدرسة التى تريدين. إن البيت الكبير الواسع القديم، الذى تركه لى والذى يكاد يكون خاليا، وفى الطبقة الأرضية منه غرفة فسيحة جدا للطعام يمكنك أن...

بترا : (ضاحكة) شكراً لك جزيلاً، بيد أنى أشفق أن لا جدوى من هذا العمل.

هوفستاد : لا. الآنسة بترا أميل بفطرتها إلى الصحافة. على فكرة، هل كان لديك متسع من الوقت لتناول تلك الرواية الإنجليزية التى وعدت أن تترجمها لنا؟

بترا : لا، لم يحن الوقت بعد، ولكنها ستصلك فى وقت ملائم.

(يأتى الدكتور ستوكمان من غرفته وفى يده

خطاب مفتوح)

الدكتور : (يهز الخطاب فى الهواء) آه! آه! سيكون فى البلد شىء جديد تلفظ به، أؤكد لكم.

بيانسج : شىء جديد؟

كاترين : ما هو هذا؟

الدكتور : استكشاف عظيم، يا كاترين.

هوفستاد : صحيح!!

كاترين : استكشاف منك؟

الدكتور : استكشاف منى. (يمشى هنا وهناك) والآن دعوهم

يأتوا ويقولوا على عادتهم إن المسألة كلها خيال

وأوهام من رجل مأفون، بيد أنهم لن يقولوا هذا

الكلام بعد ذلك، أؤكد لكم.

بتيرا : حسن يا والدى. ما المسألة؟

الدكتور : نعم. نعم، أعطونى وقتا وأنتم تعرفون كل شىء.

آه لو كان بيتر معنا الآن! هذا يرينا كيف أننا نحن

الرجال نستمر فى تكوين أحكامنا على الأشياء،

ونحن فى الواقع عمى كالجرذان المناجذ.

هوفستاد : ما قصدك يا دكتور؟

الدكتور : (واقفا ساكناً بجوار المائدة) أليس الرأى السائد أن

بلدتنا بقعة صحية؟

هوفستاد : بكل تأكيد.

الدكتور : بقعة صحية فوق العادة فعلا، وجهة تستحق أن يدعى إليها الناس بكل وسيلة ممكنة سواء أكانوا مرضى أم أصحاء.

كاترين : نعم، ولكن يا عزيزى توماس...

الدكتور : ولقد أخذنا نوصى بها الناس ونمتدحها، وكتبت فى صدد ذلك مقالات فى «رسول الشعب» وعدة من رسائل وعجالات.

هوفستاد : نعم، ثم ماذا؟

الدكتور : والحمامات، لقد سميناها شريان البلدة المتدفق بدم الحياة ومركز القوة العصبية فيها، والشيطان أدرى ماذا قلنا غير ذلك.

بينج : قلنا إنها قلب البلدة الخفاق، ولقد استعملت هذه الكلمة ذات يوم فى موقف خطير.

الدكتور : نعم. نعم، أتدرون ما حقيقة هذه الحمامات؟ هذه الحمامات العظيمة البديعة التى لم تفتّر الألسن عن مدحها، والتى أنفق فى سبيل إنشائها مبالغ عظيمة من المال، أتعرفون ما حقيقة هذه الحمامات؟

هوفستاد : كلا، ما هى؟

- كاترين : أجل، ما هي؟
- الدكتور : المحل كله من أوله إلى آخره «خن» أوبئة.
- بترا : الحمامات يا أبي؟
- كاترين : (في نفس الوقت) حماماتنا؟
- هوفستاد : ولكن يا دكتور...
- بينج : لا يمكن تصديق ذلك بناتا؟
- الدكتور : منشأة الحمامات كلها ليست إلا بؤرة تجتمع فيها كل أنواع الأوبئة، أؤكد لكم. وهي أكبر مورد للأذى والأضرار بالصحة العامة؛ فإن كل قاذورات «موليدال» وكل تلك الحثالات المتعفنة، تتسرب إلى أقنية المياه المؤدية إلى الخزان وتفسدها! كما أن نفس هذه السموم المتعفنة الملعونة ترشح وتوضح على الشاطئ...
- هورستر : حيث توجد الحمامات؟
- الدكتور : هناك بالضبط.
- هوفستاد : وكيف تثبت كل هذا الأمر يا دكتور؟
- الدكتور : بحثت الموضوع بكل دقة واهتمام، منذ مدة طويلة كنت أوجس شيئاً من هذا القبيل. كان عندنا في العام

الماضى عدة حوادث غريبة جدا من المرض بين
الوافدين علينا، حوادث تيفويد وحمى معوية.

كاترين : نعم، هذا صحيح جدا.

الدكتور : فى ذلك الوقت قدرنا أن الزوار كانوا مصابين بها
قبل أن يأتوا إلينا. ولكن بعد ذلك، فى الشتاء، أخذت
أرى رأيا آخر، ولذلك أخذت أفحص الماء بقدر
استطاعتى.

كاترين : إذن فهذا الذى كان يشغلك طول المدة؟

الدكتور : فى الواقع يا كاترين إنى كنت مشغولاً، ولكن لم تكن
عندى الأجهزة والأدوات العلمية اللازمة، ولذلك
أرسلت إلى الجامعة عينات من ماء الشرب، وأخرى
من ماء البحر، لتحليلها تحليلاً دقيقاً على يد كيمائى
متخصص.

هوفستاد : وهل وصلتك نتيجة التحليل؟

الدكتور : ما هى ذى، وهى تثبت وجود مواد عضوية متحالة
فى الماء، وأنه ملآن من جراثيم النقايعيات، ومن
الخطر المحقق استعمال الماء، سواء أكان ذلك
للشرب أو للاستحمام.

- كاترين : الحمد لله على أنك استكشفت هذا فى وقته!
- الدكتور : لك الحق أن تقولى ذلك فعلا.
- هوفستاد : وماذا تريد أن تفعل الآن يا دكتور؟
- الدكتور : أعمل على إصلاح الحالة بالطبع.
- هوفستاد : وهل فى الاستطاعة ذلك؟
- الدكتور : إنه أمر واجب، وإلا أصبحت الحمامات عادمة الفائدة وضاعت مزيتها. ولكن لا يصح لنا أن نقدر ذلك، إنى متبين ما يجب عمله.
- كاترين : ولكن لماذا أبقيت هذه المسألة فى طى الكتمان يا عزيزى؟
- الدكتور : أكنت تنتظرين أن أجرى فى البلد أخبر الناس بالواقع قبل أن يكون فى يدى البرهان القاطع؟ لا، لا، شكرا لك، لست من الجنون عند هذا الحد.
- بترا : مهما يكن من الأمر فقد كنت تستطيع أن تخبرنا نحن.
- الدكتور : ولا أى إنسان حى، ولكن يمكنكم فى الغد أن تجروا به إلى السيد إليغر.
- كاترين : توماس! توماس!

الدكتور : (لبترا) إذن، إلى جدك. سيكون لذلك الغلام العجوز من نبأك ما يدهشه، أنى أعلم أنه يعتقد أنى مجنون، ولاحظت أن فى الناس كثيرا غيره على شاكلته فى هذا الرأى، ولكن سيرى هؤلاء الصالحون، سيرون فعلا، (يتمشى فى المكان ويفرك يديه إحداهما بالأخرى) سيكون فى البلدة ضجة عظيمة يا كاترين، لا يمكن أن تتصورى كيف تكون، يتحتم أن تنزع أقنية المياه من موضعها ويعاد بناؤها.

هوفستاد : (ناهضا) كل الأقنية؟

الدكتور : نعم، بالطبع. إن مأخذها منخفض جدا، فلا بد من رفعها إلى مستوى أعلى.

بترا : إذن فقد كنت على صواب يومئذ؟

الدكتور : آه، أنت تتذكرين يا بترا، لقد كتبت أنتقد خطة العمل قبل شروعهم فيه، ولكن فى ذلك الوقت لم يستمع لى أحد، الآن سأسمعهم، ولقد أعددت تقريراً فعلا لعرضه على لجنة الحمامات، وهو جاهز عند منذ أسبوع، ولكنى كنت أنتظر ورود هذا إلى. (يرى الخطاب) والآن فسأرسله إليهم على الفور.

(يذهب إلى غرفته ويعود ومعه أوراق) انظروا! أربعة
أفرخ مكتوبة كلها على أسطر ضيقة، وسأرسل
خطابى مع التقرير. أعطيني قطعة من الورق
يا كاترين، شيئاً ألف فيه هذه الأوراق^(*). هذا يكفى!
والآن أعطيه إلى، إلى (يضرب برجله على الأرض)
إيه، ما اسمها؟ أعطيه إلى الخادمة، وقسولى لها أن
تأخذه على الفور إلى العمدة. (تأخذ السيدة ستوكمان
ربطة الورق وتخرج بها مارةً في غرفة الطعام).

بـ : ما ظنك يا أبى بما سيقوله عمى؟

الدكتور : وماذا له من القول فى هذا؟ أعتقد أنه سيسر لظهور
حقيقة مهمة كهذه.

هوفستاد : أسمح لى أن أنشر خبراً قصيراً عن هذا الاستكشاف
فى رسول الشعب؟

الدكتور : لك الشكر إن فعلت.

هوفستاد : إنه يحسن جداً أن يعرف الجمهور ذلك على عجل.

الدكتور : فعلاً.

(*) يستفاد من ترجمة ماركس أفلنج أنه طلب منها جريدة وأنها قدمتها إليه عندما طلب
إليها قطعة الورق.

- كاترين : (عائدة) لقد خرجت به الان توأ.
- بيلاج : أقسم لك يا دكتور إنك ستصبح أشهر رجل فى البلد.
- الدكتور : (يتمشى مسرورا) كلام فارغ، إنى لم أفعل على كل حال إلا ما هو من واجبى، لم أفعل شيئا سوى أنى وفقت إلى العثور على لُقية، هذا كل ما فى المسألة، ومع ذلك فالأمر على حد سواء.
- بيلاج : هوفستاد، ألا ترى أن البلدة جديدة أن تقدم إلى الدكتور علامة عرفان بفضله؟
- هوفستاد : سأقترح ذلك على كل حال.
- بيلاج : وأنا سأكلم أسلاكسن فى الموضوع.
- الدكتور : لا يا أصحابى، لا أريد أن تحدث مثل هذه البهارج السوقية. لا أطيق أن أسمع بشيء من هذا القبيل، وإذا فكرت لجنة الحمامات فى تقرير زيادة مرتبى فإنى لن أقبلها. أسمعين يا كاترين؟ لن أقبل.
- كاترين : أنت على حق يا توماس.
- بترا : (رافعة كأسها) فى صحتك يا أبى.
- هوفستاد : فى صحتك يا دكتور، فى صحتك.
- وبيلاج

هورستور : (يقرع كأسه بكأس الدكتور) أرجو ألا يعود عليك
من هذا الاستكشاف إلا الخير والمسرة.

الدكتور : شكراً لكم، شكراً لكم يا إخوانى الأعزاء، إنى أشعر
بتمام السعادة. من محاسن الأمور أن يرى الإنسان
نفسه قادراً على أن يعمل لبلده عملاً صالحاً ويؤدى
لبنى وطنه خدمة طيبة، مرحى يا كاترين.

(يضع يده حول خصرها ويلفها لفاً وهى تحتج
بأصوات صراخ وضحك. الجميع يضحكون
ويصفقون بأيديهم ويهللون للدكتور، وعند ذلك يطل
الأولاد برءوسهم من الباب ليروا ما هو حادث).

«انتهى الفصل الأول»

الفصل الثانى

المنظر:

عين المنظر السابق، إلا أن الباب المؤدى إلى غرفة الطعام مقفل، والوقت صباح - تأتي كاترين ستوكمان ومعها خطاب محتوم من باب غرفة الطعام، وتذهب إلى باب غرفة مطالعة الدكتور، وتطل برأسها فيها.

كاترين : أنت هنا يا توماس؟

الدكتور : (من داخل غرفته) نعم دخلت توًّا. (يأتي في غرفة الاستقبال) ماذا لديك؟

كاترين : خطاب من أخيك.

الدكتور : آه، هات لنرى! (يفض الخطاب ويقرأ) أعيد إليك المسودة التي أرسلتها إليّ. (ثم يقرأ بصوت خفيض) هم.

كاترين : ماذا يقول؟

الدكتور : (واضعاً الأوراق في جيبه) أوه، لا يقول شيئاً سوى أنه سيأتي هو نفسه هنا حوالى الظهر.

كاترين : إذن فحاول أن تحسن لقاءه.

الدكتور : لا تخشى بأساً، لقد انتهيت من جميع عيادات الصباح.

كاترين : أنا فى غاية التألف على معرفة أثر الخبر فى نفسه.
الدكتور : سترين أنه يكره أن أكون أنا الذى استكشفت المسألة
لا هو .

كاترين : ألا يُقلق هذا الأمر بالك؟
الدكتور : أوه، سيسره الأمر فى دخيلة قلبه. ولكن بيتر من
جهة أخرى شديد الخشية من أن يؤدى غيره من
الناس خدمة للبلدة.

كاترين : اسمع منى يا توماس، يجدر بك أن تكون سمحاً
ونقتسم فضل المسألة معه. ألا تستطيع أن تقول إنه
هو الذى نبّهك إلى هذا الاستكشاف؟

الدكتور : إنى على تمام الاستعداد لهذا، إذا أمكن بذلك أن يتم
الإصلاح المطلوب. إنى...

(مورتن كيل Morten Kiil يطل برأسه من باب البهو
وينظر هنا وهناك فى الغرفة مستطلعاً ويضحك).

كيل : (وعليه سيما التهكم) أهو، أهو صحيح؟
كاترين : أبى!، أهذا أنت؟

الدكتور : آه مستر كيل، نهارك سعيد، نهارك سعيد يا حمى
العزيز.

- كاترين : تفضل، ادخل.
- كيل : إذا كان صحيحًا دخلت، وإذا لم يكن صحيحًا انصرفت.
- الدكتور : إذا كان ماذا صحيحًا؟
- كيل : هذا الخبر الخاص بمسألة مياه الشرب، أهو صحيح؟
- الدكتور : بالتأكيد صحيح. ولكن خبّرني كيف بلغك الخبر؟.
- كيل : (داخلاً) مرت على بئرا وهى ذاهبة فى طريقها إلى المدرسة...
- الدكتور : صحيح؟
- كيل : نعم، وقد قالت. ظننت أنها تضحك منى، ولكنى قدرت أن بئرا بعيدة عن مثل هذا.
- الدكتور : محال طبعًا. كيف تتصور مثل هذا؟
- كيل : أوه، خير للإنسان أن لا يثق بإنسان، قد تجد أنه كان يضحك منك قبل أن تعرف أين أنت، ولكن الخبر صحيح على كل حال.
- الدكتور : ثق أنه صحيح. ألا تجلس؟ (يُجلسه على المقعد).
- أليس من حسن حظ البلدة أن...؟
- كيل : (يخفى ضحكة) من حسن حظ البلدة؟

- الدكتور : نعم، كوني استكشفت الأمر فى وقت...
 كيل : (مخفياً ضحكة) نعم. نعم. نعم، غير أنى ما كنت أظن أنك تُزل قدم أخيك كما فعلت.
- الدكتور : أزل قدمه؟
 كاترين : الواقع يا أبى العزيز...
 كيل : (واضعاً يديه وذقنه على مقبض عصاه وغامراً بعينه غمز المكر بالدكتور) هات لنرى. قل لى ما تفصيل الحكاية؟ نوع من الحيوانات دخل فى أفنية المياه، أهو كذلك؟
- الدكتور : النقاعية؟ نعم.
 كيل : وإن مقداراً من هذه الحيوانات قد دخل فى الأفنية، كما نقول بترأ، مقداراً كبيراً.
- الدكتور : بالتأكيد، مئات الألوف منها، غالباً.
 كيل : ولكن لا يستطيع أحد أن يرى هذه الحيوانات. أليس كذلك؟
- الدكتور : مؤكد، لا يستطيع أحد أن يراها.
 كيل : (بضحك خفيف) مصيبة! هذه ألطف حكاية سمعتها فى حياتى!

الدكتور : ماذا تعنى؟

كـبـل : ولكنك لن تستطيع أن تحمل العمدة على تصديق
شئ من هذا.

الدكتور : سنرى.

كـبـل : أتظن أنه سيكون من الجنون بدرجة أنه...؟

الدكتور : أهل البلدة جميعهم سيصبحون من الجنون بحيث...

كـبـل : جميع البلدة؟! هذا جائز وربى! لعمري ليكون هذا
جزءاً فى محله، ودرسا مفيدا. إنهم يظنون أنفسهم
أمكر منا نحن كبار السن، لقد طاردوني وأخرجوني
من المجلس. نعم. فعلوا ذلك، لقد طاردوني. الآن
سيدفعون ثمن ما فعلوا، وأراك تستدرجهم إلى مزلة
القدم.

الدكتور : الواقع أنى...

كـبـل : أنت تستدرجهم فعلاً، (ينهض) إذا استطعت أن تطبخ
المسألة حتى يلتهمها العمدة وإخوانه، فأينى أتبرع
بعشرة جنيهات فى سبيل الخير، على الفور.

الدكتور : هذا فضل منك.

كيل : نعم، ليس عندي من المال ما يسمح بالرمى، أوكد لك. ولكن إذا استطعت أن تقوم بهذا العمل فإنني أعطى خمسة جنيهات تُنفق في سبيل الخير يوم عيد الميلاد.

(يدخل هوفستاد من باب البهو)

هوفستاد : نهاركم سعيد! (يقف) وى، معذرة.

الدكتور : لا داعى لذلك، ادخل.

كيل : (بضحكة أخرى)، أهو معكم فى هذا؟

هوفستاد : ماذا تعنى؟

الدكتور : بالطبع معنا.

كيل : كان جديرًا بى أن أعرف ذلك، لابد أن المسألة

تتشرها الجرائد. أنت أعرف بطريق ذلك يا توماس.

هلم، أرهف قلبك وادخل فى المضمار، والآن

فلأنصرف.

الدكتور : ألا تجالسنا أكثر من هذا؟

كيل : لا، لا بد من الانصراف الآن. إنك ستستمر فى

المناضلة على كل حال، لن تندم على ذلك، لعنة الله

علىّ إن أنت فعلت.

(يخرج وتتبعه كاترين ستوكمان إلى البهو).

الدكتور : (ضاحكاً) تصور، إن هذا الرجل لا يصدق شيئاً من حكاية أقنية المياه.

هوفستاد : أكان هذا إذن موضوع الـ...؟

الدكتور : نعم، هو الموضوع الذى كنا نتكلم فيه، ولعله هو بعينه ما أتى بك هنا؟

هوفستاد : نعم، هو. أتسمح لى ببضع دقائق يا دكتور؟

الدكتور : بما تريد يا صاحبي العزيز.

هوفستاد : هل عرفت رأى العمدة؟

الدكتور : لا شىء بعد. إنه آت هنا بعد قليل.

هوفستاد : لقد فكرت فى الموضوع طويلاً منذ ليلة أمس.

الدكتور : ثم؟

هوفستاد : مسألة أقنية المياه هى من وجهة نظرك بصفة كونك

طبيباً ورجلاً من رجال العلم، مسألة مستقلة، أعنى

إنك لا تدرك أنها تتضمن عديداً من المسائل

الأخرى.

الدكتور : ماذا تعنى؟ دعنا نجلس يا صاحبي العزيز. لا، بل

أجلس هنا على المقعد. (يجلس هوفستاد على المقعد

والدكتور ستوكممان على كرسي إلى الجانب الآخر من

المنضد) الآن، أنت تعنى أن...

هوفستاد : قلت أمس إن فساد الماء مسبب عن مواد غير ظاهرة موجودة في تربة الأرض؟

الدكتور : نعم، إنه مسبب عن العفونة السامة الموجودة في موليدال.

هوفستاد : معذرة يا دكتور، إنى أظن أنه مسبب عن عفونة أخرى.

الدكتور : أى عفونة هذه؟

هوفستاد : العفونة التى بنيت عليها حياة جميع بلدتنا والتى أخذت تعفنها معها.

الدكتور : عجبى، إلى أى شىء ترمى بهذا الكلام يا هوفستاد؟

هوفستاد : إن جميع مصالح البلدة قد انتقلت شيئاً فشيئاً إلى أيدى عصابة من الموظفين.

الدكتور : مهلاً، ليسوا جميعاً موظفين.

هوفستاد : أعرف ذلك، ولكن الذين ليسوا منهم موظفين هم أصدقاء الموظفين وأتباعهم. إن فريق الأغنياء والأسر القديمة فى البلد هو الذى يقبض علينا جميعاً بأيديه.

- الدكتور** : نعم، ولكنهم على كل حال أهل كفاءة ودراية.
- هوفستاد** : وهل أبدوا شيئاً من الكفاية أو الدراية يوم وضعوا
أقنية المياه حيث وضعوها؟
- الدكتور** : لا، لقد كان هذا بالطبع عملاً فى منتهى حماقة،
ولكن هذا سيصلح.
- هوفستاد** : وهل تظن أن المسألة ستمر على الهين؟
- الدكتور** : على الهين أو غير الهين لا يهم، لا بد من الإصلاح
على كل حال.
- هوفستاد** : نعم، بشرط أن تتناول الجرائد الموضوع.
- الدكتور** : لا أظن هذا ضرورياً يا عزيزى، إنى واثق أن
أخى...
- هوفستاد** : استسمحك يا دكتور، أرانى ملزماً أن أخبرك أنى
أميل إلى التصدى للمسألة.
- الدكتور** : فى الجريدة؟
- هوفستاد** : نعم، لما توليت جريدة رسول الشعب كان قصدى أن
أكسر حلقة تلك البقايا القديمة المتحجرة المتشبهة
برأيها التى احتازت كل سلطة فى البلد.

الدكتور : فعلاً، ولكنك تذكر أنك نفسك قلت لى كيف كانت

عاقبة هذه السياسة. لقد خربت جريدتك يومئذٍ تقريباً.

هوفستاد : فعلاً، فى ذلك الوقت كنا مضطرين أن نراجع خطوة

أو خطوتين، لأننا كنا نخشى أن يهملوا مشروع

الحمامات بتاتاً إذا هم تخلوا عنا، أما الآن فقد نُفِّذ

المشروع ويمكننا أن نستغنى عن هؤلاء السادة

العظماء.

الدكتور : تستغنى عنهم؟ نعم، ولكن فى رقبتنا لهم جميلاً

عظيماً.

هوفستاد : سنقر لهم بذلك بلا استياء، ولكن صحفياً مثلى من

ذوى المبادئ الديمقراطية لا يمكن أن يفوت على

نفسه فرصة كهذه. يجب أن نعزم فقاعة العصمة

الحكومية ونمزقها، هذه الخرافة يجب أن تبدد

ويقضى عليها ككل خرافة سواها.

الدكتور : إنى معك فى هذا من كل قلبى يا سيد هوفستاد، إذا

كانت خرافة فليقض عليها.

هوفستاد : إنى أتردد فى تناول العمدة لأنه أخوك، ولكنى واثق

أنك توافقنى على أن الحق أوجب بالرعاية.

- الدكتور** : لا مرأى فى ذلك. (بتأكيد مفاجئ) نعم، ولكن...
- هوفستاد** : إياك أن تسيء بى الظن، لست ذا مصلحة ذاتية أكثر من غالب الناس، ولا أنا أشد منهم طماعية.
- الدكتور** : يا سيدى العزيز، من أشار إلى شىء من هذا القبيل؟
- هوفستاد** : إنى من أصل غير نابيه كما تعرف، وقد أتاح لى هذا فرصة العلم بما يستشعره أمثالى أهل الطبقات المتضعة من الحاجة الشديدة، ألا وهى أن يسمح لهم بالاشتراك فى إدارة المصالح العامة يا دكتور. إن فى هذا عوناً لهم على تنمية مواهبهم وعقولهم، واحترامهم أنفسهم.
- الدكتور** : إنى أقدر هذا حق التقدير.
- هوفستاد** : نعم، وفى اعتقادى أن الصحفى يتحمل أكبر الأوزار إذا هو لم ينتهز فرصة سنحت لتحرير الجمهور المسكين المضطهد. إنى لأعلم علم اليقين أنهم فى الدوائر العليا سيسموننى مهيجاً، ويرموننى بكل ما فى تلك الجعبة، ولكن فليسمونى كما يشتهون. إذا لم يؤنبنى ضميرى فإنى...

الدكتور : صدقت، صدقت يا سيد هوفستاد. ولكن على حد سواء، فى داهية.

(يسمع قرع على الباب) تفضل.

(يظهر أسلاكسن عند الباب وهو لا بس لباساً حقيراً، ولكنه ملائم. لونه أسود، أما رباط رقبته فأبيض مُكمش وفى يديه قفازان قبعة لباد)

أسلاكسن : (ينحني) أرجو يا دكتور أن تصفح...

الدكتور : (ناهضاً) آه، أهو أنت يا أسلاكسن؟

أسلاكسن : نعم، يا دكتور.

هوفستاد : (ناهضاً) أتريدنى يا أسلاكسن؟

أسلاكسن : لا. لم يخطر ببالى أن أجذك هنا. إنى أريد الدكتور.

الدكتور : إنى على أتم استعداد لخدمتك، هلم...

أسلاكسن : أصحيح يا سيدى ما بلغنى من مستر بيلنج؟ أعنى

أنك تريد أن تصلح مورد مائنا؟

الدكتور : نعم من أجل الحمامات.

أسلاكسن : هذا ما فهمت، حسن. إنى أتيت أنهى إليك أنى

سأعزز هذه الفكرة بكل وسيلة فى يدى.

هوفستاد : (إلى الدكتور) رأيت؟

الدكتور : أشكرك، ولكن...

أسلاكسن : لأنه لا بأس أن يكون لك ظهير منا نحن أهل الحرف والصناعات، نحن فى الواقع نعد فى البلدة غالبية متراصة إذا أردنا. ويحسن دائماً أن تكون الغالبية معك يا دكتور.

الدكتور : هذا صحيح بلا أدنى شك، ولكنى أقر لكم أنى لا أدرى لماذا ترون هذه الاحتياطات الخارقة للعادة ضرورية فى هذه المسألة. يخيل إلى أن مسألة بسيطة صريحة كهذه...

أسلاكسن : قد يحتاج الأمر إلى ذلك على كل حال. إنى أعرف ولاية أمرنا المحليين معرفة جيدة، ليس من عادة الموظفين أن يعملوا بناءً على اقتراحات يقدمها غيرهم من الطبقات الأخرى، وهذا ما يدعونى إلى الاعتقاد بأنه يجدر بنا أن نقوم بمظاهرة صغيرة.

هوفستاد : فى محله.

الدكتور : مظاهرة؟! علام قيامك بمظاهرة!؟

أسلاكسن : نحن سنسير بغاية الهوادة والاعتدال، الاعتدال يا دكتور نصب عينى دائماً. إنه أكبر فضيلة يتحلى بها الوطنى، أنا على الأقل أعتقد ذلك.

الدكتور : معروف جدا أن الاعتدال صفة من لوازمك يا سيد أسلاكسن.

أسلاكسن : نعم، أظن ذلك، وإنى لفخور بهذه الصفة. ومسألة مورد الماء هذه على جانب عظيم من الأهمية عندنا نحن أهل الحرف الصغار. إنه ينتظر أن تكون الحمامات بمثابة منجم ذهب دائم تملكه المدينة. وسنرتزق منها نحن جميعاً، ولاسيما من كان منا من أرباب المساكن. وهذا هو السبب الذى من أجله سنعزز المشروع بقدر ما نستطاع من القوة. وبما أنى الآن رئيس جمعية أرباب المساكن...

الدكتور : نعم؟

أسلاكسن : وفوق ذلك السكرتير المحلى لجمعية الاعتدال فى الشراب، ولعلك تعلم يا سيدى أننى أحد العاملين بقوة فى هذا السبيل.

الدكتور : بالطبع، بالطبع.

أسلاكسن : حسن، يمكنك أن تفهم أننى متصل بعدد كبير جدا من الناس وإذ إنى مشهور بأنى وطنى، عفيف عن الخمر، مطواع للقانون مثلك يا دكتور، فإن لى فى

البلد نوعاً من النفوذ وشيئاً من القوة إذا جاز أن أقول ذلك.

الدكتور : أعرف ذلك حق المعرفة يا سيد أسلاكسن.

أسلاكسن : وعليه، فأنت ترى أنه من السهل على أن أدعو إلى القيام بواجب الاعتراف لك إذا قضت الضرورة.

الدكتور : واجب الاعتراف!؟

أسلاكسن : نعم، شيء مثل شكر من أهل البلد على ما لك من يد في مسألة كهذه ذات أثر عظيم في مصلحة المجتمع. لا حاجة بي إلى القول إنه يجب تحضير الكلمة، مع التزام جانب الاعتدال التزاماً تاماً، حتى لا نسيء إلى أولى الأمر الذين في يدهم عنان الشئون على كل حال. إذا راعينا هذا تمام المراعاة، فلن يُسيء أحد تأويلها على ما أظن.

هوفستاد : بل لنفرض أنها لم تكن على هواهم...

أسلاكسن : لا، لا، يجب أن لا يكون فيها مس لكرامة الحكومة يا سيد هوفستاد. لا يليق أن نغاضب أولئك الذين تتوقف عليهم رفاهيتنا توفيقاً تاماً. لقد جربت هذه الخطة فيما مضى فلم أجد من ورائها خيراً. أما إذا

أبدى الرجل الوطنى آراءه بطريقة معقولة خالصة
فإنه لا يُغضب أحداً.

الدكتور : (هازاً يد أسلاكسن) اسمح لى يا عزيزى أسلاكسن
أن أعبّر لك عن مزيد اغتباطى إذ أجد مثل هذا
التشجيع العلنى من إخوانى المواطنين. إنى مسرور،
مسرور، والآن كأساً صغيرة من نبيذ الشرى.

أسلاكسن : شكراً لك. لا. لا، إنى لا أشرب كحولاً من هذا
النوع.

الدكتور : إذن فما قولك فى قذح من البيرة؟

أسلاكسن : ولا هذا أيضاً. شكراً لك يا دكتور، لا أشرب شيئاً
فى وقت مبكر كهذا. إنى ذاهب إلى البلدة الآن
لأتحادث فى المسألة مع واحد أو اثنين من أصحاب
المنازل وأمهد السبيل.

الدكتور : هذا فضل عظيم منك يا سيد أسلاكسن، ولكنى فى
الحقيقة لا أتبين ضرورة هذه الاحتياطات، يُخيل إلى
أن المسألة يجب أن تسير من تلقاء نفسها.

أسلاكسن : أولو الأمر بطيئو الحركة نوعاً ما يا دكتور، على
أنى أبعد الناس عن العيب فى حقهم!

هوفستاد : أنا عازم على تحريكهم غدا في الجريدة يا أسلاكسن.

أسلاكسن : ولكن من غير عنف يا سيد هوفستاد! خذهم بالرفق

وإلا فما نستطيع أن نجنى منهم ثمرة. اتبع مشورتى،

إنى تلقيت الخبرة فى مدرسة الحياة. هه، لا بد لى

من الانصراف يا دكتور، أنت تعرف الآن أننا نحن

صغار أهل الحرف وراءك على كل حال مثل الجدار

المتين، معك الغالبية المتراصة يا دكتور.

الدكتور : إنى فى غاية الامتتان يا عزيزى السيد أسلاكسن.

(يهز يده تحية) مع السلامة، مع السلامة.

أسلاكسن : أنت ذاهب فى طريقى صوب المطبعة يا سيد

هوفستاد؟

هوفستاد : سأتى بعد حين، عندى شىء لا بد من إنهائه أولاً.

أسلاكسن : حسن. (ينحنى ويخرج ويتبعه الدكتور إلى البهو)

هوفستاد : (عندما يعود الدكتور) هه، ما قولك فى هذا يا

دكتور؟ ألا ترى أنه قد حان الوقت لنبعث شيئاً من

الحياة فى كل ذلك الخور والتردد والجبن؟

الدكتور : أنت تعنى أسلاكسن؟

هوفستاد : نعم، أعنيه. إنه أحد هؤلاء المتخبطين فى الأحوال وإن كان الرجل فى ذاته رجلاً طيباً، وغالب الناس فى هذا البلد على مثل حاله يترجّحون، يميلون أولاً إلى جانب، وبعدئذٍ إلى الجانب الآخر. تراهم من الحذر والريب بحيث لا يجرءون على أن يخطوا خطوة ثابتة لا تردد فيها.

الدكتور : نعم، ولكنى أتبين حسن القصد على أتمه من أسلاكسن.

هوفستاد : هناك صفة أهم فى نظرى من ذلك، تلك هى أن يكون الرجل ثابت الاعتماد على نفسه مطمئناً إلى رجولته.

الدكتور : إنك على تمام الحق فى ذلك.

هوفستاد : من أجل هذا أريد أن أنتهز هذه الفرصة وأرى هل أستطيع أن أبعث شيئاً من الرجولة فى أولئك الناس حسنى القصد؟ يجب أن يُحطم صنم السلطة المنسوب فى هذا البلد، يجب أن نفهم كل ذى صوت فى انتخابات أعضاء البلدية حقيقة هذا الحمق والعبث البالغ الذى تناولوا به مسألة الماء.

الدكتور : لا بأس، إذا كنت ترى أن هذا فى مصلحة المجتمع فافعل، ولكن لا تفعل شيئاً قبل أن يتاح لى الحديث مع أذى.

هوفستاد : ساعد، على كل حال، مقالة افتتاحية. وإذا رفض العمدة أن يهتم بالموضوع...؟

الدكتور : كيف تقدر أن هذا ممكن؟

هوفستاد : إنه جائز، وفى هذه الحالة...

الدكتور : فى هذه الحالة أعدك، أسمح لك فى هذه الحالة أن تنشر تقريرى بنصه وفصه.

هوفستاد : صحيح؟ أتعدنى بذلك؟

الدكتور : (يعطيه مسودة التقرير) ها هى ذى مسودته، إليكها، خذها معك. لا ضرر من اطلاعك عليها وإعادتها إلى بعدئذ.

هوفستاد : حسن. حسن، هذا ما سأفعله. والآن إلى اللقاء، إلى اللقاء يا دكتور.

الدكتور : مع السلامة، مع السلامة. سنرى أن الأمور تجرى بلا عثار يا سيد هوفستاد، بلا أدنى عثار.

هوفستاد : هم. (يهمهم) سنرى. (ينحنى ويخرج).

الدكتور : (يفتح باب غرفة الطعام ويطل فيها) كاترين! أوه،
بيتر؟! أنتِ عدتِ؟

بترا : (تدخل) نعم عدت من المدرسة تَوَّأ.

كاترين : (تدخل) ألم يأت بعد؟

الدكتور : بيتر؟ لا، ولكن كان لى حديث طويل مع هوفستاد.
إن نفسه مشغولة باستكشافى، وأجد لهذا الاستكشاف
مرامى أبعد مما كنت أظن، وقد وضع هوفستاد
جريدته تحت أمرى إذا قضت الضرورة.

كاترين : هل ترى أن ستكون هناك ضرورة؟

الدكتور : لا أظن ذلك لحظة، ولكنى أشعر على كل حال بشيء
من الاغتياب؛ إذ أعرف أن الصحافة الحرة الفكر
المستقلة فى جانبى. نعم، و... انظرى لقد زارنى
اليوم رئيس جمعية أرباب المساكن.

كاترين : أوه، ماذا كان يريد؟

الدكتور : إنه يعرض على مساعدته أيضاً، وستؤيدنى هيئتهم
الكلية إذا اقتضى الأمر ذلك. كاترين! أتعرفين ماذا
ورائى؟

كاترين : ورائك؟! لا، ماذا ورائك؟

الدكتور : الغالبية المتراسة.

كاترين : صحيح؟ أهذا شيء ينفك يا توماس؟

الدكتور : أظن أنه شيء عظيم. (يتمشى ذهاباً وجيئةً إلى أعلى

ثم إلى أدنى وهو يفرك كفيه) أما والله إنه لمن أسعد

الأمر أن يشعر الإنسان برباط الأخوة بينه وبين

مواطنيه.

بترا : وأن تكون قادراً على أن تفعل ما فيه خير ونفع يا

أبى.

الدكتور : ولاسيما إذا كان هذا موجهاً إلى بلد الإنسان الذى ولد

فيه يا بنيتى.

كاترين : دق الجرس...

الدكتور : لابد أن يكون هو إذن. (يُسمع دقاً على الباب)

تفضل.

(يدخل بيتر ستوكمان من الغرفة الخلفية).

بيتر : نهاركم سعيد.

الدكتور : سعيد برؤيتك يا بيتر.

كاترين : نهارك سعيد يا بيتر، كيف حالك؟

بيتر : لا بأس، شكرا لك. (إلى الدكتور) وصلنى منذ أمس
بعد وقت العمل تقرير بشأن حالة المياه الواردة إلى
الحمامات.

الدكتور : نعم، هل قرأته؟

بيتر : نعم، قرأته.

الدكتور : وما رأيك فيه؟

بيتر : (بنظرة إلى جانب ويهمهم) هم!

كاترين : هلم يا بتر. (تخرج هي وبترا إلى الغرفة التي إلى
اليسار).

بيتر : (بعد سكوت) أكان من الضروري أن تعمل كل هذه
التحريات من وراء ظهري؟

الدكتور : نعم، لأنه يجدر بى أن أتأكد تمام التأكد من المسألة...

بيتر : إذن فأنت تعنى أنك الآن متأكد تمام التأكد؟

الدكتور : أنت بلا أدنى شك مقتنع بذلك.

بيتر : وهل فى عزمك أن تقدم هذه الوثيقة رسمياً إلى لجنة
الحمامات؟

الدكتور : أجل، لابد من عمل شىء فى هذا الصدد، وأن يكون
ذلك على وجه السرعة.

بيتر : أنت على عادتك تستعمل عبارات شديدة في تقريرك، تقول فيما تقول إن ما نقدمه لزوارنا في الحمامات ليس إلا فيض سم مستديم.

الدكتور : ها! وهل يمكنك أن تصفه وصفاً آخر يا بيتر؟ بالله، ماء ملوث يشربه أو يستحم فيه. هذا ما نقدمه إلى الناس المرضى المساكين الذين يأتون إلينا، واثقين بنا، ويدفعون إلينا مبالغ عظيمة ثمناً لاستشفائهم ورجوع العافية إليهم.

بيتر : ومقدماتك تؤدي بك إلى هذه النتيجة؟ وهى أنه يجب علينا أن نبني خزان تصفية يسحب كل القاذورات الناشئة كما تقول من مدابغ موليدال، ويجب علينا أيضا أن نهدم أفنية المياه ثم نبنيها من جديد فى اتجاه آخر.

الدكتور : نعم، هل ترى وسيلة أخرى لإصلاح الحال؟ إنى لا أرى.

بيتر : لقد انتحلت اليوم عذراً للخروج من المكتب، وقابلت مهندس البلدية، وفتحت له بشكل شبه جدى موضوع هذه الاقتراحات، على تقدير أنه قد ينظر فى أمرها يوماً من الأيام.

الدكتور : يوماً من الأيام!؟

بيتر : فابتسم لأنه يعتقد أن هذا يكون إسرافاً منى بالطبع.
هل كانت نفسك تقدير مبلغ النفقة التى تتطلبها
التغييرات التى نقترحها من المعلومات التى حصلت
عليها؟ أفهم أن التكاليف قد تبلغ خمسة عشر ألفاً أو
عشرين ألف جنيه.

الدكتور : تتطلب هذا المقدار؟

بيتر : نعم، وأسوأ ما فى الأمر أن العمل لا يتم فى أقل من
سنتين.

الدكتور : سنتين؟! سنتين كاملتين!؟

بيتر : على الأقل. فماذا تفعل بالحمامات فى غضون هذه
المدّة؟ أنقلها؟ هذا ما لا بد منه. وهل تظن أحداً يأتى
إلى المكان بعدما يكون قد شاع فى الآفاق أن الماء
خطر؟

الدكتور : فعلاً، ولكن يا بيتر هذا هو الواقع.

بيتر : وكل هذا فى هذا الوقت، فى الوقت الذى أخذت فيه
الحمامات تعرف ويقبل عليها الناس، وبجوارنا بلاد
أخرى تستهوى الناس إليها للاستحمام فيها. ألا ترى

أن أهلها لا يترددون في انتهاز هذه الفرصة وتوجيه عزمهم إلى تحويل تيار الغرباء إلى ربوعهم؟ لا شك أنهم يفعلون ذلك، فإذا حدث هذا، فماذا يكون حالنا؟ لعلنا نضطر إذ ذاك أن نتخلى عن منشآتنا جميعها بعد ما كلفتنا مبالغ فادحة، وعندئذ تكون قد جررت الخراب على بلدك.

الدكتور : الخراب على بلدى؟! أنا!؟

بيتر : ليس للبلد حظ ولا مستقبل إلا فى الحمامات وحدها، وأنت تعرف هذا كما أعرفه تمامًا.

الدكتور : إذن فماذا ترى أن نفعل؟

بيتر : تقريرك لم يقنعنى أن حالة الماء فى الحمامات بالدرجة التى وصفتها.

الدكتور : بل أؤكد لك أنها أسوأ من ذلك، أو أنها على كل حال ستكون كذلك فى الصيف يوم يدخل الحر.

بيتر : كما قلت لك، أعتقد أنك تبالغ وتهول، إن الطبيب المقتدر جدير أن يعرف ماذا نتخذ من الوسائل. يجب عليه أن يكون قادرًا على منع عوامل الأذى أو معالجتها إذا استقرت على صورة واضحة.

الدكتور : ها، وبعد؟

بيتر : أجهزة الماء اللازمة للحمامات قائمة لا تقبل التغيير، فالمسألة من هذه الناحية مفروغ منها ويجب أن تؤخذ دائماً على هذا الاعتبار. ولكن إذا تراءى للجنة أن تعمل فإنها قد لا تكون غير ميالة إلى النظر فى الأمر لمعرفة مدى ما يمكن أن تدخله من التحسينات مع مراعاة وجهة النفقة.

الدكتور : وهل تظن أنى أشترك فى مثل هذا الاحتيال؟

بيتر : احتيال؟!؟

الدكتور : نعم، ألا يكون هذا العمل خديعة وتزويراً وكذباً وجريمة صريحة تقع على الجمهور بل على المجتمع بأسره؟

بيتر : لم أستطع، كما قلت لك، أن أقنع أن هناك ضرراً واقعاً فعلاً.

الدكتور : بل أنت مقتنع، يستحيل أن لا تكون مقتنعاً. إنى واثق أننى شرحت الوقائع بتمام الصدق والإنصاف، وأنت تعرف ذلك يا بيتر حق المعرفة، ولكنك لا تريد أن تسلم به؟ لقد كان من عمالك أنت أن الحمامات وأقنية

المياه بُنيت حيث هي الآن، هذا التعسف والخلط هو ما لا تريد أن تعترف به. أتظن أنى لا أرى دخيلة نفسك؟

بيتر : وعلى فرض أن هذا صحيح وأننى أدافع عن سمعتى بشيء من الاهتمام، فإنه فى مصلحة البلد. بغير سلطة أدبية لا تكون لى سلطة مطلقاً فى إدارة مصالح الجمهور بما يؤدى فى نظرى إلى الخير العام. وعلى هذا الاعتبار، ولأسباب أخرى كثيرة، يظهر لى أنه من المهم أن لا يقدم تقريرك إلى اللجنة. يجب عليك فى سبيل المصلحة العامة أن تسحب تقريرك، ثم بعد مدة أرفع أنا المسألة إلى اللجنة، وسنبذل قصارى جهدنا فى العمل فيما بيننا. ولكن لا يصل شيء عن هذه المسألة المشنومة، ولا كلمة عنها إلى أذن الجمهور.

الدكتور : أخشى أنك غير قادر الآن على منع هذا يا عزيزى بيتر.

بيتر : بل لا بد من ذلك، وسيُمنع فعلاً.

الدكتور : لا فائدة من ذلك، أؤكد لك. كثير من الناس عالمون به.

بيتر : عالمون به؟! من؟ عسى أن لا يكون من بينهم أولئك الأشخاص الذين يحررون رسول الشعب.

الدكتور : نعم، هم أيضاً يعلمون. إن الصحافة الحرة المستقلة أخذت على نفسها أن تلزمك القيام بالواجب.

بيتر : (بعد سكوت قصير) إنك رجل من قلة التبصر بدرجة خارقة للعادة يا توماس، ألم تفكر فيما يترتب على ذلك من سوء العاقبة لك؟

الدكتور : العاقبة لي؟

بيتر : لك ولذويك، نعم.

الدكتور : ماذا تعنى؟

بيتر : أعتقد أنى كنت معك دائماً على حد الأخوة، وكنتُ دائماً سريعاً إلى مرضاتك أو مساعدتك.

الدكتور : نعم، كنت كذلك، وأنا شاكر لك هذا الفضل.

بيتر : لا حاجة إلى هذا، الواقع أننى كنت إلى حد ما مضطراً إلى ذلك، من أجل مصلحة نفسى. لقد كنت أومل دائماً أنى إذا ساعدت على تحسين حالتك المالية، استطعت أن يكون لى بعض السلطان عليك.

الدكتور : ماذا؟ إذن فقد كان لمصلحتك أن ...

بيتر : إلى حدّ ما. نعم، إنه ليؤلم الرجل المتولى وظيفة عامة أن يرى أقرب الناس إليه يوقع نفسه في الشبه مرة بعد مرة.

الدكتور : (ضاحكاً) وأنت ترى أنني أفعل ذلك.

بيتر : نعم، بكل أسف، من حيث لا تدري أن من طباعك القلق والمشاكسة والثورة. ثم هناك ذلك الاندفاع القاتل وراء الكتابة في كل أمر ممكن وغير ممكن. ما تأتي فكرة إلى دماغك حتى تذهب وتكتب مقالة لجريدة أو تصنع في شأنها رسالة برمتها.

الدكتور : ها، ولكن أليس من واجب الوطني أن يُشرك الجمهور في كل فكر جديد يعنُّ له؟

بيتر : أوه! إن الجمهور لا يريد شيئاً من الأفكار الجديدة. خير ما يخدم الجمهور مبادئه الطيبة المقررة لديه من قديم.

الدكتور : أهذا رأيك الخالص؟

بيتر : فعلاً، والآن لا بد لي أن أكلمك صراحة بصفة نهائية إلى الآن حاولت أن أتجنب هذه الصراحة، لأنني أعلم

أنك سريع التهيج. أما الآن فلا بد لي أن أقول لك الحق الصراح يا توماس، أنت لا تدري أى ضرر توقعه على رأسك بنزقك. أنت تشكو من أولى الأمر، بل إنك لتشكو حتى من الحكومة. أنت دائم الطعن عليهم، ولا تفتقر عن القول بأنك مهمّل مضطهد، ولكن ماذا ينتظر غير ذلك من رجل مثلك شكس؟

الدكتور : ثم ماذا!! شكس؟ أنا؟

بيتر : نعم، يا توماس، أنت شكس جدا لا يطاق الشغل معك، أعرف هذا وغرمة على. أنت لا تبالي بالشىء الذى يجب عليك أن تبالي به، وكأنك تتسى نسياناً تاماً أنه يجب عليك أن تشكرنى لتعيينك مفتشاً صحياً للحمامات.

الدكتور : لقد كنت أستحق الوظيفة بطبيعة الحال، أنا لا سواى. كنت أول من رأى أن البلدة يمكن أن تصبح بلدة حمامات زاهية يستشفى بمائها، وكنت أول من رآها فى ذلك الوقت. ولقد جاهدت أنا وحدى مدى أعوام عديدة فى سبيل تحقيق هذه الفكرة، وكتبت وكتبت.

بيتر : لا إنكار فى ذلك، ولكن الأمور لم تكن مهياًة لتنفيذ المشروع يومئذ. وإن لم تكن تستطيع وأنت فى

أقصى البلاد أن تعرف ذلك، ولكن لما حان الوقت
الملائم أخذت المسألة أنا والآخرون فى يدى.

الدكتور : نعم، وأتيتم كل ذلك الخبط والخلط الذى شوّه جمال
مشروعى. لقد ظهرت الآن مهارتكم أيها السادة.

بيتر : يخيل إلى أنك إنما عدت تلتمس منفساً لما يجيش فى
صدرك من الخصومة واللد. أنت تريد أن تتقاتل مع
رؤسائك وهى عادة فىك قديمة. أنت لا تطيق أن
يكون عليك لأحد سلطة. تنظر شذراً دائماً إلى كل
من هو فى مرتبة رسمية أعلى من مرتبتك، تنظر
إليه كأنه ألد أعدائك، وعليه فكل عصا تلقاها تكون
صالحة لضربه بها. ولكنى الآن قد لفتك إلى أن
مصالح البلدة رهن الخطر، وبالمصادفة مصالحي
أيضاً، وعليه فلا بد لى أن أخبرك أنك ستجدنى ثابتاً
صلباً فيما أنا على وشك أن أطلب إليك فعله.

الدكتور : وما هو هذا؟

بيتر : بما أنك كنت غير حصيف حين تحدثت إلى الغرباء
فى هذه المسألة الدقيقة، فى حين أنه كان يجب عليك
أن تعدها مسألة رسمية جدا وسرية، فقد أصبح من

المستحيل الآن إسكات الألسنة، وستنشر على الفور أنواع مختلفة من الإشاعات، وسيعمل كل من عنده علينا حفيظة على تزويق هذه الإشاعات وترويجها، وعليه فلا بد لك من إنكارها وتكذيبها علناً.

الدكتور : أنا! كيف؟ إنى لا أفهم.

بيتر : إن ما يُنتظر منك فعله هو أن تعلن أنك بعد أن قمت بأبحاث أخرى وجدت أن المسألة ليست من الخطورة ولا من الحرج بالدرجة التي زعمتها أول الأمر.

الدكتور : أهذا ما تنتظره منى؟

بيتر : أجل، وفوق ذلك ننتظر منك أن تُقر علناً بتفكك باللجنة، وبأنها على استعداد تام للنظر بعين الاهتمام والعناية فيما يلزم لملاقة ما يحتمل وجوده من العيوب.

الدكتور : ولكنكم لن تستطيعوا أن تفعلوا ذلك بالترقيع والرفق. محال! صدقتى يا بيتر، إنى أعنى ما أقول صراحة وتأكيذاً.

بيتر : ليس لك الحق وأنت موظف تحت أمر اللجنة أن يكون لك رأى خاص.

الدكتور : (دهشاً) ليس لى الحق؟

بيتر : بصفة رسمية، لا. إذا كنت شخصاً حرّاً فالمسألة غير ذلك. أما وأنت موظف مرعوس من موظفى الحمامات فليس لك الحق فى أن تبدى رأياً يخالف رأى رؤسائك.

الدكتور : هذا كثير جداً. أنا دكتور ورجل من رجال العلم، ألا يكون لى الحق أن...؟

بيتر : ليست المسألة التى نحن فى صددها مسألة علمية مجردة، إنها مسألة مركبة، لها وجه اقتصادى كما أن لها وجهاً فنياً.

الدكتور : لا يهمنى ماهيتها، إنى عازم على التمسك بحريتى فى إبداء رأى فى أى موضوع تحت الشمس.

بيتر : كما تريد، ولكن ليس الحال كذلك إذا كان الموضوع خاصاً بالحمامات. هذا ما أنهاك عنه.

الدكتور : (يزعق) أنتم تنهونى عنه؟! أنتم؟! ثلثة من...

بيتر : أنا أنهاك، أنا رئيسك! وإذا نهيتك فلا بد لك أن تطيع.

الدكتور : (يكبح جماح نفسه) بيتر، لو أنك لم تكن أختى..

بـتـرا : (تفتح الباب بشدة) أبى ما عليك أن تحتمل هذا.

مدام ستوكمان: (تدخل وراءها) بترا! بترا!

بيتر : ها، إذن فقد كنتما تسترقان السمع!؟

كاترين : لقد كنت تتكلم بصوت عالٍ فلم يكن فى استطاعتنا...

بـتـرا : نعم، كنتُ أَسْمَعُ.

بيتر : حسن، إنى مرتاح إلى ذلك على كل حال.

الدكتور : (ذاهباً إليه) لقد كنت الآن تقول شيئاً عن النهى

والطاعة.

بيتر : لقد أجبرتنى أن أستعمل معك هذه اللهجة.

الدكتور : وعليه فلا بد لى أن أكذب نفسى على رعوس

الأشهاد.

بيتر : نحن نرى ضرورةً وحتماً أن تعلن بلاغاً من قبيل ما

ذكرت.

الدكتور : وإذا أنا لم... أطاوع؟

بيتر : إذن فنحن أنفسنا ننشر بلاغاً نطمئن به الجمهور.

الدكتور : حسن، ولكنى فى هذه الحالة سأستعمل قلمى ضدكم.

إنى ثابت على ما قلت، سأبين أنى على حق وأنكم

على باطل؛ فماذا أنتم فاعلون بعد ذلك؟

بيتر : إذن فلن أكون قادراً على منع عزلك.

الدكتور : ماذا؟

بترا : أبى! يعزل!؟

كاترين : يعزل!؟

بيتر : يعزل من بين موظفى الحمامات. سأكون مضطراً إلى

اقتراح أن تُعطى إعلاناً بعزلك على الفور، وأن لا

يسمح لك بالاشتراك بعد ذلك فى شؤون الحمامات.

الدكتور : مثلك من يجرؤ على مثل هذا.

بيتر : إنما أنت الجريء لا أنا.

بترا : عمى! من العار أن تعامل رجلاً مثل أبى هذه

المعاملة.

كاترين : بترا! اخرسى.

بيتر : (ناظراً إلى بترا) أوه، إذن فقد دخلنا فى دور التطوع

بالآراء! بالطبع. (إلى كاترين) كاترين، إنى أرى أنك

أعقل إنسان فى هذا المنزل، استعملى كل ما لك من

التأثير فى زوجك وأبينى له ماذا يترتب على فعله

من الأضرار به وبعائلته.

الدكتور : عائلتى شأنى لا شأن غيرى.

- بيتر** : بعائلته كما كنت أقول، وكذا بالبلدة التي يعيش فيها.
- الدكتور** : إذا كان فى البلدة من يهتم بها فهو أنا. أريد أن أكشف عن العيوب التى لا بد أن ينكشف أمرها يوماً ما قريباً أو بعيداً وسأرى الناس أنى أحب بلدى.
- بيتر** : أنت! الذى تريد بعنادك الأعمى أن تقطع عن البلدة أهم موارد خيرها؟
- الدكتور** : هذا المورد مسموم يا رجل. أنت مجنون!! إن معيشتنا على توزيع الأقدار والأوضار. كل حياتنا البلدية الزاهرة تستعيد وجودها من أكذوبة...
- بيتر** : كل هذا وهم، أو شىء أقبح من الوهم. والرجل الذى يرمى بلده بمثل هذه التهم الشنيعة لا بد أن يكون عدواً للشعب.
- الدكتور** : (ذاهباً إليه) أتجرؤ أن...؟!
- كاترين** : (تلقى نفسها بينهما) توماس.
- بتيرا** : (قابضة على ذراع أبيها) لا، هدى جأشك يا أبى.
- بيتر** : لن أعرض نفسى للصدام، ها أنت ذا قد أتاك الإنذار ففكر فيما يجب عليك لنفسك ولذويك. الوداع. (يخرج).

الدكتور : (تمشياً هنا وهناك) أيجدر بي أن أحتمل معاملة

كهذه؟ وفى بيتى يا كاترين؟! ما رأيك فى هذا؟

كاترين : حقا إنه لعيبٌ ونكرٌ معاً يا توماس.

بترا : آه. لو أننى أستطيع أن أبدى لعمى بعض رأبى فيه.

الدكتور : الذنب ذنبى. كان يجب أن أهبَّ فيه من زمن بعيد

وأكثُر له عن أنيابى، وأزجره. يسمينى عدو

الشعب؟! أنا؟ لن أتجاوز عن هذه الفرية، محال

وشرفى.

كاترين : ولكن يا عزيزى توماس، أخوك فى جانبه القوة.

الدكتور : وأنا فى جانبى الحق، أؤكد لك.

كاترين : الحق! الحق! ما فائدة أن يكون فى جانبك الحق إذا

لم تكن معك القوة؟

بترا : وى، أمى! كيف تقولين هذا الكلام!؟

الدكتور : أنت ترين أنه لا فائدة من أن يكون الحق فى جانب

الإنسان فى بلد حر؟ أمرك عجيب يا كاترين. ومع

ذلك، أليست الصحافة الحرة المستقلة فى طليعة

الطريق، والغالبية العظمى من ورائى؟ أرى فى ذلك

قوة كافية!

كاترين : ولكن، يا لله، توماس إنك لا تعنى أنك...

الدكتور : لا أعنى ماذا؟

كاترين : أن تتصب نفسك لمناهضة أخيك.

الدكتور : بالله خبرينى، ماذا تظنين أنى فاعل إلا أن أقف

موقف الحق والصدق؟

بترا : أجل، هذا ما كنت على وشك أن أقوله.

كاترين : ولكن هذا لا يفيدك فائدة دنيوية. إذا كانوا لا يريدون

العمل بفكرتك. فإنهم لن يعملوا عليها.

الدكتور : أوه، كاترين، أعطينى الوقت وأنا أريك كيف أحاربهم

فى عقر دارهم.

كاترين : أجل، تحاربهم فى عقر دارهم ولا تأخذ إلا خطاب

عزلك، هذا ما أنت فاعل.

الدكتور : سأكون قد قمت على كل حال بواجبى للجمهور

وللمجتمع، أنا الذى أسمى عدواً له.

كاترين : وأين واجبك نحو عائلتك يا توماس؟ نحو بنيك أنت

نفسك، أترى أنك بهذا تؤدى واجباً لمن تعول؟

بترا : لا تفكرى على الدوام فينا أولاً يا أمى.

كاترين : يسهل عليك أن تتكلمي، أنت قادرة على تحصيل عيشك بنفسك إذا اقتضى الحال، ولكن تذكر أولادك يا توماس، وفكر قليلاً في نفسك أنت أيضاً، وكذلك فيّ.

الدكتور : أظن أنك فقدت رشذك يا كاترين. إذا أنا بلغت من الخسة والجبن حد الذهاب والجثو أمام بيتر وعصبته السافلة، أظننني أني أعرف طعاماً لراحة الضمير طول عمري بعدها؟

كاترين : لا أعرف شيئاً عن هذا ولكني أدعو الله أن يحميننا من راحة الضمير التي ستكون لنا على كل حال إذا استمررت على مناهضته! ستجد نفسك معدماً مرة أخرى لا تملك وسيلة القوت ولا إيراد لك تعتمد عليه. أظن أننا نلنا الكفاية من هذا في الزمن السابق تذكر هذا يا توماس وفكر في معناه.

الدكتور : (يسكن نفسه بالجهد ويشد على قبضة يده) وهذا ما تجلبه هذه العبودية على رجل حر شريف! أليس هذا منكرًا يا كاترين؟

كاترين : حقاً إنه لحرام أن يعاملوك هكذا. لا. حرام حقاً ولكن وأسفاه! على المرء أن يصبر لكثير من المظالم في

هذه الدنيا. هاك الأولاد يا توماس. انظر إليهم. ماذا يحل بهم؟ لا. لا، لا يطاوعك قلبك. (إيليف ومورتون يكونان قد دخلا أثناء كلامهما وكتبهما المدرسية في أيديهما).

الدكتور : الأولاد! (يتبته على حين فجأة) كلا. ولو تهشمت الدنيا جميعها، لن أحنى رأسى لهذا النير.
(يذهب صوب غرفته).

كاترين : (تبعه) توماس، علام عولت؟
الدكتور : (عند الباب) عولت على أن أستبقى لنفسى الحق فى النظر إلى وجوه أولادى، يوم يكبرون ويصيرون رجالاً. (يدخل غرفته).

كاترين : (تندفع باكية) الله يسترنا جميعاً.
بترا : أبى رجل عظيم. إنه لن يسلم. (الأولاد ينظرون دهشين وبترا تشير إليهم إشارة الإسكات).

«اتتهى الفصل الثانى»

الفصل الثالث

المنظر :

مكتب تحرير «رسول الشعب» باب الدخول إلى يسار الجدار الخلفى. ويوجد إلى اليمين باب آخر ذو ألواح من الزجاج تبدو منه صناديق الطَّبَّاعين. وهناك باب في الجدار الأيمن. وفي وسط الغرفة منضد كبير مغطى بالأوراق والجرائد والكتب. وفي مقدمة المرزح من اليسار نافذة أمامها مكتب وكرسی عالٍ، وهناك متكآن (فوتيلان) على جانبي المنضد، وعدة كراسى مرصومة إلى جانب الجدار، والغرفة ضئيلة النور لا تتوفر فيها أسباب الراحة، والأثاث فيها قديم والكراسى ملوثة وممزقة.

في غرفة المطبعة يُرى الجمَّاعون مشغولين، وكذلك يُرى طباع يشتغل على مطبعة يد... هوفستاد جالس يكتب. يأتي بيلنج من اليمين ومعه مسودة مقالة الدكتور ستوكمان.

بيلنج : يجب أن أقول!

هوفستاد : (وهو مشغول بالكتابة) هل قرأتها؟

بيلنج : (يضع المسودة على المكتب) أجل ، فعلاً.

- هوفستاد : ألا ترى أن الدكتور يضربهم ضربات قوية؟
- بيانج : يا مغيث... إنها هاشمة. كل كلمة تقع كأنها، ماذا أقول، كأنها مطرقة.
- هوفستاد : نعم، ولكن هؤلاء الناس ليسوا ممن ينثون تحت أول ضربة.
- بيانج : هذا صحيح، ولهذا يجب أن نضربهم مرة بعد أخرى حتى ينهار بناء تلك الأرستقراطية حجراً فوق حجر. لقد خيلَ إليّ وأنا أقرأ هذه المقالة أن الثورة على الأبواب.
- هوفستاد : (يتلفت) هس. صه. تكلم بحيث لا يسمعك أسلاكسن.
- بيانج : (يخفض صوته) أسلاكسن ذو قلب كقلب الدجاج جبان، ليس فيه من صفات الرجولة شيء. ولا بد لك هذه المرة أن تُصرَّ على تنفيذ رأيك. أليس كذلك؟ لا بد من نشر مقالة الدكتور.
- هوفستاد : نعم، وإذا لم يوافق العمدة عليها...
- بيانج : سيكون من وراء ذلك نصب كبير.
- هوفستاد : إيه. من حسن الحظ أننا نستطيع أن نستفيد من هذا الموقف مهما كانت النتائج. إذا لم يوافق العمدة على

مشروع الدكتور أصبح صغار أرباب الحرف كلهم ضدًا له، وكل أعضاء جمعية أصحاب الأملاك وأضرابهم. وإذا وافق على المشروع فإنه يستغضب الجمهور الأعظم من أصحاب الأسهم الكبار فى الحمامات، وهم إلى الآن أقوى أنصاره.

بيّن : نعم، لأنهم سيضطرون بكل تأكيد أن يدفعوا من جيوبهم ثمن الإصلاح.

هوفستاد : هذا ما لا بد أن يحدث، فأنت ترى أن رابطتهم لا بد أن تنفصم بهذه الطريقة. وعليه فإننا نستطيع أن ننشر فى كل عدد من الجريدة نبذة للدلالة على عدم كفاءة العمدة. مسألة بعد مسألة، ونبين للجمهور بأوضح عبارة ضرورة وضع كل وظائف المسئولية ومراقبة شئون البلدة برمتها فى أيدي الأحرار.

بيّن : هذا هو الحق! هذا هو. إنى أرى الساعة آتية. الساعة آتية، نحن على حافة الثورة!
(يُسمع دق على الباب)

هوفستاد : هش. صه. (ينادى) ادخل! (يدخل الدكتور ستوكمان من باب الشارع، يذهب هوفستاد للقائه) آه. أهو أنت يا دكتور؟! خيرًا!؟

الدكتور : لك الآن أن تشرع في العمل وتشرها يا سيد هوفستاد.

هوفستاد : وصلت المسألة إلى هذا، إذن.

بيلينج : مرحى!

هوفستاد : نعم، انشرها. فعلاً وصلت المسألة إلى هذا الحد... لا بد لهم الآن أن يأخذوا ما يستحقون. سيحدث في البلدة نضال يا مستر بيلنج.

بيلينج : أمل أن يكون قتالاً بالسكاكين، سنضع السكاكين على حلوقهم يا دكتور.

الدكتور : هذه المقالة فتح باب فقط، لقد أعددت في رأسى أربع مقالات أو خمساً. أين أسلاكسن؟

بيلينج : (ينادى داخل غرفة المطبعة) أسلاكسن! تعال هنا دقيقة.

هوفستاد : أربع مقالات أو خمساً. تقول؟ في نفس الموضوع؟

الدكتور : لا يا عزيزى، لا، إنها بشأن موضوع يكاد يكون غير موضوعنا. ولكنها متفرعة جميعها على موضوع مياه الشرب والصرف... شىء يودى إلى شىء. أليس كذلك؟ الأمر أشبه شىء بهدم بيت قديم بالضبط.

- بيلنج** : حقًا. حقًا. لا تجد أنك انتهيت حتى تكون قد هدمت البيت القديم الدارس كله.
- أسلاكسن** : (داخلاً) هدم! عسى أن لا يكون قصدك هدم الحمامات يا دكتور.
- هوفستاد** : كلا. كلا، لا تخش بأسًا.
- الدكتور** : لا، نحن نعنى شيئاً غير هذا بتاتاً. ما رأيك فى مقالتي يا مستر هوفستاد؟
- هوفستاد** : أرى أنها آية من الآيات.
- الدكتور** : أترى ذلك حقًا؟ إني مسرور جدًا، مسرور جدًا.
- هوفستاد** : إنها واضحة المبني والمعنى، لا يحتاج الإنسان لفهم محمولها إلى سبق علم خاص، وسيكون معك كل رجل مستتير.
- أسلاكسن** : وكل رجل حكيم، على ما أرجو.
- بيلنج** : الحكيم وغير الحكيم، جميع أهل البلدة تقريباً.
- أسلاكسن** : فى هذه الحالة نستطيع أن نجرؤ فنطبعها.
- الدكتور** : أظن ذلك.
- هوفستاد** : سننشرها فى عدد الغد.

الدكتور : بالطبع، لا يصح أن نضيع يوماً واحداً. إن الذى أردت أن أرجوك له يا مستر أسلاكسن هو أن تُشرف على طبعها بنفسك.

أسلاكسن : بكل ارتياح.

الدكتور : احرص عليها كأنها كنز! لا يكن بها أغلاط مطبعية. كل كلمة فيها مهمة... سأرجع إليكم مرة أخرى بعد قليل... فعسى أن تستطيعوا تجهيز تجربة. لا أستطيع أن أعبر لك عن فرط شوقى إلى رؤيتها مطبوعة، وأن أراها تتفجر فوق رأس الجمهور.

بينج : تتفجر فوق رأس الجمهور، نعم كالبرق الخاطف.

الدكتور : وأن تقدّم إلى محكمة المستبشرين من أهل بلدتى. إنك لا تدري قدر ما قاسيت اليوم، لقد هُددتُ أولاً بأمر ثم بآخر. حاولوا أن يسرقوا منى أبسط ما لى من الحقوق بصفة كونى إنساناً.

بينج : ماذا؟! ما لك من الحقوق بصفة كونك إنساناً؟

الدكتور : لقد حاولوا أن يحطّوا من كرامتى ويجعلوا منى رجلاً أخرق جباناً، ويحملونى على تقديم مصلحتى الشخصية على عقيدتى المقدسة.

- بيلاج** : هذا كثير جدا، أقسم أنه كثير جدا.
- هوفستاد** : لا تعجب لشيء يأتي من تلك الجهة.
- الدكتور** : لن يلقوا منى إلا الشر كله، ثق واطمئن. وسأجعل هذه الجريدة مرساة لى ألقى عليهم منها كل يوم مقالة بعد مقالة كالكذيفة المتقدة.
- أسلاكسن** : نعم ولكن...
- بيلاج** : مرحى! حرب! حرب!
- الدكتور** : سأضربهم حتى أهدمهم، سأهشمهم. سأكسر كل حصونهم أمام أعين جمهورنا الكريم، هذا ما سأفعله حقا.
- أسلاكسن** : نعم. ولكن بالاعتدال يا دكتور، سرفى عملك بالاعتدال.
- بيلاج** : أبداً. أبداً، لا تبخل عليهم بالديناميت.
- الدكتور** : لان المسألة كما تعلم لا تقتصر الآن على كونها مسألة مورد الماء والمصارف. لا، إن حياتنا الاجتماعية كلها محتاجة إلى التطهير والتنقية.
- بيلاج** : كلام ككلام المخلصين!

الدكتور : يجب طرد جميع الذين لا كفاءة لهم. فاهم؟ وذلك فى
أى مجال من مجالات حياتنا! لقد لاحظت لعينى اليوم
صور لا حدًّا لها. نعم، إننى لا أستطيع حتى الآن أن
أتبينها جليًّا ولكننى سأتبينها فى حينها. شبان أقوياء
يحملون العلم، هؤلاء هم الذين ننشدهم اليوم يا
إخوانى، يجب أن يتولى زمام أمورنا رجال جدد.

بيلاج : مرحى، مرحى!

الدكتور : لسنا فى حاجة إلا إلى أن يقف بعضنا إلى جانب
بعض ليسهّل كل عسير، سندفع الثورة كالسفينة التى
تدلى إلى الماء مزدلفة. ألا ترى ذلك؟

هوفستاد : أما أنا فأعتقد أن لدينا الآن ما يدل على أن سلطة
البلدة ستصبح فى الأيدى الجديرة بها.

أسلاكسن : وإذا سرنا باعتدال فلا مخاطرة فى شيء.

الدكتور : ومن ذا الذى يهتم بأمر المخاطرة أو غير المخاطرة؟
إن ما أنا فاعله أفعله باسم الحق ولأجل راحة
ضميرى.

هوفستاد : أنت رجل تستحق أن تُنصر، يا دكتور.

أسلاكسن : نعم. لا شك في أن الدكتور صديق صادق للبلدة،
صديق حقيقي للمجتمع، هذا هو الواقع.

بيلنج : صدقتي يا أسلاكسن الدكتور ستوكمان هو صديق
الشعب.

أسلاكسن : يُخَيَّلُ إلى أن جمعية أرباب الأملاك ستستعمل هذا
التعبير في وصف الدكتور عما قريب.

الدكتور : (متأثراً، يقبض على أيديهم) أشكركم يا أصدقائي
الأقوياء، إنه لينعشني أن أسمعكم تقولون هذا. لقد
نعنتي أحياناً نعتاً خلاف ما تذكرون، أما والله لأردنَّ
إليه هذا بربحه. يجب على أن أنهض لأزور مريضاً
وسأعود إليكم كما قلت. اعتن شديد الاعتناء بمسودة
المقالة يا أسلاكسن، وإياك بحال من الأحوال أن
تترك علامة من علامات التعجب وغير ذلك، تزدها
واحدة أو اثنتين إذا شئت... عظيم، عظيم! هه. إلى
اللقاء! وموقتاً إلى اللقاء، إلى اللقاء.

(يذهبون لتوديعه إلى الباب وينحنون له)

هوفستاد : قد يأتي من ورائه نفع كبير لنا.

أسلاكسن : نعم، ما دام لا يتخطى مسألة الحمامات هذه، أما إذا تخطاها وأوغل فى الميدان فإنى لا أرى من المستصوب أن نتبعه.

هوفستاد : (يهمهم) هذا يتوقف على...

بينج : أنت هيّابة يا أسلاكسن.

أسلاكسن : نعم، إذا كانت المسألة تمس رجال الإدارة المحليين فأنا هيّابة يا مستر بينج. هذا درس تعلمته فى مدرسة التجاريب. دعنى أقل لك ذلك. أما المسائل السياسية العليا التى لها علاقة بالحكومة نفسها فجربنى فيها ثم انظر هل أنا هيّابة أو لا.

بينج : لا ، لست هيّابة. أسلم لك، ولكنك تناقض نفسك.

أسلاكسن : إنى رجل ذو ضمير، وهذا هو الموضوع كله. إذا أنت طعنت رجال الحكومة فإنك لا تؤذى المجتمع أبداً، لأن هؤلاء الأشخاص لا يهتمون بالمطاعن بتاتاً بل يستمرون فى طريقهم كما كانوا بغير ملكهم، أما رجال الإدارة البلدية المحليون فهم صنف آخر فى طاقتك طردهم، ولكن ربما أتيت يوماً بفريق جاهل يتولى زمام العمل فيُحدث أضراراً أو ينزل بأرباب الأملاك وغيرهم خسائر لا تُعوّض.

هوفستاد : ولكن ما قولك فى تربية مواطنيك بالحكم الذاتى؟ ألا تعلق أهمية على هذا؟

أسلاكسن : إذا كانت للإنسان مصالح خاصة تستوجب الصيانة فإنه لا يستطيع أن يفكر فى كل شىء، يا مستر هوفستاد!

هوفستاد : إنى أرجو أن لا تكون لى مصالح خاصة تلزمنى صيانتها.

بينج : مرحى، مرحى!

أسلاكسن : (بابتسام) هم. (يشير إلى المكتب) لقد كان المستر ستزجارد سلفاً لك على هذا المكتب فى رياسة التحرير.

بينج : (باصقاً) باه، ذلك المتلون المذبذب؟

هوفستاد : لست كدوارة الرياح ولن أكونها.

أسلاكسن : يجدر بالسياسى أن لا يقطع بشىء يا مستر هوفستاد. وأنت يا مستر بينج، أرى أنه قد حان الوقت الذى يجدر بك فيه أن تطوى من شراع سفينتك قطعة أو اثنتين ما دمت قد قدمت طالباً لوظيفة سكرتير المحكمة الخالية.

بينج : أنا!؟

هوفستاد : (لبينج): أحقًا يا بينج؟

بينج : نعم، صحيح. ولكن يجب أن تعلم أنى إنما فعلت ذلك لأعيط أولئك المتعصبين.

أسلاكسن : على كل حال، لا يهمنى هذا. ولكن إذا اتهمنى أحد بالجبن وبعدم الثبات على مبدئى فهذا ما أريد أن أقوله، إن ماضىً السياسى كتاب مفتوح. لم أتغير بتاتا، اللهم إلا لأصبح معتدلاً قليلاً. إن قلبى لا يزال مع الشعب، ولكنى لا أنكر أن فى فؤادى شيئاً من الميل إلى وُلاة الأمر، الولاية المحليين أعنى. (يذهب إلى غرفة المطبعة).

بينج : ألا يجدر بنا أن نعمل على الخلاص منه يا هوفستاد؟

هوفستاد : أتعرف شخصاً سواه يقدم لنا المال اللازم لشراء الورق ودفع أجرة الطبع؟

بينج : من أعظم البلاء أننا لا نملك شيئاً من رأس المال للاشتغال به.

هوفستاد : (جالساً إلى مكتبه) فعلاً، لو كان عندنا رأس مال،
إذن...

بيانسج : ما رأيك في الالتجاء إلى الدكتور ستوكمان؟
هوفستاد : (يقلب أوراقاً أمامه) وما الفائدة؟ الرجل لا يملك
شيئاً.

بيانسج : لا، ولكن وراءه رجلاً مليئاً، مورتن كيل العجوز
الذى يسمونه إليغر.

هوفستاد : (يكتب) أنت متأكد أنه غني؟

بيانسج : يا إلهي؟! بالطبع غني، وسيكون جزء من ما له
لعائلة ستوكمان، ومن المحتمل جداً أن يعمل شيئاً من
أجل الأولاد على كل حال.

هوفستاد : (يلتفت نصف التفات) أنت معتمد على هذا؟

بيانسج : معتمد؟! أنا لا أعتد على شيء بالطبع.

هوفستاد : مرحي، وأنا أيضاً لا أعتد على سكرتارية المحكمة
لو كنت مثلك. إنك لن تحصل على هذه الوظيفة أوكد
لك.

بيانسج : أتظن أني لست واثقاً من ذلك؟ إن جوهر قصدي هو
أن لا أحصل عليها. قليل من هذا ينبئه قوى الإنسان

للقتال، فهو أشبه شيء بتعاطيك مقداراً جديداً من
مرارة الغلّ. وإنى أعتقد أن الواحد منا فى مكان
كهذا، حيث يندر أن يحدث شيء يحرك الإنسان،
محتاج إلى مثل هذا المنبه القوى.

هوفستاد : (يكتب) صحيح، صحيح.

بيلاج : آه، سيكون لى نبأ عما قريب. والآن أنا ذاهب لكتابة
نص الدعوة إلى جمعية أرباب الأملاك. (يذهب
داخلاً الغرفة الواقعة إلى اليمين).

هوفستاد : (جالساً إلى مكتبه يعصّ فى طرف ريشته ويقول على
مهل) هم! هو كذلك (تسمع دقة على الباب)
تفضل. (تدخل بترا من الباب الخارجى، ينهض
هوفستاد) ما هذا! أنت! هنا؟

بترا : أجل، أرجو معذرتى.

هوفستاد : (ساحباً كرسيّاً إلى الأمام) ألا تجلسين؟

بترا : لا، لا بد لى من الذهاب على الفور، أشكرك.

هوفستاد : لعلك آتية فى رسالة من الوالد؟

بترا : لا، لقد أتيت بملكى. (تتناول كتاباً من جيبتها) هذه هى

الرواية الإنجليزية.

هوفستاد : لماذا تردّينها إلىّ؟

بترا : لأنى لا أنوى أن أترجمها.

هوفستاد : ولكنك وعدتني بذلك.

بترا : نعم، ولكنى لم أكن قرأتها، ولا أظن أنك أيضاً قد قرأتها.

هوفستاد : لا، أنت تعلمين أنى لا أعرف الإنجليزية ولكن...

بترا : صحيح، ولهذا أردت أن أخبرك أنه يجدر بك أن تقدم شيئاً آخر. (تضع مجلد الرواية على المكتب). إنك لا تستطيع أن تنشر هذه الرواية فى جريدة رسول الشعب.

هوفستاد : ولماذا؟

بترا : لأنها تناقض كل آرائك.

هوفستاد : أوه، من هذه الوجهة!

بترا : إنك لم تفهم قصدى. إن محمول هذه الحكاية أن هناك قوة خارقة للطبيعة تتولى العناية بمن يسمونهم «الناس الأخيار» فى هذه الدنيا، وتجعل كل شىء فى النهاية على هواهم، أما من يسمونهم «الناس الأشرار» فيلقون جزاءً محتملاً.

هوفستاد : هذا ما يريده قرأونا بعينه.

بـتـرا : أو تتوى أن تكون أنت الواسطة فى وصول هذا إليهم؟ أما أنا فإنى لا أومن بشيء من هذا. أنت تعلم حق العلم أن الأمور لا تحدث كذلك فى عالم الحقيقة.

هوفستاد : أنت على تمام الحق، ولكن المحرر لا يستطيع دائماً أن يعمل على ما يشتهى. إنه مضطر أحياناً إلى أن يحنى رأسه للجمهور فى المسائل التى لا تكون مهمة. الأمور السياسية هى أهم الأمور فى الحياة فى نظر الجرائد على كل حال. وإذا كنت أريد أن آخذ قرأئى معنى فى السبيل المؤدية إلى الحرية والفلاح فالواجب ألا أذعرهم. إذا وجد القراء قصة خلقية من هذا القبيل فى أسفل الصحيفة كانوا أقرب إلى قراءة ما هو مطبوع فوقها، يشعرون أنهم إذ ذاك آمن موقفاً وأسلم مكاناً.

بـتـرا : يا للعار! إنه لا يجمل بك أن تتصب أحبولة كهذه لقرائك. إنك لست عنكبوتاً!

هوفستاد : (باسمًا) شكرًا لك على حسن ظنك بى. لا. الواقع أن
الفكرة لبيلنج لالى.

بترا : فكرة بيلنج؟

هوفستاد : نعم، على كل حال لقد طرح هذه الفكرة هنا يومًا من
الأيام، وهو الذى يشتهى أن تُنشر هذه الرواية بالذات
فى جريدتنا، إنى لا أعرف شيئًا عن موضوعها.

بترا : ولكن كيف يقدر بيلنج وهو من ذوى الأذهان الحرة
والآراء الطليقة؟

هوفستاد : أوه، بيلنج رجل كثير النواحي، إنه متقدم لوظيفة
سكرتير المحكمة أيضًا، كذلك سمعت.

بترا : لا أصدق هذا يا مستر هوفستاد. كيف يسمح لنفسه
أن يفعل شيئًا كهذا؟

هوفستاد : آه، هذا يجب أن يُسأل عنه بيلنج نفسه!

بترا : ما كان يخطر لى عنه مثل ذلك.

هوفستاد : (ينظر إليها متمنعًا) أبدًا؟ أيدعشك الأمر جدا؟

بترا : نعم، أو لعله ما كان يدعشنى قط. أوكد لك أنى لا
أدرى تمامًا.

هوفستاد : نحن الصحفيين لا نساوى شيئاً كثيراً يا مس ستوكمان.

بترا : أنت تعنى ذلك حقيقة؟

هوفستاد : أرى ذلك أحياناً.

بترا : نعم، لعل ذلك إنما يكون فى أمور الحياة العادية، أستطيع أن أفهم ذلك. أما الآن وقد تناولت مسألة ذات بال...

هوفستاد : مسألة أبيك، تقصدين؟

بترا : بعينها، يُخيلُ إليّ أنه يجب عليك أن تدرك أنك رجل تقوم بأكثر ما يقوم به الأكثرون.

هوفستاد : نعم، اليوم أشعر أننى شىء من هذا القبيل.

بترا : بديهى أن تشعر بذلك، أليس الواقع هذا؟ لقد اخترت لنفسك أجلاً مهمة، أن تمهد الطريق لسير الحق الذى لا يقدره الناس، ولأفكار الجديدة الجريئة التى لم تعتقدها العقول، لعمري لو لم يكن إلا أنك تقف فى العراء شجاعاً تنصر مبدأ رجل مظلوم...

هوفستاد : ولاسيما إذا كان هذا الرجل المظلوم. (يهمهم) لست أعرف فى الحقيقة كيف...

بترا : تقصد ولاسيما إذا كان هذا الرجل على مثل هذه الاستقامة والنزاهة.

هوفستاد : (بزيادة في التلطف) أردت أن أقول ولاسيما إذا كان هذا الرجل أباك.

بترا : (تؤخذ على حين بغتة) هذا؟

هوفستاد : نعم، يا بترا، يا مس بترا.

بترا : أهذا هو السبب الأول المقدم عندك، وليس الموضوع نفسه، وليس ما فيه من الصدق، وليس ما يعي أبى من قلب كريم نبيل؟

هوفستاد : بالطبع، مؤكد هذا أيضا.

بترا : شكراً لك... لا، لقد فضحت نفسك، لن أثق بك بعد اليوم فى شيء.

هوفستاد : أيمكن أن يسوءك العلم بأنى من أجلك... بالأكثر...

بترا : إن الذى يغضبنى منك أنك لم تكن شريفاً حيال أبى، لقد كنت تتحدث معه كأنما الحق والمصلحة العامة كانا يميلان عليك الحديث. لقد استغفلته واستغفلتني أيضاً، لست أنت الرجل الذى صورته لأعيننا. من أجل هذا لن أعفر لك ولن أعفو، محال.

هوفستاد : لا يحسن بك أن تكلميني بهذه الشدة يا مس بترا،
ولاسيما الآن.

بترا : ولماذا لا يجمل الكلام الان، بالذات؟!

هوفستاد : لأن أباك لا يستطيع أن يعمل عملاً بغير مساعدتي.

بترا : (تنظر إليه من فرعه إلى قدمه) أنت من هذا الصنف
من الناس؟ يا للعار!

هوفستاد : كلا. كلا، لست كذلك. لقد أخذت على حين فجأة،
صدقيني.

بترا : إنى أعرف أى شىء أصدق، سلام عليك.

أسلاكسن : (يأتى من غرفة المطبعة مسرعاً وعليه سيما الدهشة)
ياللعنة يا هوفستاد. (يرى بترا) أوه! هذا شىء
مخرج.

بترا : هذا هو الكتاب، أعطه لإنسان سواى. (تذهب صوب
الباب).

هوفستاد : (يتبعها) ولكن يا مس ستوكمان.

بترا : الوداع. (تخرج).

أسلاكسن : اسمع يا مستر هوفستاد.

هوفستاد : طيب. طيب، ما وراءك؟

أسلاكسن : العمدة فى غرفة المطبعة.

هوفستاد : العمدة!؟ تقول؟

أسلاكسن : نعم إنه يريد أن يتحدث معك. أتى من الباب الخلفى
لم يرد أن يراه أحد. أتفهم؟

هوفستاد : ترى ماذا يريد؟ تمهل، سأذهب أنا بنفسى. (يذهب
إلى باب غرفة المطبعة. يفتحه وينحنى ويدعو بيتر
ستوكمان إلى الدخول) خذ بالك يا أسلاكسن، لا
يدخل علينا أحد.

أسلاكسن : معلوم، معلوم. (يخرج داخلاً غرفة المطبعة).

بيتر : لم تكن تنتظر أن ترانى هنا يا مستر هوفستاد.

هوفستاد : أقرُّ بذلك فعلاً.

بيتر : (ينظر إلى ما حوله) أنت مستكن هنا، محل لطيف
جدا.

هوفستاد : أوه...

بيتر : وها أنا ذا قد أتيت بغير استئذان أستنفدُ وقتك !

هوفستاد : إنى فى خدمتك على كل حال يا حضرة العمدة، ولكن

دعنى أخفف عنك هذه. (ياخذ قبة بيتر وعصاه

ويضعهما على كرسى) ألا تتفضل بالجلوس؟

بيتر : (يجلس بجوار المكتب) شكراً. (يجلس هوفستاد) لقد حدث لى ما ضايقتنى اليوم مضايقة شديدة يا مستر هوفستاد.

هوفستاد : حقاً؟ آه، أظن أنه مع الأعمال الكثيرة التى تنتظر فيها...

بيتر : إن المفتش الصحى الموكّل بالحمامات هو سبب ما حصل اليوم.

هوفستاد : حقاً؟ الدكتور؟!؟

بيتر : كتب للجنة الحمامات شبه تقرير فى موضوع بعض عيوب زعم وجودها فى الحمامات.

هوفستاد : كتب فعلاً؟

بيتر : نعم، ألم يخبرك؟ أظن أنه قال لى...

هوفستاد : آه، نعم، أجل، ذكر لى شيئاً بشأن...

أسلاكسن : (آتياً من غرفة المطبعة) أوه، أريد المسودة.

هوفستاد : (بغضب) إحم، هاهى ذى على المكتب.

أسلاكسن : (يأخذها) حسن.

بيتر : تمهل قليلاً، هذا هو الشئ الذى كنت أتكلم فيه.

أسلاكسن : نعم، هذه مقالة الدكتور يا حضرة العمدة.

هوفستاد : أوه، أهذا ما كنت تتكلم عنه؟

- بيتر** : نعم، هو بعينه. ما رأيك فيه؟
- هوفستاد** : أنا بالطبع رجل عادى، ولم أطلع على المقالة إلا مروراً.
- بيتر** : ولكنك ستنتشر المقالة.
- هوفستاد** : لا أستطيع بسهولة أن أبى على رجل فاضل..
- أسلاكسن** : ليست رياضة تحرير الجريدة من اختصاصى يا حضرة العمدة.
- بيتر** : مفهوم.
- أسلاكسن** : إنى إنما أطبع ما يُعطى إلى.
- بيتر** : معلوم.
- أسلاكسن** : وعليه فيجب على... (يذهب نحو غرفة المطبعة).
- بيتر** : لا ، بل تمهل قليلاً يا مستر أسلاكسن. أسمح لى يا مستر هوفستاد؟
- هوفستاد** : كما تشاء يا حضرة العمدة.
- بيتر** : أنت يا مستر أسلاكسن رجل عاقل وبصير.
- أسلاكسن** : يزهينى أن ترى ذلك يا سيدى.
- بيتر** : وفضلاً عن ذلك فأنت رجل ذو سلطة عظيمة جداً.
- أسلاكسن** : وبخاصة بين صغار أهل الحرف يا سيدى.

بيتر : إن صغار دافعى الضرائب هم الغالبية هنا كما فى كل مكان آخر.

أسلاكسن : هذا صحيح.

بيتر : ولا شك عندى فى أنك أعرف الناس بميولهم. ألسنت كذلك؟

أسلاكسن : نعم، كذلك. أظن أنى أستطيع القول إنى أعرف يا حضرة العمدة.

بيتر : أجل، وعليه فإنه إذ يوجد بين المواطنين الذين هم أقل ثروة من إخوانهم فى البلدة روح تضحية محمودة كما أرى فإنى...

أسلاكسن : كيف هذا؟

هوفستاد : روح تضحية؟

بيتر : هذا برهان عظيم على وجود شعور وطنى عام، برهان يدعو إلى الزهو والتفاخر، بل أكاد أقول إنى لم أكن أنتظره، بيد أنكم أعرف بالرأى العام منى.

أسلاكسن : ولكن يا حضرة العمدة...

بيتر : الواقع أن الأمر سيقضى من البلدة تضحية ليست صغيرة.

هوفستاد : البلدة؟

أسلاكسن : إني لا أفهم، أهو موضوع الحمامات؟

بيتر : بالتقدير الإجمالى وُجِدَ أن التغييرات التى يقول
الدكتور بضرورة إجرائها تقتضى حوالى عشرين
ألف جنيه.

أسلاكسن : هذا مبلغ كبير، ولكن...

بيتر : سيكون من الضرورى بالطبع أن نعقد سُلْفَة بلدية.

هوفستاد : (ناهضاً) لست تعنى بالطبع أن البلدة ستدفع...

أسلاكسن : أتقصد أن هذه السُلْفَة لا بد أن تؤخذ من أموال
البلدية، من جيوبنا الخالية نحن صغار أرباب
الحرف؟

بيتر : يعنى يا عزيزى مستر أسلاكسن، من أين إذن
نحصل على المال؟

أسلاكسن : السادة الذين يملكون الحمامات يجب أن يقدموا المال
اللازم.

بيتر : أصحاب الحمامات ليسوا على استعداد للقيام بنفقات
أخرى.

أسلاكسن : أهذا صحيح لا شك فيه يا حضرة العمدة؟

بيتر : لقد ثبت لى أن الواقع كذلك، فإذا أرادت البلدة هذه
الإصلاحات الواسعة فلا بد لها من دفع قيمتها.

اسلاكسن : ولكن، الله يلعن هذه الحكاية. أرجوك المعذرة، هذا
موضوع آخر يا مستر هوفستاد.

هوفستاد : حقيقة؟

بيتر : بل أنكى شىء فى الأمر أننا سنضطر مع ذلك أن
نقل الحمامات مدة سنتين كاملتين.

هوفستاد : نقلها؟ نقلها بتاتا؟

اسلاكسن : سنتين؟

بيتر : نعم، إن العمل اللازم يتطلب كل هذه المدة على
الأقل.

سلاكسن : لعنت، إن كنا نستطيع أن نتحمل هذا يا حضرة
العمدة. على أى شىء نعيش إذن نحن أصحاب
المنازل فى هذه الأثناء؟

بيتر : من سوء الحظ أن هذا سؤال يصعب الجواب عليه
جدا يا مستر أسلاكسن. ولكن ماذا نعمل نحن؟ أتظن
أننا سنملك أن نرى وجه سائح واحد فى البلدة إذا
أخذنا نذيع أن الماء عندنا ملوث وأننا عاثشون على
بؤرة طاعون، وأن البلدة من أولها إلى آخرها...

- أسلاكسن : مع أن الحكاية كلها وهم فى وهم.
- بيتر : مع منتهى حسن الظن لم أستطع أن أستنتج غير هذه النتيجة.
- أسلاكسن : إذن فيجب أن أقول إنه ما كان يليق مطلقاً بالدكتور ستوكمان... أرجو منك المعذرة يا حضرة العمدة.
- بيتر : إن ما تقوله حق يوسف له يا مستر أسلاكسن، لقد كان أخى لسوء الحظ رجلاً عنيذاً دائماً.
- أسلاكسن : وبعد هذا تريد أن تنصره يا مستر هوفستاد!؟
- هوفستاد : أخطر فى بالك لحظة أننى...؟
- بيتر : لقد وضعت خلاصة مختصرة عن الحالة كما تلوح لعينى رجل عاقل. فى هذه الخلاصة بينت كيف يمكن معالجة بعض ما يحتمل وجوده من العيوب من غير أن نوقع لجنة الحمامات فى الإفلاس.
- هوفستاد : أهى معك يا حضرة العمدة؟
- بيتر : (يعبث بجيبه) نعم، أحضرتها معى عسى أن نرى...
- أسلاكسن : يا إلهى، هذا هو.
- بيتر : من؟ أخى؟
- هوفستاد : أين؟ أين؟

هوفستاد : نعم ولكن يا دكتور...

الدكتور : إني أعرف ماذا تقصد أن تقول، أنت لا ترى أن عملي هذا كان أكثر مما يتطلبه واجبي، واجبي كوطنى طبعاً لم يكن كذلك، إني أعرف هذا كما تعرفه أنت، ولكن إخوانى فى الوطنىة، أنت تعرف ذلك. يا إلهى، فكَرِّ فى كل تلك الأرواح التى تُحسن الظن بى!

أسلاكسن : نعم، لقد كانوا حتى اليوم يُحسنون بك الظن يا دكتور.

الدكتور : وهذا الذى من أجله أخشى أنهم... هذه هى المسألة. إذا بلغت مقالتي إليهم ولاسيما الطبقات الفقيرة منهم ورنَّ فى آذانهم رنين الدعوة إلى تولى مصالح البلدة بأيديهم من الآن فصاعداً...

هوفستاد : (ناهضاً) إحم، دكتور، لا أخفى عنك أن...

الدكتور : آه، لقد عرفت أن فى الجو شيئاً، ولكنى لن أسمع عنه شيئاً، إذا كان فى النية ترويح شىء من هذا القبيل.

هوفستاد : من قبيل ماذا؟

الدكتور : أى شىء، سواء كان مظهرة تكريم لى أو دعوة أو اكتباب بشىء يقدم إلى، أو أى شىء آخر، فلا بد لك أن تعدنى وعد صدق وشرف أن توقفه. وأنت أيضاً يا مستر أسلاكسن، فاهم؟

هوفستاد : عفوك يا دكتور، فإنه يجب علينا أن نخبرك بحقيقة الحالة قريباً أو بعيداً...

(يوقفه عن الاسترسال فى الكلام دخول مسز

ستوكمان وهى تدخل من باب الشارع).

كاترين : (وقد رأت زوجها) كما قدّرت بالضبط.

هوفستاد : (ذاهب نحوها) وأنت أيضاً يا مسز ستوكمان.

الدكتور : أى شىء تريدان هنا يا كاترين؟

كاترين : أعتقد أنك تعرف لماذا أتيت هنا.

هوفستاد : ألا تجلسين؟ أو ربما كنت...

كاترين : شكراً لك. لا، لا تشغل بى. ولايسوءك مجيئى لأخذ

زوجى. إنى أم لثلاثة كما تعرف.

الدكتور : كلام فارغ، نحن نعرف ذلك.

كاترين : لن يذكر لك أحد اليوم فضل التفكير فى زوجتك

وأولادك، لو كنت تهتم بنا لما ألقيت بنا اليوم جميعاً

فى الشقاء.

الدكتور : أجنبتِ يا كاترين؟ إذا كان الرجل ذا زوجة وأولاد لا يُسمح له أن يجهر بالحق؟ ألا يُسمح له أن يكون وطنيا ناشطا في خدمة الوطن؟ ألا يُسمح له أن يؤدي خدمة واجبة لوطنه؟

كاترين : إذا أردت الحق، لا يُسمح له.

أسلاكسن : هذا على حد ما أقول، الاعتدال في كل شيء.

كاترين : وهذا الذي من أجله تسيء إلينا يا مستر هوفستاد إذ تغرر بزوجي، تخرجه من بيته وتجعل منه العوبة.

هوفستاد : أوكد نك أنى لا أغرر بأحد.

الدكتور : يجعل منى العوبة؟ أتظنين أنى أنا ممن يُغرر بهم؟

كاترين : أنت كذلك فعلا، إنى واثقة أن فى دماغك عقلا أكبر من كل من فى البلد، ولكنك سهل الانخداع يا توماس. (إلى هوفستاد) أرجو أن تتذكر أنه يُفصل من وظيفته فى إدارة الحمامات إذا أنت نشرت له مقالته.

أسلاكسن : ماذا؟

هوفستاد : استمع لى يا دكتور...

الدكتور : (ضحكاً) ها، ها. فلنر، فلنر. كلا، كلا، إنهم يحرصون على أن لا يفعلوا هذا، إن الأغلبية الساحقة في جانبي، تذكرى ذلك!

كاترين : نعم هذا أفبح ما فى الأمر فعلاً، أن يكون فى جانبك هذا الشيء الشنيع.

الدكتور : كلام فارغ، اذهبى إلى بيتك وانظرى فى شئونه ودعيني أرفع مصلحة المجتمع. كيف تخشين كل هذه الخشية؟ وأنا مطمئن وسعيد؟ (يتمشى ويفرك كفيه) تأكدى أن الحق والشعب أغلب، وأكاد أرى ذوى العقول الكبيرة من أهل الطبقة الوسطى يمشون كالجيش المنتصر. (يقف بجانب الكرسي) وى، ما هذا الذى على الكرسي؟

أسلاكسن : يا إلهى!

هوفستاد : (يتنحنح) إجم.

الدكتور : هنا أعلى شارات المجد والسلطة. (يأخذ قبعة العمدة الرسمية بين أطراف أصابعه بلطف ويرفعها فى الهواء).

كاترين : قبعة العمدة!

الدكتور : وهذى عصا الإدارة أيضاً، خبّرونى بحق كل عجيب فى هذه الدنيا...

هوفستاد : أنت ترى...

الدكتور : أوه، إنى فاهم. لقد أتى يحاول بالكلام أن يجعلكم فى جانبه. ها، ها، أراه أخطأ فى هذا، وعندما لمحتى عينه فى غرفة المطبعة (ينفجر ضاحكاً) لاذ بالفرار. أليس كذلك يا أسلاكسن؟

أسلاكسن : (بسرعة) نعم لاذ بالفرار يا دكتور.

الدكتور : لاذ بالفرار من غير عصاه، ليس بيتر بالرجل الذى يهرب ويترك بضاعته وراءه. ولكن خبّرونى ماذا فعلتم به؟ آه، هو هنا بالطبع، سترين الآن يا كاترين.

كاترين : توماس، بالله لا تفعل.

أسلاكسن : لا تتهور يا دكتور.

(يضع الدكتور قبعة العمدة ويأخذ عصاه فى يده، يذهب بهذه الصورة إلى الباب يفتحه ويقف ويده إلى قبعته مسلماً، يدخل بيتر ستوكمان محمراً الوجه غضباً، يتبعه بيلنج).

بيتر : ما معنى هذه الأعمال الجنونية؟

الدكتور : كن عند حد الاحترام يا سيد بيتر، انى صاحب أعلى سلطنة فى البلدة الآن. (يتمشى ذهابًا وجينة).

كاترين : (وهى تكاد تبكى) حقًا يا توماس.

بيتر : (يسير وراءه فى الغرفة) أعطنى قبعتى وعصاى.

الدكتور : (بنفس اللهجة كما سبق) إذا كنت حكمدار البلدة فأنا العمدة، أنا حاكم البلدة جميعها افهم من فضلك.

بيتر : انزع عنك قبعتى، أقول لك، تذكر أنها من اللباس الرسمى.

الدكتور : هو، أتظن أن الشعب المتمر الذى استيقظ حديثًا تذعره قبعة رسمية؟ سيكون فى البلدة ثورة فى الغد. أقول لك، لقد ظننت أنك تستطيع أن تفصلنى، ولكن أنا الذى سأفصلك، أفصلك من كل وظائفك. أتظن أننى لا أستطيع؟ أصغ إلى، إن ورائى قوى اجتماعية قاهرة، هوفستاد وبيلينج سيطلقان الرعد من جريدتهما وأسلاكسن سينزل الميدان على رأس جميع أفراد جمعية الملاك.

أسلاكسن : انى لا أفعل ذلك يا دكتور.

الدكتور : بل إنك لفاعل.

- بيتر** : هل لى أن أسأل مستر هوفستاد إذن، أفى نيته أن يكون له يد فى هذا التهييج؟
- هوفستاد** : لا يا حضرة العمدة.
- أسلاكسن** : لا، ليس مستر هوفستاد أحق حتى يعمل على خراب جريدته ونفسه من أجل شكوى موهومة.
- الدكتور** : (متلفتاً فيما حوله) ما معنى كل هذا؟
- هوفستاد** : : لقد عرضت موضوعك فى أنوار كاذبة يا دكتور، ولذلك لا يسعنى أن أكون معك.
- بينج** : وعندما تفضّل به الآن حضرة العمدة من البيان لا أرانى...
- الدكتور** : أنوار كاذبة؟ دع هذا الجانب من الموضوع لى. ما عليك إلا أن تنشر المقال، إنى قادر تمام القدرة على الدفاع عنه.
- هوفستاد** : إنى لا أنشره. أنا لا أستطيع ولا أريد، بل ولا أجرؤ أن أنشره.
- الدكتور** : لا تجرؤ؟ ما هذا الهراء؟ أنت رئيس التحرير ورئيس التحرير هو المتصرّف فى الجريدة.

أسلاكسن : لا يا دكتور، إن الذى يتولى الجريدة ويتصرف فيها هم المشتركون.

بيتر : نعم لحسن الحظ.

أسلاكسن : إنه هو الرأى العام، الجمهور المستير، أصحاب المنازل ومن على شاكلتهم من الناس. إنهم هم الذين يتولون الإشراف على الجرائد.

الدكتور : (برباطة جأش) وكل هذه القوى والعوامل ضدى؟

أسلاكسن : نعم ضدك، وأرى نشر مقالتك مؤدياً حتماً إلى خراب المجتمع.

الدكتور : صحيح!

بيتر : قبعنى وعصاى من فضلك (يتزع الدكتور القبعة ويضعها على المكتب مع العصا، فيأخذها بيتر ستوكمان) لقد ماتت سلطنتك عمدة قبل أوانها.

الدكتور : نحن لم نصل إلى النهاية بعد (إلى هوفستاد) إذن فإنه من المستحيل عليك بتاتا أن تنشر مقالتى فى جريدة «رسول الشعب».

هوفستاد : مستحيل بتاتا، رعاية لعائلتك أيضاً.

كاترين : لا تشغل نفسك بأمر عائلة الدكتور، شكرًا لك يا
مستر هوفستاد.

بيتر : (يُخرج ورقة من جيبه) إذا نشرت هذا كان كافيًا في
إفادة الجمهور بالواقع، إنه بلاغ رسمي. أسمح؟

هوفستاد : (آخذًا الورقة) فعلاً، سأنشرها بكل تأكيد.

الدكتور : أما مقالتي فلا... أتظن أنك تستطيع إخماد صوتي

وخنق الحق، ستجد أن الأمر ليس من السهولة
بالدرجة التي تظن. مستر أسلاكسن، من فضلك خذ
مسودة مقالتي من فورك واطبعها على شكل رسالة
على حسابي. أريد أربعمئة نسخة منها، بل خمسمئة
نسخة.

أسلاكسن : لو عرضت عليّ وزنها ذهبًا ما أعرت مطبعتي لطبع
شيء من هذا القبيل، ولن تجد أحدًا في البلدة يطبعها
لك.

الدكتور : إذن فأعدها إليّ.

هوفستاد : (يعطيه المقالة) هاهي ذى.

الدكتور : (آخذًا قبعته وعصاه) سينشر أمرها على الجمهور

على كل حال، سأتلوها بنفسى على جمع حاشد من

أهل البلد، ويسمع إخوانى المواطنين إذ ذاك صوت الحق.

بيتر : لن تجد فى البلدة هيئة عامة تسمح لك باستعمال دارها لمثل هذا الغرض.

أسلاكسن : ولا واحدة، إنى واثق من ذلك.

بيلتج : لا، ملعون أنا إن وجدت واحدة.

كاترين : ولكن هذا منتهى العار. لماذا ينقلب عليك كل واحد منهم هكذا؟

الدكتور : (بغضب) سأخبرك السبب، هو لأن كل رجل فى هذه البلدة امرأة عجوز مثلك. كلهم لا يفكرون إلا فى عائلاتهم، أما المجتمع فلا.

كاترين : (تضع ذراعها فى ذراعها) إذن فسأريهم أن... أن امرأة عجوزاً تقدر أن تكون رجلاً مرة. أنا سأكون فى جانبك يا توماس.

الدكتور : مرحى لكاترين كلام شجاعان، سأعلن الحق للناس وشرفى... إذا أنا لم أستطع أن أستأجر صالة فسأستأجر طبلية وأمشى أدق عليها فى جميع أنحاء المدينة، وأقرأها فى جميع مفترقات الشوارع.

- بيتر : لست من شدة الحمق والجنون بهذه الدرجة!
 الدكتور : بل أنا كذلك.
 أسلاكسن : لن تجد في المدينة رجلاً واحداً يسير معك.
 بيانج : كلا... ملعون أنا إن وجدت رجلاً واحداً.
 كاترين : لا تقنط، سأكلف الأولاد المسير معك.
 الدكتور : هذه فكرة سامية!
 كاترين : سيفرح مورتن بهذا، وسيعمل إيليف ما يعمل.
 الدكتور : نعم، وبترا! وأنت أيضاً يا كاترين.
 كاترين : لا، لا أفعل هذا، ولكنى سأقف في النافذة أراقبكم.
 هذا ما سأفعل.
 الدكتور : (يضع ذراعه حولها ويقبلها) شكراً لك يا عزيزتى،
 الآن سنتصارع أنا وأنتم أيها السادة، وسأرى هل
 تستطيع ثلثة من الجبناء أن يكفوا وطنياً يريد أن
 يطهر الوطن! (يخرج هو وزوجته من باب
 الشارع).
 بيتر : (يهز رأسه بجد) هاهو ذا قد جنن المرأة أيضاً.

«انتهى الفصل الثالث»

الفصل الرابع

المنظر:

غرفة فسيحة قديمة الطراز في منزل القبطان هورستر ويرى في المؤخرة باب (إنجليزي) ذو مصاريع هي إذ ذاك مطوية، ويرى من ورائها وصيد غرفة أولية. في الحائط الأيسر ثلاث نوافذ، وفي وسط الحائط المقابل الأيمن نصبت منصة، وعلى المنصة منضد صغير عليه شمعدان وزجاجة ماء وكوب وجرس صغير، والغرفة مضاءة بمصايح موضوعة بين النوافذ وفي مقدمة المسرح (خشبة المسرح) إلى اليسار منضد وشعوع وكرسی، وفي اليمين يوجد باب وعدة من كراسي صفت بجواره، والغرفة مملوءة تقريبا بجمهور من أهل البلدة مختلف الأصناف، بينهم بضع نسوة وتلاميذ مدارس، وإذا أزيح الستار يكون بعض الجمهور آتياً من الخلف، ولا تلبث الغرفة أن تمتلئ.

- مواطن أول : (مقابلا غيره) هالو ! لا مستاد ! أنت أيضا هنا؟
مواطن ثان : إني أحضر كل اجتماع عام، نعم، أحضر.
مواطن ثالث : أحضرت معك صفارتك أيضا، على ما أظن!

- مواطن ثان : أظن ذلك، أو لم تحضر صفارتك أنت؟
- مواطن ثالث : بلى، وقد قال أيفنسن العجوز إنه عازم على أن يجيء معه بقرن ثور. أجل قال.
- مواطن ثان : أيفنسن العجوز الصالح؟ (ضحك بين الجمهور).
- مواطن رابع : (يأتى إليهم) يا أصحابي، خبروني ماذا يجرى هنا الليلة.
- مواطن ثان : سيلقى الدكتور ستوكمان خطبة يحمل فيها على العمدة.
- مواطن رابع : ولكن العمدة أخوه!
- مواطن أول : هذا لا يهم ، ليس الدكتور ستوكمان بالرجل الذى يهاب.
- مواطن ثالث : ولكنه على باطل، قيل كذلك فى «رسول الشعب».
- مواطن ثان : نعم، أقدر أنه لا بد أن يكون هذه المرة مخطئا، فلا جمعية أصحاب المساكن ولا نادى المواطنين قبل أن يعيره بهوه ليعقد فيه اجتماعه.
- المواطن الأول : بل ولم يستطع أن يستعير البهو الذى فى الحمامات.
- المواطن الثانى : لا، محال.

رجل : (في جهة أخرى من الجمع) ترى فى أى جانب نكون؟

رجل آخر : (في جانبه) راقب أسلاكسن وافعل كما يفعل.

بيلنج : (يفسح طريقه فى الجمهور ومعه تحت ذراعاه عدة

الكتابة) معذرة يا سادة، أئسمحون لى بالمرور؟ إنى

مكاتب جريدة رسول الشعب. أشكركم شكرا جزيلا.

(يجلس إلى المنضد الموضوع إلى اليسار).

أحد العمال : من كان هذا؟

عامل ثان : ألا تعرفه؟ هذا بيلنج الذى يحرر فى جريدة

أسلاكسن. (يأتى هورستر ومعه كاترين وبترا من

الباب الذى إلى اليمين ويتبعهم إيليف ومورتن).

هورستر : رأيت أن تجلسوا هنا جميعا، فى استطاعتكم أن

تنسلوا من هنا بسهولة إذا احتدم الأمر.

كاترين : أئظن أن سيحدث شجار؟

هورستر : من يدري؟ فى مثل هذا الجمهور، ولكن اجلسى لا

يساورك قلق.

كاترين : (جالسة) لقد كان فضلا منك عظيما أن تعير زوجى

هذه الغرفة.

هورستر : إذ لم يسمح أحد أن يعيره مكانا...

بـتـرا : (وقد جلست بجوار والدتها) ولقد كان من الشجاعة ما فعلت يا قبطان هورستر.

هورستر : ليس الأمر من العظم عند هذا. (يدخل هوفستاد وأسلاكسن مخترقين الجمهور).

أسلاكسن : (ذاهبًا إلى هورستر) ألم يأت الدكتور بعد؟

هورستر : إنه فى الغرفة المجاورة ينتظر. (حركة فى الجمهور عند الباب الذى فى الخلف).

هوفستاد : انظروا، لقد حضر العمدة.

بيـنـج : نعم، لعنت إن هو لم يأت على كل حال!

(يخترق بيتر ستوكمان الجمهور وينحنى تجلّة،

ويجلس بالقرب من الحائط الأيسر، وبعد ذلك بقليل

يأتى الدكتور ستوكمان من الباب الأيمن، وهو مرتد

ثياب السهرة السوداء «الفراك» ورباط رقبته أبيض،

يصفق بعض الناس تصفيقا ضعيفا يحفته على الفور

صوت «هس» ويتم السكوت).

الدكتور : (بصوت منخفض) كيف حالك يا كاترين؟

كاترين : أنا بخير، شكرا لك. (تخفض صوتها) املك عواطفك

يا توماس.

الدكتور : إني أعرف كيف أضبط نفسي. (ينظر إلى ساعته ويرتقى المنصة وينحني تحية للجمهور) لقد تجاوزنا الموعد بربع ساعة فلأبتدى. (يستخرج صورة الخطبة من يده).

أسلاكسن : أظن أنه يجدر بنا أولاً أن نختار رئيساً للاجتماع.

الدكتور : لا، ليس هذا ضرورياً جداً.

بعض الجمع : بلى. بلى.

بيتر : أعتقد، في الواقع، أنه يجدر أن يكون للاجتماع رئيس ليدير المناقشات.

الدكتور : ولكني إنما دعوت إلى هذا الاجتماع لألقى محاضرة يا بيتر.

بيتر : قد تؤدي محاضرة الدكتور ستوكمان إلى اختلاف كبير في الرأي.

أصوات من بين الجمهور: رئيس! رئيس!

هوفستاد : الظاهر أن الرغبة العامة تقول باختيار رئيس.

الدكتور : (كأبداً نفسه) حسن! ليكن للحاضرين ما شاعوا.

أسلاكسن : أيتفضل حضرة العمدة بقبول هذه المهمة؟

بيتر : لأسباب شتى ستدركونها بلا عناء ألتمس منكم
إعفائى. بيد أن بيننا اليوم لحسن الحظ رجلاً أعتقد
أنكم تقبلون رياسته. أعنى به رئيس جماعة أرباب
المساكن، السيد أسلاكسن.

(أصوات عدة) نعم. أسلاكسن. مرحى لأسلاكسن.

(يتناول الدكتور ستوكمان المسودة ويسير

ذهاباً وجيئة على منصبه).

أسلاكسن : لا يسعنى الرفض وقد رأى إخوانى المواطنون أن
يعهدوا إلى هذه المهمة.

(تصفيق شديد. يعتلى أسلاكسن المنصة).

بيلاج : (وهو يكتب) وقد انتخب أسلاكسن لرياسة الاجتماع
بتحمس عظيم.

أسلاكسن : والآن إذ أنا فى هذا المقام أريد أن أقول بضع كلمات
موجزة. إنى رجل هادئ مسالم، أومن بفضل
الاعتدال الحكيم و... و... وبالحكمة المعتدلة، ويشهد
جميع أصدقائى بذلك.

أصوات شتى : نعم. نعم. يا أسلاكسن.

أسلاكسن : لقد تعلمت في مدرسة الحياة والتجارب أن الاعتدال أعلى فضيلة يتحلى بها المواطن.

بيتر : بخ. بخ.

أسلاكسن : وفضلا عن هذا فإن الحكمة والاعتدال هما اللذان يساعدان الرجل على أن يكون أشد صلاحية لخدمة المجتمع. ولذلك أنصح لحضرة مواطننا المحترم الذي دعا إلى هذا الاجتماع أن يبذل جهده حتى لا يخرج عن حدود الاعتدال.

رجل : (بجوار الباب) اهتفوا ثلاثا لجمعية الاعتدال.

صوت : اخرس!

عدة أصوات : س. س.

أسلاكسن : لا تقاطعوا يا سادة من فضلكم. هل يريد أحدكم أن يتقدم بملاحظات؟

بيتر : يا حضرة الرئيس.

أسلاكسن : العمدة يلقى كلمة.

بيتر : كنت أحب، نظرا إلى علاقة القربى الشديدة التي

بيني، كما تعلمون جميعا، وبين مفتش صحة

الحمامات الحالي، أن لا أتكلم هذه العشية. ولكن

مركزي الرسمي فيما يختص بالحمامات، وعنايتي بالمصالح الحيوية التي للبلدة، تلزمني أن أقدم اقتراحا بقرار. إنى لأجرو على الظن أنه لا يوجد بين مواطنينا الحاضرين هنا، من يرى من المستحسن أن تداع بيانات غير موثوق بها، بل مبالغ فيها، عن الحالة الصحية في الحمامات وفي البلدة.

عدة أصوات : كلا. كلا، بالتأكيد كلا. نحتج على ذلك.

بيتر : لذلك أريد أن أقترح ألا تسمح الهيئة المجتمعة للمفتش الصحى بقراءة محاضراته التى نواها، أو أن يعلق عليها.

الدكتور : (بغضب) لا تسمح؟! أى شيطان...؟

كاترين : (ساعلة) إجم. إجم.

الدكتور : (ضابطا نفسه) حسن، استرسل.

بيتر : فى بلاغى الذى أرسلته إلى رسول الشعب، أوضحت للشعب الحقائق الجوهرية، بحيث يسهل على كل عاقل أن يكون لنفسه منها رأيا. منها يتضح لكم أن اقتراحات المفتش الصحى تتلخص - بصرف النظر عن تضمنها اقتراحا بتأنيب ذوى الأمر فى البلدة - فى أنه يريد أن يحمل من يدفعون فيها ضرائب

مقدار نفقة غير ضرورية تبلغ على الأقل عدة ألوف،
من الجنيهاات.

(أصوات استنكار من بين الحاضرين، وبعض
أصوات موافقة كاهرة).

أسلاكسن : (يدق جرسه) سكوتاً، من فضلكم أيها السادة. إنى
ألتمس أن أركى اقتراح العمدة. إنى على تمام الاتفاق
معه على أن هناك شيئاً وراء هذه الدعاية التى بدأها
الدكتور. إنه يتكلم عن الحمامات، ولكن الواقع أنه
يريد ثورة، يريد أن يضع مقاليد إدارة البلدة فى أيدي
أخرى. لا يشك أحد فى خلوص مقاصد الدكتور من
رغبة الأذى - فلا يمكن أن يكون بين الناس اثنان
يقولان بذلك - إنى أنا نفسى ممن يقولون بضرورة
الحكم الذاتى للشعب، بشرط أن لا يكون فيه إرهاب
لمن يدفعون الضرائب، بيد أن هذا ما يراد بنا اليوم.
وهذا الذى من أجله أود أن تسقط اللعنة على رأس
الدكتور ستوكمان - أستميحكم عذراً - قبل أن
أسايره فى الأمر. قد يدفع الإنسان فى الشئء ثمننا
فادحا فى بعض الأحيان، هذا رأىى.
(تصفيق عال من جميع النواحي)

هوفستاد : أنا أيضا أشعر أن من واجبي أن أشرح موقفى. لقد لاحت الحركة التى قام بها الدكتور ستوكمان فى أول الأمر كأنما يشايعها بعض المناصرين، ولذلك ناصرتها بلا أقل تحيز، أما اليوم فقد لاح لنا من الأسباب ما حملنا على توجس أننا سمحنا لأنفسنا أن نضل بتليبس حقائق الواقع.

الدكتور : تلبيس...؟!؟

هوفستاد : إذن فننقل بتمثيل الحقائق فى صورة لا يوثق بصحتها تمام الثقة، ولقد أثبت لنا ذلك بلاغ العمدة. إنى لأرجو ألا يكون فى الجمع من يخامرہ الشك فى مبادئى الحرة، فإن خطة «رسول الشعب» حيال المسائل السياسية الخطيرة معروفة لكل إنسان. ولكن نصيحة الرجال أولى الخبرة والبصيرة قد دلتنى على أنه يجب فى المسائل المحلية البحتة ألا تخطو الجريدة خطوة إلا بالحذر.

أسلاكسن : إنى أوافق الخطيب تمام الموافقة.

هوفستاد : ومما لا شك فيه أن رأى العام فى المسألة التى أمامنا ضد الدكتور ستوكمان. والآن ما هو أول

واجب على الصحفى أيتها السادة؟ أليس هو أن يعمل وفاق قرائه؟ ألم يعطوه نوعا من التوكيل الضمنى ليعمل بالمتابرة والجد فى سبيل مصلحة من يعبر عن آرائهم؟ أم يمكن أن أكون مخطئا فى هذا؟

أصوات : لا. لا، إنك على تمام الحق.

هوفستاد : لقد قاسيت عراقا نفسيا كبيرا لا ضرارى أن أخرج على رجل كنت فى بيته منذ عهد قريب ضيفا كثير التردد عليه، رجل كان من حقه حتى اليوم أن يفخر بحسن رأى مواطنيه فيه، رجل عيبه الوحيد، أو على كل حال، عيبه الجوهرى أنه مطواع لقلبه لا لعقله.

بعض أصوات مبعثرة : هذا صحيح، مرحى يا ستوكمان.

هوفستاد : ولكن واجب المجتمع علىّ الأزمنى أن أخرج عليه. وهناك اعتبار آخر يدفعنى إلى مناهضته، وإلى منعه بقدر الإمكان عن السير فى الطريق الخطر الذى اختطه لنفسه، ألا وهذا الاعتبار هو عائلته.

الدكتور : الزم من فضلك موضوع مياه الشرب والصرف!

هوفستاد : أكرر القول بأنه اعتبار مصلحة زوجته وأولاده الذين لم يعمل لهم حساباً.

مورتن : أهو يعنينا يا أمى؟

كاترين : صه.

أسلاكسن : سأخذ الأصوات الآن على اقتراح حضرة العمدة.

الدكتور : لا ضرورة إليه، ليس فى عزمى الليلة أن أتناول كل

تلك القاذورات المزدحمة فى الحمامات. كلا... إن

لدى للقول شيئاً آخر يختلف عن ذلك كل الاختلاف.

بيتر : (لنفسه) ماذا يقصد يا ترى؟

سكران : (عند باب الدخول) أنا أحد دافعى الضرائب، ولذلك

لى الحق أن أتكلم أنا أيضاً. ورأىى الشامل، الثابت

غير المفهوم...

عدة أصوات : أقفل فمك أنت يا من عند الباب.

غيرهم : إنه سكران، أخرجوه. (يخرجونه).

الدكتور : أسمح لى أن أتكلم؟

أسلاكسن : (يدق جرسه) الكلمة للدكتور ستوكمان.

الدكتور : كنت أشتهى لو جرؤ أحد منذ بضعة أيام أن يسكتنى

كما حدث الليلة، يومئذ كنت أستطيع أن أدافع عن

حقوقى المقدسة كإنسان دفاع الأسد. أما الآن فالأمر
عندى سواء. لدى شيء أراه أجدر أن يقال لكم
جدارة أعظم وأهم. (يزدحم الناس صوبه ويُرى
مورتن كيل ظاهرا بينهم).

الدكتور : (مستمرًا) لقد فكرت كثيرا وتأملت مليا مدى بضعة
الأيام الماضية، تأملت فى عدة من أمور شتى، حتى
رأيت فؤادى فى النهاية قد امتلأ ولم يعد يسع مزيدا.

بيتر : (بسعال) إحم.

الدكتور : ولكن راقى أفكارى فى النهاية، وإذ ذاك تبين لى
الواقع برمته فى جلاء ووضوح، وهذا الذى من أجله
ترونى واقفا هنا هذه الليلة. إن لدى وحيًا عظيم
القدر أطلعكم عليه، إخوانى المواطنين. سأخبركم عن
استكشاف أوسع مدى من القول التافه بأن مورد
مائنا مسموم وأن حماماتنا الاستشفائية قائمة على
أرض موبوءة.

عدة أصوات : (زاعقين) لا تتكلم عن الحمامات، لا نسمع لك عنها
شيئا، أقصر عن هذا.

الدكتور : لقد قلت لكم الآن تَوَّأ أن ما أريد أن أتكلّم عنه هو الاستكشاف العظيم الذى اهتمت إليه قريبا، استكشاف أن كل منابع حياتنا الخلقية مسمومة، وأن مجتمعنا المدنى برمته قائم على أساس موبوء بالأكاذيب.

أصوات مواطنين : (بدهشة) ماذا يقول؟

بيتر : مثل هذا التعريض...

أسلاكسن : (ويده على الجرس) أدعو حضرة الخطيب أن يخفف من لهجته.

الدكتور : لقد أحببت هذا البلد الذى ولدت فيه حبَّ الإنسان داره التى قضى فيها أيام صباه، ولم أكن كبير السن يوم رحلت عنها. ولقد خلعت الغربة والشوق والذكرى عليه وعلى ساكنيه مطرفا آخر من البهاء. (بعض تصفيق واستحسان ضعيف) وهناك بقيت سنوات عدة، فى جحر شنيع فى الشمال النائى. فلما اتصلت ببعض الناس الذين يعيشون مبعثرين بين الصخور، كنت كثيرا ما أرى خيرا لأولئك المساكين الذين يعيشون فى شبه مجاعة لو أرسل إليهم طبيب يبرى بدلا من رجل مثلى. (تدمر بين الجمع).

بياتج : (واضعاً قلمه) على اللعنة إذا كنت قد سمعت...!

هوفستاد : هذه إهانة لجماعة محترمة.

الدكتور : تمهل قليلاً، لا أظن أحداً يتهمنى بأنى وأنا هناك قد

نسيت بلدى، فلقد كنت أشبه شىء بالأوزة الراحمة فى عشها، وكان ما أفرخت لكم هو مشروع هذه الحمامات، (استحسان واحتجاج) ثم إذ كتب لى القدر عظيم السعادة بالعودة إلى الوطن، أوكد لكم يا سادة خيل إلى أنى قد بلغت غاية المنى، فلم يعد لى ما اشتهى، اللهم إلا شيئاً واحداً، أشتهيه بحمية وهيام، وبلا ملل، وذلك هو وذلك هو أن أوفق إلى خدمة مسقط رأسى ونفع مواطنى.

بيتر : (ناظراً إلى السقف) لقد اخترت لذلك طريقة عجيبة،

إحم...

الدكتور : وإذ عميت عيناى عن حقائق الواقع، أغرقت فى

السعادة. ولكن أمس صباحاً - لا، بل للتحقيق - أمس عصراً، تفتحت عيون عقلى تفتحا واسع المدى، وأول شىء أدركته هو عظيم ما انطوى عليه أولو الأمر من البلادة. (ضحيج وضحك) وكاترين تسعل باستمرار).

بيتر : حضرة الرئيس!

أسلاكسن : (دافا الجرس) بمالى من السلطة...!

الدكتور : إنه لجميل أن تأخذ على الطريق من أجل كلمة يا

مستر أسلاكسن. ليس ما أعنيه سوى أنني تبينت ما لا يكاد يصدقه العقل من خطل القادة الذين يتولون شئون الحمامات وجمودهم، إنى لأمقت من يتولون أمور الناس، لقد تحملت فى حياتى من أمثالهم فوق حد الكفاية. إنهم أشبه بالتيوس المسومة فى حقل حديث الزرع، حيثما سارت أحدثت تلفا. يقفون فى وجه الرجل الحر حيثما يمم، وأقصى أمانى نفسى أن أراهم يبادون كما تباد الهوام السامة الأخرى. (ضحجج).

بيتر : حضرة الرئيس! أنجيز مثل هذا الكلام؟

أسلاكسن : (ويده على الجرس) يا دكتور!

الدكتور : ليس فى استطاعتى أن أدرك كيف أنى لم أتبيّن إلى

الآن حقيقة هؤلاء السادة، على حين أن لى كل يوم فى هذه البلدة مثلا أى مثل لهم - أخى بيتر - البطىء الإدراك الجامد النفس كالنهم بتعصبه (ضحك وضججج وصياح، وتأخذ كاترين فى السعال بلا انقطاع، ويقرع أسلاكسن جرسه بعنف).

الرجل السكران : (وقد تسلل ودخل) أعنى يتكلم؟ اسمى بيترسون،
لا بأس، ولكن ليأخذنى الشيطان إذا...
أصوات مغضبية: أخرجوا هذا السكران، أخرجوه. (يخرجونه مرة
أخرى).

بيتر : من كان هذا الرجل؟

مواطن أول : لا أدري من هو يا حضرة العمدة.

مواطن ثان : ليس من أهل البلدة.

مواطن ثالث : أظن أنه بحار من بلدة... (لا يسمع باقى الكلام).

أسلاكسن : الظاهر أنه شرب كثيرا من الجعة. استمر يا دكتور،
ولكنى أرجو منك أن تعمل على تخفيف لهجة
كلامك.

الدكتور : حسن يا سادة، لن أتكلم بعد ذلك شيئا عن قادتنا. وإذا
خيل إلى أحد منكم أننى عنيت بما قلت الآن الطعن
فى هؤلاء الناس هذه الليلة، فليعلم أنه مخطئ بعيد
كل البعد عن القصد، لأنى مملوء القلب بالاعتقاد
المسعد المغذى للنفس أن هؤلاء الطفيليين تراث
العهد القديم المحتضر، إنما يمهدون السبيل بأيديهم
أحسن تمهيد لبقاء أنفسهم وزوالها. وماهم بحاجة إلى

نطاسيٌ خبيرٌ لتعجيل آخرتهم، بيد أن ليس هؤلاء
الناس بالذين يخشى منهم الخطر الداهم على
المجتمع، ليسوا أنشط العاملين على تسميم موارد
حياتنا الخلقية وتلويث الأرض التي نحن عليها
بصنوف الأوبئة. ليس أولئك أعدى أعداء الحق
والحرية بيننا.

صائحون من جميع الجهات : من إذن؟ من هم؟ اذكرهم، سمّهم.
الدكتور : تمهلوا وتّقوا أنى سأسميهم. هذا هو الاستكشاف الذي
وُفِّت إليه بالأمس. (يرفع صوته) أخطر أعداء الحق
والحرية بيننا، هم الغالبية المتراسة. نعم، الغالبية
المتراسة الملعونة. الغالبية الحرة، أولئك هم
فاعرفوهم. (ضحج عال جدا، غالب الجمهور يصيح.
ويضرب الأرض برجليه ويصفّر ، ويتناول النظرات
بعض كبار السن من بينهم وتلوح عليهم سيما
الارتياح. وتنهض كاترين قلقة، وإيليف ومورتن
يتقدمان مهددين بعض تلاميذ يصيحون صياح الهرة
والكلاب وغيرها. ويقرّع أسلاكسن جرسه ويلتمس
من الحاضرين أن يسكتوا. وهوفستاد ويبلنج يتكلمان

فى وقت واحد، ولكن لا يسمع كلامهما، وأخيراً
يعود الجمع إلى السكون).

أسلاكسن : بصفة كونى رئيسا أكلف الخطيب أن يسحب ما
تعجل به لسانه من القول بلا روية.

الدكتور : محال يا سيد أسلاكسن، إنها هى الغالبية فى مجتمعنا
التي أنكرت علىّ حرىتى وعملت على منعى من أن
أنطق بالحق.

أسلاكسن : الحق دائما فى جانب الغالبية.

بينج : والصدق كذلك، وربى.

الدكتور : لا يكون الحق فى جانب الغالبية بتاتا - أقول لكم
بتاتا - تلك إحدى الأكاذيب الاجتماعية التى يجب
على كل رجل مستقل حصيف أن يحاربها. ممن
تتألف غالبية السكان فى هذا القطر يا ترى؟ أمن
الألباء أم من السفهاء؟ لا يخامرنى الظن بأنكم
تتكرون الواقع، وهو أن السفهاء هم الآن أصحاب
الغالبية الغامرة فى الدنيا برمتها، ولكن يا إلهى...
فهل منكم من يستطيع أن يقول إن من الحق أن
يتولى السفهاء حكم العقلاء؟

(صياح وضجيج)

أجل: أجل، يمكنكم أن تخفّتوا صوتى بالصياح، ولكنكم لا تستطيعون أن تحيروا جوابا. الغالبية فى جانبها القوة، نعم، وأسفاه. أما الحق فلا. إنى على الحق - أنا وبضعة أفراد متوزعين - القلة دائما على حق. (ضجيج وصياح).

هوفستاد : آها، إذن فقد أصبح الدكتور ستوكمان أرسقراطيا منذ أمس الأول.

الدكتور : لقد سبق لى القول إننى لا أريد أن أنفق كلمة واحدة فى الكلام عن الفئة الضئيلة، الضيقة الصدر، القصيرة النفس، التى تتولى الزمام. لا، لم تعد الحياة النابضة تشغل نفسها بأمرهم؛ إنما أنا أفكر فى العدد القليل من الرجال المبعثرين بيننا الذين اشتقوا حقائق جديدة عفية. أولئك الرجال يقفون فى الطليعة، على مدى أبعد من أن تلحقهم لديه الغالبية المتراصة. وهناك هم يقاتلون فى سبيل الحقائق التى لم تتمخض دنيا العقل عنها إلا منذ عهد قريب جدا، فلم يتيسر أن يكون لها من الأنصار عدد يذكر.

هوفستاد : ها قد أصبح الدكتور الآن ثوريا.

الدكتور : يا إلهي، بالطبع أنا كذلك يا سيد هوفستاد! في عزمي أن أثير ثورة على الأكذوبة السائرة، أكذوبة أن الغالبية وحدها صاحبة الحقيقة. وما نوع هذه الحقيقة التي تتصرها الغالبية عادة؟ إن هي إلا حقيقة قَدُم عهدها حتى أخذ بنيانها يتداعى. وإذا كانت هناك حقيقة من القَدَم عند هذا الحد فهي توشك أن تتقلب أكذوبة. (ضحك ومواء وعواء) أجل، هذا هو الواقع صدقتم أم لم تصدقوا. ولكن الحقائق ليست كما يتوهم البعض طويلة العمر كنوح في السالفين. فالحقيقة المؤسسة على بِنْيَان صحيح لا يطول عمرها، فيما تقول، أكثر في العادة من سبعة عشر عاما أو ثمانية عشر وعلى الأكثر عشرين، وقلما زادت عن ذلك. ولكن الحقائق التي تبلغ من العمر هذا القدر تكون قد هزلت حتى بدت كلاها. ومع ذلك فهي لا تبدو لعين الغالبية إلا وهي في هذه الصورة، ويومئذ يتواصلون بها في المجتمع ويرونها غذاء عقليا صالحا. لا، يا سادة، ليس لمثل هذه المادة قيمة غذائية. هذا ما

أوكده لكم، ومن حقى - إذ أنا طيبب - أن أعرف ذلك. هذه الحقائق التى تقول بها الغالبية هى أشبه شىء باللحم المملح من العام الماضى، مثل لحم الخنزير الزنخ العفن، وهى مصدر الأسقربوط النفسى الشائع فى مجتمعاتنا.

أسلاكسن : يخيل إلى أن الخطيب قد شرد شروداً كبيراً عن موضوعه.

بيتر : أنا على رأى حضرة الرئيس بتمامه.

الدكتور : أرايلك الرشد يا بيتر؟ إنى ملتزم جانب موضوعى تمام الالتزام، لأن موضوعى هو هذا. إن هذه الغالبية المتراصة الساقلة... هى التى تسمم موارد حياتنا الخلقية، وتعدى بوبائها الأرض التى نحن عليها.

هوفستاد : وكل هذا لأن الغالبية العظيمة، الواسعة العقل، هى من الصواب بحيث لا تقر إلا الحقائق المحصنة، الحقائق المقررة.

الدكتور : آه، يا سيد هوفستاد. خلّ عنك الكلام الفارغ عن الحقائق المحصنة. إن الحقائق التى تسلم الدهماء بها

اليوم، هي الحقائق التي ناصرها المجاهدون في
الطلائع أيام أجدادنا. أما نحن المجاهدين في الطلائع
في هذه الأيام، فلم نعد نقرها. ولست أظن أن هناك
حقيقة ممحصّة مجربة غير ما أقول لك، وهو أنه لا
يستطيع مجتمع أن يحيا حياة سليمة إذا هو لم يطعم
إلا تلك الحقائق النخرة.

هوفستاد : ولكن بدلا من وقوفك هكذا تلقى نظريات عامة،
يحسن بك أن تذكر لنا ما هي هذه الحقائق النخرة،
التي جعلناها غذاء لنا.

(استحسان من جميع الجهات)

الدكتور : أوه، في إمكاني أن أعطيك ركاما من هذه الحثالات،
ولكني سأقتصر في المبدأ على إحدى الحقائق المسلم
بها، وهي في أساسها أكذوبة فظيعة. يتغذى بها السيد
هوفستاد ورسول الشعب. وجميع أنصار هذه
الجريدة.

هوفستاد : وتلك الأكذوبة هي...؟

الدكتور : هي تلك العقيدة التي ورثتموها عن آبائكم،
ونشرتموها بلا روية في الخافقين، عقيدة أن

الجمهور، أن الدهماء الغوغاء، هم الجزء الجوهري من سكان كل بلد، وأنهم هم الذين يتألف منهم الشعب، وأن الناس العاديين الجهلة، العنصر الناقص التكوين في المجتمع، لهم من الحق في الحكم والتقدير، وفي الإدارة والحكومة، مثل ما للأفذاذ أولى الذاتية الفكرية العليا.

بيلاج : على لعنة الله إن كان قد سبق لى...

هوفستاد : (في نفس الوقت، صائحا) أيها الإخوان المواطنين تنبهوا إلى هذا الكلام جيدا.

بعض أصوات: (مغضبة) أوه! ألسنا نحن الشعب! لا يحكمنا إلا السراة! هم فقط!

أحد العمال : أخرجوا هذا الرجل من هنا، جزاء كلامه الفارغ.

غيره : أخرجوه.

غيره : (صائحا) انفخ في القرن، يا إيفنسون!

(ينفخ في قرن بصوت عال جدا، بين أصوات صفير وضجيج من مغضبين).

الدكتور : (لما يهدأ الصياح قليلا) ارشدوا! ألا تطيقون صوت

الحق مرة! لا أرتقب منكم بحال ما أن توافقوني

برمتكم، ولكن لا بد لي أن أقول إنى كنت أرتقب أن
يسلم السيد هوفستاد بأنى كنت على حق، عندما
يستجمع قوى نفسه قليلا، إنه يدعى أنه حر
العقيدة.

أصوات : (متعجبة) حر العقيدة! هوفستاد حر العقيدة!
هوفستاد : (صائحا) أثبت ذلك يا دكتور ستوكمان، متى قلت
ذلك فى مطبوع؟

الدكتور : كلا، خسئت. أنت على حق، لم يكن عندك الشجاعة
لذلك. لا بأس، لا أريد أن أزعج بك فى مأزق، ولنقل
إنى أنا ذو العقيدة الحرة إذن. سأثبت لكم بالبرهان
العلمى أن جريدة رسول الشعب تجركم من أنوفكم
بطريقة مخزية حين تقول لكم إن عامة الناس،
الدهماء الغوغاء، هم روح الشعب الحقيقية. ليس هذا
الكلام، وأكد لكم، إلا أكذوبة صحفية، ليس العامة إلا
المادة الغفل التى يصاغ منها الشعب. (تأوهات
وضحك وضجيج) ها، أليس هذا هو الواقع، أليس
هناك فرق عظيم بين نسيلة من الحيوان أحسنت
تربيتها وأخرى أسئنت؟ خذوا مثلا دجاجة عادية من

الدجاج المسوم بعيدا عن الإهراء. أى لحم تصيبون من مثل هذه الجلدة الهزيلة؟ لا تصيبون غير قليل، أؤكد لكم! وأى بيض تضعه؟ خير منه ما يضع الغراب. ثم خذوا دجاجة مرباة إسبانية أو يابانية أو خذوا دراجا أو دجاجة رومية وانظروا الفرق، أو خذوا للمثل، الكلاب التى نعيش معها نحن بنى الإنسان على سرعة المودة، فكروا أولاً فى كلب عادى، أعنى أحد تلك الكلاب البشعة، الخشنة الشعر، المنحطة التريبة التى لا تفعل شيئاً غير الجرى فى الشوارع وتوسخ جدران المنازل. قارنوا أحد هذه الكلاب بكريم رُبى أبواه مدى أجيال عدة فى بيت سرى من السراة، كان لها فيه خير طعام، وأجمل فرص الاستماع إلى الصوت الجميل والموسيقى، ألا ترون أن عقل الكريم يكون قد نما وتهذب حتى بلغ درجة تختلف عن عقل الكلب الحطيظ؟ لا شك فى ذلك. أجراء مثل ذلك الكلب الكريم هى التى يعلمها العارضون فتأتى من أفعال المهارة ما لا يكاد يصدقه العقل؟ أشياء يستحيل على الكلب العادى أن

يتعلمها ولو وقف على رأسه. (ضحك وأصوات تقليدية، عواء ومواء... إلخ).

أحد المواطنين : (مناديا) أتريد أن نستنتج من ذلك الآن أننا كلاب؟
مواطن آخر : لسنا حيوانات يا دكتور!

الدكتور : بل وربي يا صاحبي كلنا كذلك، نعم، إننا أرقى الحيوانات طرا، ولكن الكرام من بيننا قليل. إن هناك فرقا شاسعا بين حطيط الناس وكريمهم، وألطف ما فى الأمر أن السيد هوفستاد يتفق معى فى رأى ما دام الكلام خاصا بذوات الأربع من الحيوانات.

هوفستاد : نعم هذا حق صراح فيما يختص بها.

الدكتور : حسن جدا. ولكنى ما أشرع أطبق القاعدة على ذوات الاثنتين من الحيوانات حتى ينكص السيد هوفستاد على أعقابه. لا يجرؤ إذ ذاك أن يطلق عنان فكره مستقلا أو يواصل آراءه حتى تنتهى إلى نتيجة منطقية. ولذلك يقلب النظرية على وجهها ويصيح فى «رسول الشعب» معلنا أن الدجاجة السائمة والكلبة الشريدة هما أرقى ما فى الحظيرة. بيد أن هذا هو المسلك الطبيعى الذى لا بد أن يسير فيه الإنسان ما

دام فى بدنه أثر من أرومة منحنة، ولم يعبد لنفسه
دربًا يرقاه إلى مراتب التفوق العقلى.

هوفستاد : أنا لا أدعى الصلة بشيء من هذا التفوق، إنى ابن
ناس قرويين متضعين، وإنى لفخور أن الأرومة التى
نسلت منها تضرب جذورها إلى عمق بعيد فى صميم
الدهماء التى يسبها.

أصوات : مرحى، هوفستاد! مرحى، مرحى!

الدكتور : ليس نوع العامة الذى أعنيه مما لا يوجد إلا عند
أسفل درجات السلم الاجتماعىة، فإنهم يدبون
ويتجمعون فيما حولنا، ونراهم حتى فى أرقى
المراتب الاجتماعىة. ما عليكم إلا أن تنظروا إلى
عمدتكم المبرز المحترم، فما أخى بيتر إلا رجل
عامى من فرعه إلى قدمه، ككل رجل من الدهماء
يمشى فى حذاءين. (ضحك وصغير).

بيتر : إنى أحتج على مثل هذه التعريضات الشخصية.

الدكتور : (برباطة جأش) وليس هذا لأنه مثلى متناسل من أحد
لصوص البحر الأقدمين فى بلاد بوميرانيا أو
جبرتها، كما هو الواقع...

بيتر : هذا إفك، خرافة، وأنا أنكرها.

الدكتور : بل لأنه لا يفكر إلا كما يفكر رؤسأوه، ولا يقول إلا بما يقولون. والذين يجرون هذا المجرى، هم على القول المعنوى، من صميم العامة. وهذا هو السبب فى أن أذى المكرم بيتر، هو فى الواقع أبعد ما يكون إنسان عن حقيقة التفوق، ومن ثم كان بعيدا عن الحرية فى تفكيره.

بيتر : يا حضرة الرئيس...!

هوفستاد : إذن، فالرجال البارزون هم وحدهم أحرار الرأى فى هذا القطر؟ إنك لتعلمنا الليلة شيئا جديدا. (ضحك).

الدكتور : نعم، هذا جانب من استكشافى. وهناك جانب آخر، هو أن سعة العقل :بإارة تكاد تكون مرادفة للفضيلة. وهذا هو السبب فى أنه لا وجه للعدر فى أن تكتب جريدة «رسول الشعب» كل يوم وتعلن أن الجمهور والدهماء والغالبية المتراضة هى وحدها صاحبة العقول السمحة الواسعة مجال الفكر، وصاحبة الفضيلة معا، وأن الرذيلة والفساد وكل نوع من أنواع النقص العطفى هى نتيجة التثقف، كما أن كل

القاذورات الناشئة من حماماتنا نتيجة المدايح القائمة في موليدال. (ضحيج ومقاطعة، ولكن الدكتور ستوكمان يظل رابط الجأش، فيتسم ويستمر في كلامه مدفوعا ببعيته) ومع ذلك فإن جريدة «رسول الشعب» نفسها لا تنقطع عن القول بضرورة ترقية العامة إلى مستوى حياة أرقى مما هي عليه. ولكن يا عجبى لهذا التناقض إذا أخذنا بما تقول به هذه الجريدة، لم يكن معنى هذه الترقية التي تريدها للعامة إلا تركها على الفور في طريق الفساد والشر. ولكن من حسن الحظ أن القول بأن الثقافة مفسدة ليس إلا أكذوبة قديمة، آمن بها أبائنا وورثناها نحن عنهم. لا يا سادة، إنما الجهل والفقر وقبح أحوال المعيشة هو الكفيل بأعمال الشيطان! البيت الذي لا يهوى ويكنس كل يوم - بل ترى كاترين زوجتي ضرورة مسح البلاط أيضا، وإن كانت هذه مسألة للجدل - مثل ذلك البيت، أقول لكم، يفقد أهله في مدى سنتين أو ثلاث سنين، ما يكون لديهم من قوة التفكير أو السير الأدبي. قلة الأوكسجين تضعف الضمير، ويخيل إلى أن كثيرا من البيوت في هذه البلدة يعوزها

الأوكسجين إعوازًا بالغًا. وذلك حكما بما أوجسه من أن الغالبية المتراصة من فقدان الوعى بحيث تريد أن تبني مستقبل البلدة على أحوال الغش والأكاذيب.

أسلاكسن : لا نسمح بإلقاء مثل هذه التهم الخطيرة فى وجه مجتمع من المواطنين.

مواطن أول : أقترح أن يأمر الرئيسُ الخطيبَ بالجلوس.

أصوات : (مغضبة) مرحى! مرحى! فى محله! مره بالجلوس.

الدكتور : (فاقدا رباطة جأشه) إذن فعلىَّ أن أذهب وأعلن هذا الحق فى كل طريق. سأكتبه فى جرائد بلدان أخرى وسيعلم القطر برمته ما هو جارٍ هنا!

هوفستاد : يكاد يكون واضحا أن الدكتور ستوكمان لا يبغى إلا خراب بلدتنا.

الدكتور : نعم إن لمسقط رأسى من الحب عندى ما أوتر معه خرابه بدلا من أن أشيد سعادته على أكذوبة.

أسلاكسن : هذا كلام شديد. (ضحيج ومواء، تسعل كاترين ولكن بغير جدوى، ولايعود زوجها يستمع لها).

هوفستاد : (صائحا فوق الرءوس) لا شك فى أن الرجل الذى يريد أن يخرب المجتمع برمته هو عدو للشعب.

الدكتور : (بتحمس متزايد) ماذا فى هدم مجتمع من الخطورة إذا كان هذا المجتمع يعيش على الأكاذيب، الواجب أن يهدم حجرا على حجر. نعم، كل من يعيشون بالأكاذيب جديرون أن يبادوا كما تباد حشرات الأرض. سينتهى بكم الأمر إلى إيصال العدوى إلى القطر برمته، وستجلبون بعلمكم على القطر سوءا يستدعى أن يهدم كله، وإذا بلغت الأمور هذا المبلغ، فلا يسعنى إلا أن أقول من صميم القلب دعوا القطر كله يفنى، ودعوا أولئك الناس جميعهم يبيدون.

أصوات من الجمهور : هذا كلام يدل على أنه عدو للشعب.

بيلنج : ها! لقد صاح صائح الشعب، وحق كل ما هو مقدس.

الجمهور برمته : (صائحا) نعم. نعم، إنه عدو للشعب، إنه يكره وطنه، يكره أهله أنفسهم.

أسلاكسن : بصفة كونى مواطننا وفردا من الأفراد، أشعر بقلق عظيم فى نفسى إثر ما قدر لنا أن نستمع له. لقد تبدى الدكتور ستوكمان فى لون ما كنت أتوهم أن أراه فيه. وأرانى مضطرا مع مزيد الأسف، إلى

إقرار الرأى الذى سمعته الآن من أقوال إخوانى
المواطنين الموقرين، ولذلك أقترح أن نعبر عن هذا
الرأى فى صورة قرار تصدره الهيئة، وأقترح أن
يكون القرار بالنص الآتى:

«يعلم المجتمعون هنا أنهم يعتبرون الدكتور
ستوكمان مفتش صحة الحمامات عدوًّا للشعب».

(عاصفة من الاستحسان والتصفيق، ويحيط
عدة من الناس بالدكتور ويصفرون فى وجهه، وتكون
كاترين وبترا قد فُهمتا، ومورتن وإيليف يتضاربان مع
بعض التلاميذ الحاضرين من أجل هذا الصغير،
 ويفرقهم بعض كبار التلاميذ)

الدكتور : (للأفراد الذين يصفرون فى وجهه) أوه، إنكم مجانين،
أقول لكم...

أسلاكسن : (دافعاً جرسه) لا نستطيع أن نسمع لك
الآن يا دكتور، نحن على وشك أن نأخذ قراراً
رسمياً. ولكن سيكون هذا القرار رعيًا لكرامتك، سرا
بالكتابة لا علنا بالشفاه. أعندك ورق يا سيد بيلنج؟

بيلنج : عندى النوعان، الأزرق والأبيض.

أسلاكسن : (ذاهبا إليه) هذا يكفى الغرض على أتمه، سنسرع فى
عملنا بهذه الطريقة، قسمه قطعاً صغيرة. أجل، هكذا.
(إلى الجمهور) الأزرق معناه لا، والأبيض معناه نعم،
وسأمر أنا نفسى وأجمع الأوراق. (يترك بيتر
ستوكمان محل الاجتماع ويذهب أسلاكسن وواحد
أو اثنان مطوّفين فى القاعة، يتناولون قطع الورق
المجموعة فى قباعتهم).

مواطن أول : قل لى! ماذا أصاب الدكتور؟ ما معنى هذا كله؟

هوفستاد : عجباً، ألا ترى أنه صلب متهور؟

مواطن ثان : (إلى بيلنج) بيلنج، إنك تذهب إلى بيتهم كثيراً، ألم
تلاحظ أنه يشرب الخمر؟

بيلنج : على اللعنة إذا كنت أعرف ماذا أقول، كلما ذهبت
وجدت على المائدة خمرًا.

مواطن ثالث : يخيل إلى أنه يفقد صوابه فى بعض الأحيان.

مواطن أول : ترى هل يُعرف فى أسرته شىء من الجنون.

بيلنج : لا أعجب أن يكون ذلك.

مواطن رابع : لا، لا يخرج الأمر عن حفيظة فى قلبه على بعضهم
لأمر ما، فهو يريد أن ينتقم لنفسه منه.

بينج : أجل، الواقع أنه اقترح زيادة مرتبه منذ عهد قريب،
ولم ينل هذه الزيادة.

المواطنون : (معا) آه، إذن فمن السهل أن ندرك السبب.

الرجل السكران : (وقد دخل مرة ثالثة بين الجمهور) أريد ورقة زرقاء،
أريد. وأريد ورقة بيضاء أيضاً.

أصوات : أهذا هو السكران مرة أخرى، أخرجوه.

مورتن كيل : (ذاهباً إلى الدكتور ستوكمان) ها، أريت كيف أدت
بك هذه الألاعيب الفردية؟

الدكتور : لقد أدبت واجبي.

مورتن كيل : ما هذا الذى قلته عن المدايح القائمة فى موليدال؟

الدكتور : لقد سمعتها بوضوح تام، قلت إنها مصدر جميع
القاذورات.

مورتن كيل : ومدبغتى من بينها؟

الدكتور : مدبغتك لسوء الحظ أشدها أذى.

مورتن كيل : وهل فى نيتك أن تنشر ذلك فى الجرائد؟

الدكتور : لن أخفى شيئاً.

مورتن كيل : قد يعود عليك من ذلك ضرر بالغ يا ستوكمان.

(يخرج).

رجل ضخم : (ذاهبا إلى القبطان هورستر بغير اعتداد بالسيدات)

أنت يا قبطان هورستر تعير منزلك، لأعداء الشعب؟

هورستر : أظن أن لى الحق فى أن أصنع بملكى ما أريد يا سيد
ويك.

الرجل الضخم : إذن فلن يكون لك اعتراض على أن أصنع بملكى ما
صنعت أنت.

هورستر : ماذا تعنى بذلك يا سيدى؟

الرجل الضخم : ستسمع منى جواب ذلك فى الصباح. (يدور على
عقبه وينصرف).

بترا : أليس هذا الرجل صاحب السفينة، يا قبطان
هورستر؟

هورستر : أجل، هذا هو السيد ويك صاحب السفينة.

أسلاكسن : (ومعه أوراق التصويت فى يديه، يصعد المنصة ويدق

جرسه) أيها السادة اسمحوا لى بإعلان النتيجة
بأصوات جميع الحاضرين هنا ما عدا واحداً.

أحد الشبان : هذا صوت الرجل السكران...

أسلاكسن : بأصوات جميع الحاضرين هنا ما عدا رجلا سكران يعلن هذا الاجتماع قراره بأن الدكتور توماس ستوكمان عدو للشعب. (صياح وتصفيق) مرحى ثلاث مرات لمجتمعنا القديم الشريف. (تصفيق مجدد) مرحى ثلاث مرات لعمدتنا النشيط الذي أخذ لولائه العميق صوت عواطف القرابة. (هتاف) انفض الاجتماع. (يتزل).

بينج : مرحى ثلاث مرات للرئيس!

الجمهور برمته : مرحى ثلاث مرات لأسلاكسن.

الدكتور : قبعتى ومعطفى يا بتر. يا حضرة القبطان!... هل عندك فى السفينة مكان لراحلين إلى أرض الدنيا الجديدة.

هورستر : لك ولذويك نفسح المكان يا دكتور.

الدكتور : (حين تساعد بتر على ارتداء معطفه) حسن، تعالَى يا كاترين، تعالُوا يا أولاد.

كاترين : (بصوت منخفض) توماس عزيزى، دعنا نذهب من الطريق الخفى.

الدكتور : لا ألبأ إلى الطرق الخلفية يا كاترين. (رافعا صوته)

ستسمعون أكثر مما سمعتم عن عدو الشعب هذا، قبل أن يفيض تراب نعليه عليكم! لست عفواً كبعض الأشخاص، فلا أقول إنى أعفو عنكم، لأنكم لا تعرفون ما أنتم فاعلون.

أسلاكسن : (صائحا) فى هذه المقارنة تجديف يا دكتور ستوكمان.

بينج : إنها تجديف، وربى! ومن الكفر أن يستمع لها رجل تقى...

صوت خشن : يتهددنا الآن هو! يتهددنا!

أصوات أخرى : هلم بنا نذهب ونكسر نوافذ بيته، ونغطه فى الخليج.

صوت آخر : انفخ فى البوق يا إيفنسون، بيب، بيب. (نفخ فى بوق، صفير، وصراخ عال، يخرج الدكتور ستوكمان من القاعة، ومعه عائلته وذلك بأن يفسح لهم هورستر الطريق).

الجمهور كله : (صارخاً وراءهم وهم ذاهبون) عدو الشعب، عدو الشعب!

بيئج : (وهو يجمع أوراقه) على اللعنة إذا أنا ذهبت لأشرب
التودى مع ستوكمان وعائلته الليلة.
(يتجمع الجمهور عند باب الخروج ويستمر
الضحج في الخارج، ويسمع صراخهم قائلين: عدو
الشعب).

«اتهى الفصل الرابع»

الفصل الخامس

المنظر:

غرفة مطالعة الدكتور ستوكمان، ترى خزانات الكتب والعينات الجراحية الطبية بجوار الحيطان، وفي المؤخرة باب يؤدي إلى غرفة الجلوس، وفي الحائط الأيمن نافذتان زجاجهما كله مكسور، وقد وُضع مكتب الدكتور مثقلاً بالكتب والأوراق في وسط الغرفة، والغرفة تبدو عادمة النظام، الوقت صباح، والدكتور لا يسُ بذلة البيت (روب دى شامير) وخفّين (شيشب) وعلى رأسه قبعة التدخين، وتراه مكباً يعبث بمظلة تحت إحدى الخزانات، وبعد قليل يُخرج قطعة من الحجر).

الدكتور : (منادياً من باب غرفة الجلوس المفتوح) كاترين! وجدت حجراً آخر.

كاترين : (من غرفة الجلوس) هو، ستجد عدة أحجار آخر. فيما أرجح.

الدكتور : (يضع الحجر فوق كومة أحجار على المنضد) سأُدخر هذه الأحجار كما تُدخر الآثار. سينظر إليها إيليف ومورتن كل يوم، وإذا كبرا ورثاها فيما يرثان من

المخلفات. (بعثت تحت إحدى خزانات الكتب) ألم تذهب تلك للشيطان، ما اسمها؟ تلك الفتاة، أنت عارفة، - لإحضار الزجاج، بعد.

كاترين : (داخلة) بلى، ولكنه قال إنه لا يدري هل يستطيع الحضور اليوم.

الدكتور : سترين أنه لا يجرو أن يجيء.

كاترين : أجل، هذا بعينه ما قدّرتَه راندين، إنه لا يجرو على الحضور خوفاً من جيرانه. (تنادى في غرفة الجلوس) ماذا تريدان يا راندين؟ أعطني. (تذهب داخلة في غرفة الجلوس وتعود على الفور) هذا خطاب لك، يا توماس.

الدكتور : دعيني أراه (يفتحه ويقراه) هاهو ذا، بالطبع.

كاترين : ممن هو؟

الدكتور : من صاحب الملك، إنذار بالإخلاء.

كاترين : أهذا ممكن؟ مثل هذا الرجل اللطيف...؟

الدكتور : (ناظراً في الخطاب) لا يجرو أن يفعل غير هذا، هكذا

ما يقوله. إنه لا يحب ما يفعل، ولكنه لا يجرو أن يفعل غير ذلك، حذراً من إخوانه في الوطن؛ مراعاة

للرأى العام. إنه فى مركز ذى صلوات ولا يملك أن
يُغضب بعض ذوى النفوذ.

كاترين : ها أنت ذا ترى يا توماس...

الدكتور : نعم، نعم، أرى حق الرؤية، الجميع فى البلدة برمّتها

جنباء، ليس فيهم رجل واحد يقوى على عمل شىء
خشية غيره. (يلقى الخطاب على المكتب) ولكن هذا
لا يهمنا، يا كاترين، نحن مبحرون عن هذه الأرض
إلى الدنيا الجديدة و...

كاترين : ولكن، يا توماس، أنت واثق أننا على صواب فى

هذا الرأى؟

الدكتور : أتعنين أنه يجب على أن أبقى هنا، حيث شهروا بى

ووسمونى بأنى عدو للشعب؟ وكسروا نواقد دارى؟
وإليك فانظرى هنا يا كاترين، إنهم أحدثوا مزقاً كبيراً
فى بنطلونى الأسود أيضاً.

كاترين : ويحى! هذا أحسن بنطلون عندك.

الدكتور : لا يصح لك أن تلبسى أحسن بنطلون عندك عندما

تخرجين للقتال فى سبيل الحرية والحق، ليس ذا لأنه
يهمنى الحرص على البنطلون، كما تعلمين فإن من

السهل أن تخيطيه لى وتعيديه سيرته الأولى. وإنما
كون القطيع العام يجرؤ أن يبغى على هذا البغى،
كأنما هم نظرائى، هذا ما لا أستطيع تحمله، ولو كان
فى ذلك حياتى.

كاترين : لا شك أنهم أساءوا إليك إساءة سمجة يا توماس،
ولكن أهذا سبب يكفى لتركنا وطننا تركاً باتاً.

الدكتور : أترين أننا إذا ذهبنا إلى بلدة أخرى لم نجد العامة بها
وقحاء كما هم هنا؟ تقى أنه لا فرق بينهم مما يؤثر
به فريق على فريق، أوه، لا بأس، دعى الكلاب
تنبح، ليس هذا أسوأ ما فى الأمر. أسوأه أنه لا يوجد
رجل فى هذا القطر من طرفه إلى طرفه الآخر إلا
وهو عبد لحزبه، وإن أكن أعتقد أن الحال فى هذا
الصدد ليس خيراً من هذا فى بلاد الغرب الحرة.
فأكبر الظن أن الغالبية المتراصة هناك، والرأى العام
الحر، وكل ما يتضمن ذلك الكشكول القديم من الزور
والأكاذيب، على مثل ما هى عليه هنا من الذبوع
والانتشار. ولكن الأمور هناك تجرى على نطاق
واسع، قد يقتلونك هناك، ولكنهم لا يعملون على

موتك بالتعذيب البطيء. هناك لا يعتصرون روح
الرجل الحر فى المقطرة كما يفعلون هنا، وقد
يستطيع الرجل أن يعيش فى عزلة إذا هو أراد ذلك
(يتمشى ذهابًا وحيثة) لو أننى أعرف غابة عذراء أو
جزيرة صغيرة فى البحر الجنوبى معروضة للبيع
بثمان رخيص...

كاترين : ولكن فكر فى الأولاد يا توماس!
الدكتور : (يقف ساكنًا) إنك امرأة عجيبة يا كاترين. أتؤثرين
أن يشبَّ الأولاد فى مجتمع كهذا المجتمع؟ لقد رأيت
بعينيك ليلة الأمس أن نصف سكان هذه البلدة قد
فقدوا عقولهم. وإذا لم يكن النصف الآخر قد فقدوا
عقولهم، فذلك لأنهم من العجاوات، ليس لهم من
العقل شىء يفقد.

كاترين : ولكن، يا عزيزى توماس، إن الأمور الخالية من
الروية التى قلتها بالأمس، كان لها كما تدرى يد فيما
جرى.

الدكتور : جرى! كيف؟ ألم يكن ما قلته صدقًا صريحًا؟ ألم
يقبلوا كل فكرة على وجهها؟ ألم يصنعوا من الحق

والباطل خبيصة معصدة؟ ألم يقولوا عما أعرف أنه حق، إنه أكاذيب؟ وأبلغ ما فى الأمر من الحق كون أولئك الذين يسمون أنفسهم أحراراً، أولئك الرجال البالغون، يسرون فى البلدة جموعاً وهم يتصورون أنهم أهل العقول الراجحة السمحة، أسمعتِ بمثل ذلك يا كاترين؟

كاترين : أجل. أجل، ما أشد حمقهم فى ذلك، حقاً، ولكن...
(بترا تدخل آتية من غرفة الجلوس) عدتِ من المدرسة فى هذا الوقت المبكر...؟

بترا : أجل، أعطونى إنذاراً بالعزل.

كاترين : بالعزل!؟

الدكتور : أنتِ أيضاً؟

بترا : أعطتِ السيدة باسك الإنذار، ولذلك رأيتِ أن أترك المكان على الفور.

الدكتور : لقد أحسنتِ أنتِ أيضاً.

كاترين : من كان يظن أن السيدة باسك امرأة من هذا الطراز!

بترا : لا يا أمى ليست السيدة باسك من ذلك الطراز بتاتاً، فلقد رأيتِ بعينى كيف أنها كانت متألّمة لما جرى،

ولكنها كما قالت لم تجرؤ أن تفعل غير ذلك، ولذلك
طرقتنى.

الدكتور : (ضاحكاً وماسحاً يديه إحداهما بالأخرى) لم
تجرؤ أن تفعل غير ذلك! هى أيضاً. أوه، هذا شىء
لذيذ!

كاترين : نعم، بعد تلك المشاهد المخيفة التى وقعت ليلة أمس.

بترا : لم يقتصر الأمر على ذلك، إليك يا والدى ، استمع.

الدكتور : ماذا!؟

بترا : أطلعتنى السيدة باسك على ما لا يقلُّ عن ثلاث
رسائل وصلت إليها هذا الصباح.

الدكتور : غفل لا توقع عليها فيما أظن؟

بترا : نعم.

الدكتور : نعم، لأنهم لم يجرءوا أن يخاطروا بإمضاءاتهم
يا كاترين.

بترا : ومنها خطابان فحواهما أن رجلاً كان ضيفاً علينا،

سمعوه ليلة أمس يعلن فى النادى أن أرائى فى

كثير من المسائل طليقة من كل قيد.

الدكتور : وأنت لم تتكرى ذلك طبعاً؟

بترا : أنت تدري أن هذا محال، آراء السيدة باسك طليقة
هى أيضاً إلى حد ما، عندما نكون على انفراد، أما
الآن وقد ذاع هذا الرأى عنى فإنها لم تجرؤ أن
تستبقينى بعد ذلك.

كاترين : وهذا من واحد كان ضيفاً من ضيوفنا أمس... هذا
يريك ما تناله من الجزاء على كرمك يا توماس.

الدكتور : لن نعيش بعد اليوم فى هذا الجحر القذر، اجمعى
أشياء المنزل بأسرع ما تستطيعين يا كاترين، كلما
عجّلنا بالرحيل كان أحسن لنا.

كاترين : اسمع - يُخيل إلىّ أنى أسمع أحداً فى البهو، انظرى
من هو يا بترا.

بترا : (فاتحة الباب) أوه، هذا أنت يا قبطان هورستر،
تفضل بالدخول.

هورستر : (داخلاً) سعد صباحكم، رأيت أن أتى وأرى كيف
حالك فى هذا الصباح؟

الدكتور : (هازاً يده) شكراً، هذا كرم منك.

كاترين : وشكراً لك أيضاً على مساعدتك إيانا فى اختراق
الجمهور يا قبطان هورستر.

- بترا** : كيف أمكنك أن تعود إلى منزلك بعد ذلك؟
- هورستر** : لم يكن في ذلك صعوبة؛ إنى قوى نوعاً ما كما تعلمين، وأولئك الناس ينبحون ولا يعضون.
- الدكتور** : أجل، أليس جبن هؤلاء الخنازير مدهشاً؟ انظر سأريك شيئاً، هناك كل الأحجار التى ألقوها فى نوافذ بيتى، انظر وتمعن فيها. أراهن بـرقبتي على أنه لا يوجد فى هذه الكومة حجران فى حجم وجيه، أما سائر الأحجار فليست إلا حصى، هنات صغيرة حقيرة، ومع ذلك فقد وقفوا فى الخارج ينبحون ويتوعدون بالأذى، أما الفعل فإنك لا ترى منه شيئاً كثيراً فى هذا البلد.
- هورستر** : من حسن حظك هذه المرة يا دكتور.
- الدكتور** : فعلاً، ولكنه يثير غضب الإنسان على كل حال، لأنه إذا حدث ذات يوم ما يستدعى جهاداً قومياً جدياً، رأيت الرأى العام فى جانب الفرار، وترى الغالبية المتراصة قد أدارت ظهورها وأذناها كقطيع من الأغنام، يا قبطان هورستر، هذا ما تأسى له النفس. يشغل بالى كثيراً أن... كلا، حسنت! من المضحك

أن أهتم بذلك. لقد سمّوني عدو الشعب، إذن فلاكن
عدواً للشعب حقاً.

كاترين : لن تكون كذلك يا توماس.

الدكتور : لا تقسمى على ذلك يا كاترين، قد يكون لإطلاق
تسمية قبيحة على الإنسان من الأثر فيه ما يكون
لوخز الإبرة فى الرئة، وهذا النعت الكريه لا
يمكن أن أبرأ منه. إنه لاصق هنا فى نقرة أحشائى
يفرى منى كالحامض الأكال. ولن تستطيع أية
مغنيسيا أن تزيله.

بترا : هوّن عليك، أجدرك بك أن تضحك منهم يا دكتور.

هورستر : سيغيرون رأيهم يوماً ما، يا دكتور.

كاترين : نعم يا توماس هذا أمر مؤكد، كتأكدى من أنك واقف
هنا.

الدكتور : ربما حصل ذلك بعد فوات الأوان، وقد يكون فى
ذلك فائدة لهم. سيخوضون فى أقدارهم يوماً،
ويذمون اليوم الذى دفعوا فيه بوطنىّ مثلىّ إلى
المنفى. متى تسافر يا قبطان هورستر؟

هورستر : (بهمهم) هم، هذا فى الواقع ما جنت أنكلم معك فى شأنه.

الدكتور : لم؟ هل حدث للسفينة...؟

هورستر : كلا، وإنما الذى حدث أنى لن أسافر فيها.

بترا : أتعنى أنك عُرِلت من قيادتها؟

هورستر : (باسمًا) نعم هذا ما قد حدث فعلاً.

كاترين : إليك يا توماس، أترى!

الدكتور : وهذا من أجل الحق. آه، لو أننى عرفت إمكان حصول ذلك.

هورستر : لا تأسَ لهذا، إنى واثق أنى سأجد عملاً عند أحد أصحاب السفن فى جهة أخرى.

الدكتور : وهذا هو وبيك، الرجل الغنى المستقل عن كل إنسان وكل شىء! قُبِحَ الرجل!

هورستر : إنه فى الواقع رجل خير، وقد قال لى هو نفسه إنه كان يسره أن يستبقينى لو أنه يقوى أن...

الدكتور : ولكنه لا يجروء، لا. لا، بالطبع!

هورستر : قال: ليس هيئنا على رجل حزبى أن...

الدكتور : لقد نطق الرجل بالصواب، الحزب أشبه بمفرمة اللحم تهرس كل أنواع الرعوس معًا، السمين منها والهزيل، وتجعلها كلها خبيصة واحدة.

كاترين : وى! وى، يا عزيزى توماس.

بترا : (إلى هورستر) لو أنك لم تصحبنا إلى المنزل لما انتهى الأمر إلى ذلك.

هورستر : لست أسفًا على ذلك.

بترا : (تقدّم يدها إليه تحية) شكرًا لك على هذا!

هورستر : (للدكتور) ولذا فإن الذى أتيت إليكم من أجله هو هذا، إذا كنتم قد عزمتم على الرحيل فقد فكرت فى خطة أخرى.

الدكتور : حسن جدًا، لو أننا نستطيع أن نرحل على الفور.

كاترين : س، س. أليس الباب يُقرع؟

بترا : إنه عمى ولا شك.

الدكتور : آها، (بصوت عالٍ) ادخل!

كاترين : يا عزيزى توماس عدنى وعدًا قاطعًا.

(يدخل بيتر من البهو)

بيتر : أوه، أنت مشغول؛ لذلك فإنى...

الدكتور : لا، لا، أدخل.

بيتر : ولكنى أردت أن أتكلم معك على انفراد.

كاترين : سنذهب نحن أثناء ذلك إلى غرفة الجلوس.

هورستر : وسأعود إليكم بعد فترة.

الدكتور : لا. لا ادخل هناك معهما يا قبطان هورسندر، أريد أن

أقف أكثر على...

هورستر : لا بأس، سأنظر إذن. (يلحق بكاترين وبيتر

خارجاً إلى غرفة الجلوس).

الدكتور : لا بد أنك تشعر بتيارات هوائية في هذا المكان الليلية،

البس القبعة.

بيتر : شكراً لك، إذا استطعت. (يلبس القبعة) أظن أنسى

اصبت برداً ليلة أمس، لقد شعرت بقشعريرة وأنا

واقف هناك.

الدكتور : حقاً؟ لقد كانت فيما وجدت دفيئة جداً.

بيتر : إنى للأسف أنى لم أستطع أن أمنع مظاهر التطرف

التي بدت ليلة أمس.

الدكتور : هل عندك شيء آخر ذو أهمية خاصة تتحدث عنه

خلاف ذلك؟

بيتر : (يخرج خطاباً كبيراً من جيبه) عندى لك هذه الوثيقة من لجنة الحمامات.

الدكتور : وثيقة عزلى؟

بيتر : أجل، ابتداء من اليوم. (يضع الخطاب على المنضد) يؤلمنا أن نفعل ذلك، ولكن إذا نحن تكلمنا بصراحة لم نجرؤ أن نفعل غير ذلك حذر الرأى العام.

الدكتور : (باسمًا) لم تجرأوا - يظهر أنى سمعت هذه الكلمة اليوم مراراً.

بيتر : لا بد لى أن أرجو منك أن تتبين حالتك بوضوح، لا يصح لك أن تعتمد فى المستقبل على شغلك الحر فى البلدة.

الدكتور : ليذهب الشيطان بالشغل الحر، ولكن كيف تأكدت من ذلك؟

بيتر : إن جماعة أرباب المساكن، كتبوا نشرة بأسماء جميع السكان لتمريرها من بيت لبيت. وقد أهابوا فى النشرة بكل صحيح الوجدان من المواطنين أن لا يستشيرك أو يلجأ إليك، وأؤكد لك ليس بين أصحاب العائلات فرد واحد يرفض التوقيع على النشرة بالإذعان، إنهم لا يجرأون.

الدكتور : فعلاً، فعلاً، لا شك فى ذلك. ثم ماذا؟
بيتر : إذا كان لى أن أنصحك فإنى أرى أن تهجر البلدة مدة قليلة.

الدكتور : نعم،، لقد بدا لى صواب ترك البلدة فعلاً.
بيتر : حسن، وإذا مضى عليك ستة أشهر تكون فيها قد فكرت فى الأمور مرة أخرى وتدبرتها بالعقل الناضج، فأفنع نفسك بكتابة بضع كلمات أسف، تقرر فيها بخطئك.

الدكتور : وبهذا أسترد وظيفتى، تعنى ذلك؟
بيتر : ربما، ليس هذا مستحيلاً، قطعاً.
الدكتور : ولكن ما قولك فى رأى العام يومئذ؟ حقاً إنكم لا تجرأون يومئذ أن تعيدونى إلى وظيفتى رعيًا للشعور العام.

بيتر : الرأى العام شىء قَلْبٌ حَوْلَ بدرجة عظيمة. وأصارك القول إنه يهمننا جدا أن يكون لدينا مثل هذا التصريح منك كتابة.

الدكتور : إذن فهذا ما أنت وراءه. اسمح لى أن أتعبك قليلاً فى تذكر ما سبق لى أن قلته لك منذ عهد قريب عن الحيل الثعلبية التى من هذا القبيل.

بيتر : كان مركزك يختلف يومئذ عما أنت فيه اليوم تمام الاختلاف، ولقد كنت يومئذ على حق فى تصور أن البلدة كلها وراء ظهرك.

الدكتور : والآن أجد جميع البلدة فوق ظهري (منتفضاً إساءً) لا أفعل ذلك ولو كان الشيطان وامرأته فوق ظهري، محال، محال، أوكد لك.

بيتر : ليس لرجل مثلك ذى عائلة أن يسلك هذا المسلك، ليس لك حق أن تفعل ذلك يا توماس.

الدكتور : ليس لى حق! ليس فى الدنيا من شىء لا حق للإنسان الحر أن يفعله إلا أمر واحد، أتعرف ما هو؟

بيتر : كلا...

الدكتور : بالطبع أنت لا تعرفه ولكنى سأذكره لك، ليس للرجل الشريف أن يلوث نفسه بالقدر، ليس له الحق فى أن يسير فى هذه الحياة سيراً يلزمه أن يبصق فى وجه نفسه.

بيتر : يطنُ هذا النوع من الكلام طنين الاستحسان العظيم. نعم، وإذا لم يكن هناك إلا هذا تعليلاً لعنادك... ولكن الواقع أنه يوجد.

الدكتور : ماذا تعنى؟
بيتر : أنت مدرك معنای تمام الإدراك، ولكنى كأخ لك،
وكرجل حصيف، أنصحك أن لا تعول كثيراً على
الآمال، أو تركز إلى المطامح؛ فإنها قد تكذبك
وتخيب قصدك.

الدكتور : لبيت شعري فيم كل هذا؟
بيتر : أتريدنى حقاً على أن أظن أنك تجهل وصية السيد
مورتن كيل؟

الدكتور : إنى أعرف أن القدر القليل الذى يملكه مقدر أن
يُعطى إلى ملجأ العجزة والمعوزين من العمال. وماذا
فى هذا مما يهمنى؟

بيتر : أولاً، ليس المال الذى نحن فى صدده قليلاً، السيد
مورتن كيل رجل يعد غنياً.

الدكتور : ليس عندى خبر عن ذلك.
بيتر : (يههمهم) هم، ألم يكن عندك حقاً؟ إذن فلعلك لا تدرى
أيضاً أن قسطاً عظيماً من ثروته مكتوب لأولادك،
وأن لك ولامرأتك ربح رأس المال طول حياتكما. ألم
يسبق له ذكر هذا لك؟

الدكتور : لا، وشرفى، الأمر على العكس، إنه لم ينقطع عن أن يُصعد دخان التأفف من أنه مثقل بالضرائب، ولكن أنت واثق من ذلك يا بيتّر تمام الثقة؟

بيتّر : أعرف الأمر من مصدر لا شك عندى فى صدقه.

الدكتور : إذن فالشكر لله، لقد ضمنت معيشة كاترين والأولاد كذلك. لا بد لى أن أطلعها على ذلك من فورى.
(ينادى) كاترين، كاترين...

بيتّر : (بجماعه) هس، لا تقل لها الآن شيئاً.

كاترين : (فاتحة الباب) ما الخبر؟

الدكتور : لا شىء، لا شىء، لا بأس، عودى. (تُقفّل كاترين الباب ويمشى الدكتور فى الغرفة فى اضطراب) ضمان العيش - قدر هذا الحال - عيشنا جميعاً مضمون، وذلك طول الحياة، ما أشد سعادة الإنسان بمعرفة أن عيشه مضمون له!

بيتّر : أجل، ولكن هذا بالتحقيق ما لست فيه، فى إمكان السيد مورتن كيل أن يغيّر وصيته أى يوم يريد!

الدكتور : ولكنه لن يفعل ذلك، يا عزيزى بيتّر، إن إليغر مرتاح تمام الارتياح. حملتى عليك وعلى إخوانك الراشدين.

بيتر : (يؤخذ وينظر إليه متمعناً) أه، هذا يلقي نورا
ويكشف لي كثيراً من الأمور.

الدكتور : أية أمور؟

بيتر : أرى الآن أن المسألة برمّتها مؤامرة بينك وبينه، هذه
الحملات العنيفة الحمقاء التي طالعت بها قادة البلد
تحت ستار الحق...

الدكتور : ما لها؟

بيتر : أرى أنها لم تكن إلا العوض المشروط في مقابل ما
تضمنته وصية ذلك الرجل الضغين.

الدكتور : (وهو يكاد يكون مقطوع الأنفاس) بيتر، أنت أقبح
عامي لقيته في حياتي برمّتها.

بيتر : لقد انتهى كل شيء بيننا الآن، إن عزلك لا مرد
له... في يدنا اليوم سلاح ضدك. (يخرج).

الدكتور : قبحاً لك! قبحاً لك! (ينادي) كاترين، امسحى البلاط
وراءه، دعى - ما اسمها؟ خسنت - البنيت التي على
أنفها هباب دائماً.

كاترين : (في غرفة الاستقبال) هس، توماس، أمسك.

بـ : (آية إلى الباب) أبى، جدى هنا، يتساءل هل يستطيع أن يلقاك على انفراد؟

الدكتور : نعم (ذاهباً إلى الباب) ادخل يا سيد كيل (يدخل مورتن كيل، ويقفل الدكتور باب الغرفة وراءه) ماذا أستطيع فعله لك؟ ألا تجلس؟

كيل : لا أريد الجلوس. (يلتفت حوله) أراك على راحة تامة اليوم هنا يا توماس.

الدكتور : نعم، أليس كذلك؟

كيل : تمام الراحة، قدر وافر من الهواء النقي، فيما أعتقد. عندكم اليوم كثير من ذلك الأوكسجين الذى كنت تتكلم عنه ليلة أمس. لا بد أن يكون ضميرك اليوم رائقاً جداً، ولا مرأء.

الدكتور : بلا شك.

كيل : هذا ما أعتقد (يقرع صدره) أتعرف ما الذى هنا؟

الدكتور : ضمير رائق أيضاً فيما أوّمل.

كيل : ها، لا شىء أفضل من هذا. (يُخرج من جيب صدره دفترًا سميكًا ويفتحه ويظهر منه ربطة من الورق).

الدكتور : (ناظرًا إليه بدهشة) سهوم فى الحمامات؟؟

- كيل** : لم يكن من الصعب الحصول عليها اليوم.
- الدكتور** : وقد كنت تشتري...؟
- كيل** : أكثر ما كنت أستطيع دفع ثمنه...
- الدكتور** : ولكن، يا عزيزي كيل، فكر في حالة الحمامات.
- كيل** : إذا أنت سلكت في الأمر مسلك رجل رشيد فإن فى استطاعتك ردها سيرتها الأولى.
- الدكتور** : لقد رأيت بعينك أنني بذلت كل جهدى ولكن... إنهم جميعاً مجانيين فى هذه البلدة.
- كيل** : قلت أمس إن أكبر الشر فى ذلك التلويث متأتّ من مدبغتى، فإذا كان الأمر كذلك، فلا بد أن جدى وأبى وأنا منذ عهد بعيد كنا نسم البلدة، كأننا ثلاثة ملائكة موكّلين بالهلاك، أتظن أنني سأصبر على هذه التهمة؟
- الدكتور** : أشفق لسوء الحظ أن هذا ما لا بد لك منه.
- كيل** : لا، يا سيدى، شكراً لك. إنى أغار على اسمى وسمعتى، يقولون إنهم يسموننى «إليغر» وهو نوع من الخنزير، ولكنى لا أريد أن أعطيهم الحق فى تسميتى بذلك، إنى أريد أن أعيش رجلاً نظيف اليد، وأن أموت كذلك.

الدكتور : وكيف تستطيع ذلك؟

كيل : عليك أن تتظفنى يا توماس.

الدكتور : أنا؟!؟

كيل : أتعرف بأى قدر من المال اشتريت هذه السهوم؟

كلا، إنك لا تستطيع بالطبع أن تعرف، ولكنى سأخبرك. إنه المال الذى تصيبه كاترين وبترا والولدان حين ألقى نحبى، لأنى استطعت كما تعرف أن أدخر بعض الشيء.

الدكتور : (ذهاباً) وأنت ذهبت فأخذت مال كاترين من

أجل هذا؟

كيل : أجل، جميع المال موظف فى الحمامات. والآن أريد

أن أعرف هل أنت أحمق حمقاً صريحاً يا توماس؟ فإذا أصررت على رأيك أن تلك الحيوانات وغيرها من الهنات القذرة التى من هذا القبيل، ناشئة من مديغتى، فكأنما أنت تسلخ من جلد كاترين وبترا والولدين سلخة كبيرة، ولا يفعل أحد هذا الفعل إلا إذا كان مجنوناً.

الدكتور : (متمشياً) حقا، ولكنى مجنون، أنا مجنون.

كيل : لا يمكن أن تكون عند هذه الدرجة البالغة من الجنون، وأنت في صدد أو لادك وامر أنك.

الدكتور : (يقف ساكناً أمامه) ولماذا لم تستشرنى فى الأمر قبل أن تذهب وتشتري كل هذه الأوراق الوسخة.

كيل : ما أبرم لا يُنقض.

الدكتور : (يتمشى وهو نائر النفس) لو أننى لم أكن متأكداً من الأمر! ولكنى مقتنع تمام الاقتناع أنى على صواب.

كيل : (وازنأً الدفتر فى يده) إذا تمسكت برأيك الأحمق فلن يكون لكل هذا الورق أدنى قيمة، كما تدرى. (يضع الدفتر فى جيبه).

الدكتور : ولكن - حسنت - قد يكون فى طاقة العلم استنباط دواء واق، أو ترياق من نوع ما...

كيل : لقتل تلك الحيوانات تعنى؟

الدكتور : أجل ليجعلها غير مُضرّة.

كيل : ألا يمكن أن تجرب سم الفأر؟

الدكتور : لا تتكلم كلاماً فارغاً. كلهم يقولون إن المسألة كلها

أوهام، إذن فلنكن كذلك، وليتصرفوا فيها على

هواهم. ألم يسمنى أولئك الكلاب الجهلة الضيقة

العقل، عدو الشعب؟ ثم ألم يكونوا على وشك أن يمزقوا ثيابي عن ظهري أيضاً!؟

كيل : ويكسروا نوافذ بيتك كلها.

الدكتور : وبجوار ذلك يقف واجبي حيال عائلتي. لا بد أن أتكلم فى الأمر مع كاترين، إنها سديدة الرأى فى هذه المسائل.

كيل : هذا فى محله، اهتد دائماً بنصيحة المرأة الرشيدة.

الدكتور : (متقدماً نحوه) كلما فكرت فى أنك تقدم على هذا العمل الأحق إذ تخاطر بأموال كاترين بهذه الطريقة، وتضعنى فى هذه الحيرة المؤلمة الشنيعة! عندما أنظر إلى المسألة يُخيل إلى أنى أرى الشيطان بعينه.

كيل : إذن فخير لى أن أنصرف، ولكن لا بد أن يصلنى منك رد قبل الساعة الثانية - إما نعم أو لا - فإن كان لا ، ذهبت السهوم إلى جهات الإحسان ويكون ذهابها فى هذا اليوم نفسه.

الدكتور : وماذا تأخذ كاترين؟

- كيل : ولا فلساً واحداً. (ينفتح الباب المؤدى إلى البهو ويبدو هوفستاد وأسلاكسن) انظر إلى هذين الاثنين.
- الدكتور : (محملقاً فيهما) يا للشيطان! ألكما وجه تجيئان به إلى بيتى؟؟؟
- هوفستاد : نعم.
- أسلاكسن : لدينا شيء نقوله لك.
- كيل : (همساً) نعم أولاً، قبل الساعة الثانية.
- أسلاكسن : (ناظراً إلى هوفستاد) آها! (مورتن كيل يخرج).
- الدكتور : نعم! ماذا تريدان منى؟ أوجزا.
- هوفستاد : إنى أرى وجه غضبك علينا لموقفنا فى الاجتماع ليلة أمس.
- الدكتور : موقفكما! تسميانه موقفاً. نعم لقد كان موقفاً ساخرًا، إنى أسميه موقفاً خاسراً نسويًا، مزرياً إلى حدّ يستوجب اللعنة.
- هوفستاد : سمّه ما شئت، لم نكن نستطيع أن نفعل غير ذلك.
- الدكتور : لم تجرؤا أن تفعلوا غير ذلك. أليس هذا هو الواقع؟
- هوفستاد : إذا أردت أن تعبر عنه بهذا التعبير.

أسلاكسن : ولكن لماذا لم تعطنا خبراً عن هذا من قبل؟ إشارة
تلميح بسيطة إلى السيد هوفستاد أو إلى.

الدكتور : إشارة تلميح إلى ماذا؟

أسلاكسن : إلى ما هو وراء كل هذه المسألة.

الدكتور : لست أفهم ما تعنى بناتاً.

أسلاكسن : (يُخني رأسه إحناء الوثائق) بل إنك تفهمه يا دكتور
ستوكمان.

هوفستاد : لم تعد هناك فائدة من كتمان الأمر.

الدكتور : (ناظراً مرة إلى أحدهما وأخرى إلى الآخر!) يا للشيطان
ماذا تعنيان كلاكما؟

أسلاكسن : أسمح لي أن أسألك أليس حموك مطوّفاً في البلد
يشترى كل سهوم الحمامات؟

الدكتور : بلى. لقد كان يشتري اليوم سهوماً من سهوم
الحمامات، ولكن...

أسلاكسن : كان أحكم لو أنه كلّف غيره شراءها، شخصاً قرابته
منك أبعد من قرابته.

هوفستاد : وكان يجب أن لا يظهر اسمك في المسألة، ما كانت
هناك ضرورة لأن يعرف الناس أنك أنت صاحب

الحملة الموجهة إلى الحمامات، كان يحسن بك أن
تستشيرنى يا دكتور.

الدكتور : (ناظراً أمامه، ثم كأنما أشرق عليه نور فيقول فى
ذهول) أمثل هذه الأمور مما يمكن إدراكه؟ أمثل هذه
الأمور ممكنة الحدوث؟

أسلاكسن : (بابتسامة) يظهر أنها كذلك، ولكن يحسن أن يستعمل
الإنسان فيها شيئاً من اللباقة.

هوفستاد : ويحسن جداً أن يكون فى مثل هذه الأمور أشخاص
متعددون، لأن التبعة التى تقع على عاتق كل واحد
منهم تخفُّ عندما يكون معه غيره!

الدكتور : (وقد استجمع نفسه) الخلاصة يا سادة، ماذا
تريدون؟

أسلاكسن : لعله يحسن أن السيد هوفستاد...

هوفستاد : كلا خبره أنت يا أسلاكسن.

أسلاكسن : نعم، الواقع أننا نرى وقد عرفنا القصد الذى وراء
المسألة برمتها، أن نجرؤ فنضع جريدة «رسول
الشعب» فى خدمتك.

الدكتور : أتجرون أن تفعلوا ذلك الآن؟ وماذا تصنعون بالرأى العام؟ ألا تخشون أن تسقط الصواعق على رؤوسنا؟

هوفستاد : سنحاول أن نردها عنا.

أسلاكسن : ويجب أن تكون مستعداً لأن تولى وجهك شطر ناحية أخرى يا دكتور، فمتى تبينت أن طعنك أصابت الكبد...

الدكتور : تعنى أنه عندما أكون أنا وحمي قد وضعنا يدنا على سهوم الحمامات بأبخس ثمن...

هوفستاد : أفهم أن ما دعاك إلى المطالبة بجعل رقابة الحمامات فى يدك، أسباب فى جوهرها علمية بحتة.

الدكتور : بالطبع؛ لم يكن إلا لأسباب علمية إقناعى الخنزير العجوز أن يقف إلى جانبى فى هذه المسألة، على أن نعود فنجرى شيئاً من أعمال السمكرة فى أنابيب المياه، ونقوم بشيء من أعمال الحفر فى الشاطئ، وينتهى الأمر دون أن نتكلف عند ذلك قرشاً. أترون هذا يكفى؟

هوفستاد : أظن ذلك، إذا وقفت الجريدة من ورائك تشد أزرارك.

- أسلاكسن : الصحافة فى البلد الحر قوة عظيمة يا دكتور .
- الدكتور : نعم، فى الواقع، وكذلك الرأى العام، وأنت يا سيد أسلاكسن فيما أرى تتحمل مواجهة جماعة أرباب المساكن؟
- أسلاكسن : جماعة أرباب المساكن، وجمعية الاعتدال فى تعاطى المسكر، اعتمد علىّ فى ذلك.
- الدكتور : ولكن يا سادة، فى الواقع أنا خجل أن أسأل، أى مقابل ترون أن...؟
- هوفستاد : كنا نفضل أن نساعدك بلا مقابل بتاتا، صدقنى يا دكتور. ولكن جريدة «رسول الشعب» فى حالة متداعية، فهى غير سائرة كما يجب، ولا أطيق أن أقطع الجريدة عن الظهور فى هذه الأيام التى تتطلب فيها الحالة السياسية جهدًا كبيرًا.
- الدكتور : نعم. نعم، قطعها يكون فى الواقع مؤلمًا لنفس رجل مثلك، محب للشعب. (يهبُّ فى وجهه) أما أنا فعُدوُّ للشعب، تذكر ذلك. (يتمشى فى الغرفة) أين وضعت عصاى، أين، للشيطان، عصاى؟
- هوفستاد : ما هذا...

أسلاكسن : حقا إنك لا تعنى أن...

الدكتور : (يقف ساكناً) وإذا أنا لم أعطكم فلساً واحداً مما

أستفيده من هذه المسألة؟ ليس من السهل الحصول على نقود منا نحن الأغنياء، تذكروا ذلك من فضلكم!

هوفستاد : وأنت من فضلك تذكر أن مسألة الحمامات ممكن عرضها في صورتين مختلفتين.

الدكتور : نعم، وأنت عين الرجل الذى يستطيع ذلك. فإذا أنا لم

أبادر بإنجاد رسول الشعب فإنك لا شك تلمح وجهه السوء من المسألة وتطاردنى، هذا ما أتصوره، وتقننى أترى، وتحاول أن تخنقنى كما يخنق الكلب أرنباً.

هوفستاد : هكذا حال الدنيا وشريعته، توجب على كل حيوان أن يجاهد فى سبيل عيشه.

أسلاكسن : ويحصل على طعامه من حيث قدر.

الدكتور : (متمشياً فى الغرفة) إذن فاذهبوا وابحثوا عن

طعامكم فى مجارى المراحيض، لأنى سأريكم أننى الحيوان الأقوى. (يجد مظلمته فيرفعها فوق رأسه ويهزها) آه، الآن.

- هوفستاد : لا تعنى بالطبع أن تستعمل العنف معنا.
- أسلاكسن : احذر ما أنت صانع بهذه المظلة.
- الدكتور : اخرج من النافذة، يا سيد هوفستاد.
- هوفستاد : (عند الباب) أنت مجنون؟
- الدكتور : من النافذة! يا سيد أسلاكسن، اقفز، أقول لك. لا بد لك من ذلك عاجلاً أو آجلاً.
- أسلاكسن : (جارياً وراء منضد الكتابة) الاعتدال يا دكتور، إنى رجل ضعيف لا قدرة لى على تحمل... النجدة! النجدة!
- (تدخل كترين وبترا وهورستر من غرفة الجلوس)
- كاترين : يا إلهى! توماس ما هذا!؟
- الدكتور : (هازاً المظلة) اقفز إلى الخارج، هلم اقفز... إلى المجارى.
- هوفستاد : هذا اعتداء على رجل لم يسيء! أدعوك للشهادة يا قبطان هورستر. (يخرج مسرعاً من البهو).
- أسلاكسن : (يتردد) لو أننى أعرف الطريق فى هذا البيت؟ (يسترق نفسه ويخرج من غرفة الجلوس).

كاترين : (مانعة زوجها) اضبط نفسك يا توماس.

الدكتور : (ملقياً المظلة) أما وحقى لقد فرأ فى النهاية.

كاترين : ماذا كانا يريدان منك؟

الدكتور : سأخبرك فيم بعد، عندى شىء آخر أفكر الآن فيه.

(يذهب إلى منضد الكتابة ويكتب شيئاً على بطاقة

زيارة) انظرى إلى هذا يا كاترين، ماذا كتبت على

البطاقة؟

كاترين : كتبت «كلا» بالثلاث ثلاث مرات. ما معنى هذا؟

الدكتور : سأخبرك عن ذلك أيضاً فيما بعد. (يمد يده بالبطاقة

إلى بترا) إليك يا بترا، قولى لذات الوجه المهيب،

تجرى بهذا إلى إليغر بأسرع ما يمكنها، أسرعى.

(تأخذ بترا البطاقة وتخرج إلى البهو) نعم، أظن أنى

حظيت بزيارة من كل فرد من رسل الشيطان اليوم،

ولكنى سأرهف قلبى حتى يشعروا بسنه، سأغمسه

فى السم والمرارة، وسأفزع رعوسهم بدواتى!

كاترين : نعم، ولكننا راحلون يا توماس عن هذا البلد.

(تعود بترا).

الدكتور : ها...

بترا : لقد انطلقت بها.

الدكتور : حسن، راحلون؟ هل قلت ذلك؟ كلا، الموت ولا أن نرحل!!! سنبقى حيث نحن يا كاترين.

بترا : نبقى هنا؟

كاترين : هنا فى هذه البلدة؟

الدكتور : نعم، هنا. هنا ساحة القتال، هذا هو المكان الذى ستجرى فيه الموقعة. هذا هو المكان الذى سأحرز فيه النصر، عندما تخطى بنطلونى سأخرج لأبحث عن بيت آخر، لا بد لنا من سقف فوق رؤوسنا يقينا الشتاء.

هورستر : هذا ميسور فى بيتى.

الدكتور : حقاً؟

هورستر : نعم، على أحسن حال. المكان متسع جدا وأنا قلما نزلت به.

كاترين : ما أكرم نفسك يا قبطان هورستر!!

بترا : شكراً لك.

الدكتور : (قابضاً على يد هورستر) شكراً، شكراً، هذى متعبية

تجاوزناها، يمكننى الآن أن أنصرف إلى العمل على

الفور . أمامك عمل لا نهاية له هنا يا كاترين، ولكن من حسن الحظ أن الوقت كله ملكي، لأنني عُزِلت من وظيفتي في الحمامات، كما تعلمين.

كاترين : (بتنهدي) نعم. هذا ما توقعته.

الدكتور : وهم يريدون أن يحوّلوا مرضاي عني، ليفعلوا! يبقى لي جماعة الفقراء على كل حال، أولئك الذين لا يدفعون شيئاً، وهم مع ذلك في أشد الاحتياج إليّ، ولكنهم سينصتوني إليّ، وربّي، سأخطبهم في وقته وغير وقته كما ورد في بعض الأسفار.

كاترين : ولكن يا عزيزي توماس، لقد كان يُخيّل إليّ أن الحوادث عرفتك قدر ما تفى عليك الخطابة.

الدكتور : أنت عجيبة في الحقيقة يا كاترين - أتريدين مني أن أترك نفسي مهزوماً مدحوراً من الميدان بسوط الرأي العام، والغالبية المتراسة وكل تلك الأكاذيب الشيطانية؟ لا. لا، شكراً لك، إن ما أريد أن أفعله أمر بسيط وبيّن، لا عوض فيه. لا أريد إلا أن أفرغ في رعوس أولئك الكلاب وأثبت أن الذين يسمون أنفسهم أحراراً ليسوا إلا أنكي أعداء الحرية. إن

المبادئ الحزبية ليست إلا وسائل خنق لكل حق فطير
قوى، وإن ما يسمونه مستلزمات الضرورة تقلب
الفضيلة والعدالة على وجهها وإنهم فى نهاية الأمر
سيجعلون الحياة هنا لا تطاق. ألا ترى يا قبطان

هورستر أن فى إمكانى جعل الناس يفهمون هذا؟

هورستر : محتمل، ولكنى لا أعرف شيئاً كثيراً عن هذه
المسائل.

الدكتور : لا بأس، تتبعه، سأشرح لك، رؤساء الأحزاب هم
الواجب أن يُبادوا. ليس رئيس الحزب إلا كالذئب،
اسمع، كالذئب الضارى، يحتاج إلى عدد ما من
الفرائس الصغيرة ليلتهمها كل عام، لكى يستطيع أن
يعيش، انظر إلى هوفستاد وأسلاكسن، كم من
الفرائس الصغيرة أبادا، أو على الأقل شوَّها وبترا،
حتى لم يعودوا يصلحون لشيء إلا ليكونوا من
أرباب البيوت الصغيرة أو المشتركين فى جريدة،
«رسول الشعب» (يجلس على حافة المكتب) قريبي
منى يا كاترين، انظرى كيف تشرق الشمس فى هذا
اليوم باهية، وانظرى إلى هذا النسيم الجميل، نسيم
الربيع الذى أحتسبه.

كاترين : نعم، لو أننا نستطيع أن نعيش على ضوء الشمس ونسيم الربيع يا توماس.

الدكتور : آه، سيكون عليك أن تدبى وتقتدى قليلاً، عندئذ نستطيع أن نسير بسلام، هذا لا يهمنى إلا قليلاً جداً. إن الذى يحزننى أكثر من سواه هو أننى لا أعرف أحداً من سماحة العقل وسمو الحجى بحيث يستطيع أن يتناول العمل من بعدى.

بترا : لا تفكر فى ذلك يا أبى، إن أمامك متسعاً من الوقت. مرحباً، لقد حضر الصبيان مبكرين. (يدخل إيليف ومورتن من غرفة الجلوس).

كاترين : أعندكما اليوم عطلة؟؟

مورتن : كلا، كنا نتشاجر مع الأولاد بين أوقات الدروس.

إيليف : ليس هذا حقيقياً، الأولاد هم الذين كانوا يتشاجرون معنا.

مورتن : فقال السيد رولاند عندئذ إنه يحسن بنا أن نبقى فى المنزل يوماً أو يومين.

الدكتور : (قاصفاً أصابعه بعضها على بعض وناهماً) ألهمتها، ألهمتها وربى، لن ترضعاً قدميكما فى المدرسة بعد اليوم.

- الولدان** : لن نذهب إلى المدرسة!؟
- كاترين** : ولكن يا توماس...
- الدكتور** : أبدأ - أبدأ، سأعلمكما أنا نفسي؛ أى أنكما لن تتعلما شيئاً مقدساً.
- مورتن** : مرحى!
- الدكتور** : ولكني سأصوغ منكما رجلين على سماحة فى العقل وسمو فى الحجى، عليك أن تساعدنى فى ذلك يا بترأ.
- بترأ** : أجل يا أبى، ثق أننى معك.
- الدكتور** : وستكون مدرستى فى البهو الذى أهانونى فيه وسمونى عدوًّا للشعب، ولكننا قليلون جداً، يجب أن يكون عندى فى البداية اثنا عشر صبيًّا.
- كاترين** : محال ولا شك أن تجدهم فى هذه البلدة.
- الدكتور** : سنجدهم (إلى الولدين) ألا تعرفان جماعة من عفاريت الشوارع، من كل سافل رث الثوب؟
- مورتن** : بلى، يا أبى، أعرف منهم العديد.
- الدكتور** : شىء عظيم، أحضر لى بعضًا منهم؛ سأقوم بعمل تجاريب على الكلاب، ولو مرة. فقد توجد فيهم رعوس ممتازة.

مورتن : وماذا يكون عملنا يوم تكون قد خلقت منا رجالاً ذوى

سماحة فى العقول وسمو فى الحجى؟

الدكتور : يومئذ ستزجران جميع الذئاب عن هذه البلاد، يا

ولدى. (ينظر إيليف بشيء من الشك فى ذلك،

ومورتن يقفر ويصيح) مرحى!

كاترين : عسى أن لا يكون الذئاب هم الذين يزجرونك عن

هذه البلاد يا توماس!

الدكتور : أزيك الصواب يا كاترين؟ يزجروننى الآن وأنا

أقوى رجل فى البلد؟

كاترين : أقوى رجل؟! الآن؟

الدكتور : نعم، وسأذهب إلى مدى القول بأنى أقوى رجل فى

الدنيا برمتها.

مورتن : أنا أقولها!

الدكتور : (خافضاً صوته) هس، لا يجوز أن تقول عن ذلك

شيئاً بعد، ولكنى وُفِّت إلى استكشاف عظيم.

كاترين : استكشاف آخر؟

الدكتور : أجل. (يجمعهم كلهم حوله ويقول لهم في السر قولة
واثق) هو هذا فنقوا، إن أقوى رجل في العالم هو
الذى يقف في الدنيا وحيداً(*)
كاترين : (باسمة وهازة رأسها إعجاباً) توماس، توماس!
بـترا : (بروح التشجيع حين تقبض على أيدي أيها)
والدي!

«انتهت رواية عدو الشعب»

(*) قال الطغرائي:

وإنما رجل الدنيا وواحدھا من لا يعول في الدنيا على رجل

عندما نبعث نحن الموتى

ترجمة: محمود سامى أحمد

مراجعة وتقليم: درينى خشبة

مقدمة

إبسن والمذهب الرمزي

يلجأ الناس إلى الرمز في الدين أو الفلسفة أو السياسة أو الأدب، ولاسيما الشعر، إذا كانوا يخافون من الجهر أو المصارحة بأرائهم، فتراهم يرمزون وأحياناً يغمضون ويلغزون، ومن ثم كان الرمز شيئاً قديماً في تاريخ الإنسانية... لجأ إليه المصريون القدماء وهم يلفقون أساطيرهم التي تجسم الآلهة للعامّة، وحذا حذوهم اليونانيون وهم يحاولون تفسير الظواهر الطبيعية تفسيراً مجسداً يفهمه الشعب... بل نحن نجد قدراً كبيراً من الرمز في الكتب المقدسة... ونجده بارزا في أناشيد سليمان وفي رؤيا يوحنا... ونجد أفلاطون يستعين به حينما يقول إنه من الأيسر أن تقول عن الشيء ماذا يشبه، من أن تقول عنه ماذا هو... بل نجد الأفلاطونية الحديثة تغلو في الأخذ بالرمز غلواً شديداً.... ثم نجد العرب يفتنون به وهم ينهلون من موارد الفلسفة اليونانية... ونجد الهيئات السرية وشبه السرية تستعين به في التبشير بأرائها، كما يتضح ذلك في رسائل إخوان الصفا ولاسيما الرسالة الحيوانية، بل نجد المتفلسفين يتخذونه

وسيلتهم المفضلة فى مداعبة غلاة المتدينين من خصومهم الفكرين، كما نلمس هذا فى رسالة الغفران ورسالة الملائكة والفصول والغايات وكثير من شعر اللزوميات لأبى العلاء المعرى، ورسالة حى بن يقطان لابن الطفيل الإشبلى ورسالة التوابع والزوابع لأبى عامر القرطبى، وفى كثير من قصص ألف ليلة وليلة وقصص كليلة ودمنة... بل نجده ظاهرة عامة فى أشعار المتصوفة المسلمين الذين قد نعجب إذا عرفنا أنهم هم الذين أثروا بفلسفاتهم الغامضة الإلهية فى كثيرين من رواد المسرح الأيرلندى الحديث.

ولعل هذا هو السبب الذى من أجله لجأ هنريك إبسن منذ سنة ١٨٦٤ على وجه التقريب إلى الرمز فى مسرحياته، وإن كان المسرح - وبالأحرى المسرحية - هى أصعب وسيط أدبى من وسائط الرمز الفكرى؛ إذ الوسائط الرمزية المادية فى عالم المسرح كانت شيئاً معروفاً فى عصر إليزابث... وذلك حينما كانوا يكتفون فى الرمز إلى الغاية بإظهار شجرة على المنصة، أو الرمز إلى وجود جيش أو جيشين متحاربين بإظهار خيمتين كل منهما فى جانب، أو إظهار عرش يجلس عليه الملك ليرمزوا إلى وجود بلاط ملكى وحاشية ملكية وهكذا... وذلك لأنهم لم يكونوا يعرفون المناظر المسرحية المعقدة التى ظهرت فيما بعد... على أن الرمز الأدبى - وبالأحرى المسرحية الرمزية - كانت شيئاً معروفاً قبل عصر

اليزابث... وحسبنا أن نتذكر آخر طور من أطوار تدرُّج المسرحية الدينية، وهو طور المسرحية الأخلاقية morality لندرك أنها كانت لوناً من ألوان المسرحية الرمزية، وإن فضلوا أن يلحقوها بفن المجاز allegory وليس بفن الرمز symbolizing.

أما الأسباب التي جعلت إبسن يتخذ من المذهب الرمزي وسيلته المفضلة في التبشير بأرائه وتصوير انتقاداته للمجتمع الذي كان يعيش فيه، فهي نفس الأسباب التي اضطرت المفكرين من قبل إلى سلوك هذه السبيل... لقد كان إبسن - كما بيَّنا ذلك في مقدمتنا لمسرحيته «أعمدة المجتمع» يعيش منطويًا على نفسه، ينظر إلى نقائص المجتمع الذي يعيش فيه ويتحين الفرص لمهاجمة هذه النقائص والتشهير بها، ولأن هذا المجتمع كان يبادل إبسن العداة فقد أثر إبسن أن يروِّضه بالأسلوب الإيحائي suggestive الذي يلقي في روع قارئه أو المستمع إليه معاني غير المعاني السطحية التي يسهل على أبسط العقول إدراكها في غير مشقة أو عسر، وهو ما يقوم به الأسلوب الصريح المعبر expressive الذي يخلو من اللف والدوران.

أما سنة ١٨٦٤ التي سبقت الإشارة إليها فهي السنة التي ظهرت فيها معالم المذهب الرمزي جلية واضحة في مسرحية إبسن «المطالبون بالعرش» Pretenders، والتي صور فيها نضالاً بين رجلين يدعى كل منهما الحق في اعتلاء عرش النرويج، أما أولهما

هاكون، فذلك الرجل الذى قُدَّت إرادته من حديد، والذى يثق فى نفسه وفى أحييته بالملك ثقة لا تتسرب إليها إثارة من الشك ولا تعتربها إمارة من التخاذل، وأما الآخر سكول، فرجل خيالى هيَّاب، ومتخاذل شديد التردد، وإن انطوى على مزايا لا يتحلى الأول بشيء منها، وفضائل عليا يفتقر هاكون إلى بعضها. ويستمر الصراع حتى ينتهى بفوز هاكون وهزيمة سكول، والمسرحية تاريخية، ويرجع عهدا إلى القرن الثالث عشر.

وقد كتب إبسن هذه المسرحية فى وقت بدأت فيه المنافسة تشتد بينه وبين مواطنه وصديقه الكاتب المسرحى المشهور بجورنسون Bjornson (١٨٣٢ - ١٩١٠) أيهما تتم له الزعامة فى ميدان الكتابة المسرحية فى النرويج. والإجماع على أن إبسن إنما صور فى هذه المسرحية تلك المعركة بينه وبين مواطنه آنذاك. وقد كاد يرمز بهاكون إلى صديقه، وبسكول إلى نفسه. والعجيب أنه كان صادقاً فى وصف ما يمتاز به كل منهما، وتصوير ما تضطرب به نفسه هو بالذات من تردد وتخاذل وتهيب فى إبان تلك المعركة المسرحية التى نعلم كلنا، ويشهد العالم كله، بأن الغلبة فيها إنما كانت من نصيب إبسن آخر الأمر، وإن كان بجورنسون هو الغالب وقت المسرحية.

على أن بعض مؤرخى إبسن يرجع عامين إلى الوراء، أى إلى سنة ١٨٦٢، وبالأحرى إلى السنة التى ظهرت فيها مسرحيته

«ملهاة الحب» Love's Comedy التي يُعدّونها الفجر الصادق في ظهور الرمز بأقوى مجاليه في مسرحيات الكاتب الكبير؛ ذلك أن المسرحية تقوم على فكرة كان يبشر بها في الرابعة والثلاثين من عمره الطويل، وخلاصة الفكرة كما كان ينطق بها إيسن هي «أنك إذا أردت الزواج فلا تقع في الحب، فإذا وقعت في الحب فالفراق الفراق!» وهو يوضح الفكرة بتصوير أربعة رجال مختلفي المشارب، قس ومحام وطالب لاهوت وشاعر، ولكل منهم حبيبة يهواها، ثم لا يكاد يتزوج منها حتى تفتت علاقات المحبة التي كانت تربط بين قلبي كل حبيبين؛ ذلك لأن الزواج في رأى إيسن في ذلك الوقت كان يؤدي إلى الفتور في العلاقات الروحية. وقد أثارت المسرحية الرأى العام على إيسن، حتى لقد رفض البرلمان الموافقة على المنحة التي كان صديقه بجورنسون يعمل على منحها إياه لإتاحة السفر له إلى وسط أوروبا، وهو الذى غمر الروابط الدينية التي تقوم عليها عقدة الزواج في تلك المسرحية، ممثلة في شخصية قس الكنيسة الذى يظهر فى آخر المسرحية ومن حوله عدد كبير من ذراريه، فى حين يفر الثلاثة الآخرون بسعادتهم من زوجاتهم، بعد أن يتبينوا سخافة الغلطة التي جنوا بها على حبهم بهذا الزواج القائم على الشرائع والتقاليد!

لقد كانت زلة سببت متاعب كثيرة لإيسن، لكن إيسن - الذى كان لا ينسى أنه الشخص الذى وصف نفسه بما وصفها به فى

شخصية سكول لم يفكر فى التوبة أو الإنابة، ولم يزد إلا نقمة على رجال الدين وإلا عداوة للتقاليد والمجتمع، حتى كانت الأزمة التى اعتدت فيها ألمانيا على جارة النرويج الشقيقة دانمرك، والتى حاول جهده أن يدعو بلاده لى تخف إلى نصره الدانمرك بكل ما تملك، ولو انتهت النصره إلى هزيمة النرويج نفسها. لكن النرويج تخالفت ولم تلق بالاً إلى صراخ إيسن، وانتصرت ألمانيا العسكرية على الدانمرك الوديعه المسالمة، واقتطعت من أرضها الولاية الجنوبية بأكملها. عند ذلك اشتد سخط إيسن على بلاده، وملأ نفسه الغيظ على شبابها بصفة خاصة، ثم انعكس هذا كله فى رمزيته الخالدة «برانند» Brand، وهى المسرحية التى قدمنا خلاصة وافية عنها فى كتاب «أشهر المذاهب المسرحية» وقد ظهر فى المسرحية أثر زعيم الوجودية الأول كيركجارد فى تلميذه إيسن. وكيركجارد فى ذلك الوقت هو فيلسوف الدانمرك البلد الشقيق المهزوم الذى طالما ندد بحقارة عصره وضعة المجتمع وتخالذ النفس البشرية أمام المادة، وغلبة روح المساومة عليها، مما رده إيسن فى رمزيته العظيمة، وأرسله على لسان هذا القس برانند بطل المسرحية الذى كان يؤمن بأن الشيطان ليس شيئاً إلا غلبة الأطماع المادية على نفوس الناس، وانتشاء إرادة البشر أمام المغريات والشهوات، ومن ثمة رفض منصباً فى كنيسة كبرى، ورفض الإقامة فى جو أدفاً يتوقف على انتقاله إليه شفاء ابنه الوحيد، وفضل أن يهزم الشيطان الذى ليس شيئاً غير هذه

المغريات والمساومات، وذلك برفضه هذا المنصب وإيثاره البقاء حيث هو فوق الآكام الثلجية الوبيلة المهلكة، وبين أولئك الذين أحبوه حتى يُتِم لهم رسالته، وإن كان هذا الإيثار قد كلفه حياة ابنه الصغير، ثم حياة زوجته التي كانت تطيعه وتجله وتحبه وتقده، وبهذا خسر كل شيء... حتى نفسه... وحتى محبة العامة الذين كانوا يجلونه ويقدمونه عندما أغراهم الرؤساء وأولو الأمر بالعودة إلى حقولهم ومصائدهم، وحينما أفنعوهم بأن براند رجل معتوه خيالي لا يقودهم إلا إلى المهالك، تمامًا كما كان إيسن يدعو قومه إلى نجدة الدانمرك، وإن جرّت عليهم نجدتهم لها الهزيمة التي لم تكن لتصيبهم إلا في شيء مادي مؤقت، لكنهم كانوا لا يخسرون شرفهم وإنسانيتهم التي كانت تحتم عليهم الانتصار الفعلي لجيرانهم في موقف محنتهم. إن براند هنا يدعو كل فرد في هذا المجتمع الجبان الفاسد المتخاذل إلى التحرر من موبقات مجتمعه، وحقارات البيئة المحدقة به، وتفاهاتها، وبالأخص من دناياها الروحية، وهو نفسه ما كان ينادى به كيركجارد. لقد كان براند قسًا وأبًا روحياً للشعب الذي حوله، وكان في الوقت نفسه يخاصم أمه لأنه اكتشف أنها تزوجت من أبيه لمصلحة مادية فهجرها براند لهذا السبب، وهجرها سنين طويلة عسى أن تتوب وتتخلص من المال الذي آل إليها بعد موت أبيه، ولعلها سرقت هذا المال حتى لا ينتفع أصحاب الحق فيه بشيء منه، ثم مرضت الأم... وأحست بدنو الأجل، فأرسلت إلى ولدها القسيس

ليحضر وفاتها وليباركها. ولكن براند يرسل إليها مشروطاً أن تنزل عن كل مالها الذي استولت عليه بالطريقة التي تعرفها، وترفض الأم، وتتوسل إلى الابن أن يكون التنازل عن بعض المال، عن نصفه أو ثلاثة أرباعه، ولكن براند يصرُّ على أن تفعل أمه ما أشار هو به... ولكن... من! إنها ترفض... وترفض، وترفض... وتموت دون أن يراها ابنها ودون أن يباركها. ويكون إصراره هنا أشبه بإصراره بعد ذلك وهو يرفض أن ينفذ ابنه الحبيب، حتى لا يفرط في حق ربه الذي عاهده على ألا يضعف في أداء رسالته، وتكريس حياته كلها من أجلها. وهذا هو الالتزام الذي توجبه الوجودية المتدبنة التي لا تفرط في عهد عاهدت ربها عليه، الوجودية التي تكفر بالجماعة وتؤمن بالفرد، ومن ثمة تتجهم الديمقراطية وتكبر من شأن الفردية، مما نراه جلياً واضحاً في شخصية دكتور ستوكمان بطل مسرحية «عدو الشعب»، وفي براند الذي يكفر برأى الأغلبية والجماهير كما يكفر بها ستوكمان، ويؤمن بالسماء التي في نفوسنا وليست السماء الزرقاء التي يؤمن بها المهرجون.

لقد أراد إيسن أن يضرب المثل لمواطنيه فصور لهم براند الذي لم يجزع ولو مرة واحدة من الموت، ولم يجبن فلم يقدم على الفداء حينما يكون الفداء هو العمل الذي لا مفر منه ولا معدى عنه.

وفى سنة ١٨٦٧ أخرج لهم الصورة العكسية، الصورة
المضادة لشخصية براند، وذلك كما صورها فى شخصية «بيرجنت»،
ذلك الشاب المراهق الفحل الذى امتلأت رأسه بأحلام السكارى
وأمانى المراهقين الكسالى الذين لا يكفون عن التمنى ولا يعملون
شيئاً لتحقيق أحلامهم فى دنيا الواقع، أولئك السليبيون الذين يريدون أن
يكونوا ملوكاً وهم فى واقع أمرهم أفاقون صعاليك. إنك إذا رجعت
إلى خلاصة «بيرجنت» فى الكتاب المذكور آنفاً لم يصعب عليك أن
تدرك أن بيرجنت هذا كان يرغب فى أن يكون فرداً، وفرداً عظيماً
له ذاته وشخصيته... لكنه أخفق فى بلوغ تلك الغاية، لأنه كان يطلب
المجد من غير طريقه الصحيح؛ لقد كان يواجه الظرف من الظروف
فلا يفكر إلا فى مصلحة يحققها أو أمنية كانت تجول بقلبه ولعلها أن
تتحقق إذا اهتبل فرصة ذلك الظرف. لقد كان يقول لوالدته إنه سوف
يصبح قيصرًا عظيمًا، فلما هام على وجهه فى صحارى الجليد، غير
عابئ بتلك الفتاة سولفيج الفقيرة التى أحبته وشملته بعطفها وحنانها،
لأنه كان يجرى وراء مطمح مادية صرف، ثم انتهى إلى مملكة
الأقزام، ولقيه ملكها وعرض عليه أن يزوجه ابنته، قبل بيرجنت
راضياً مبتهجاً لأن هذا الزواج يدينه خطوة من القيصرية التى كان
يحلم بها على الرغم من أن عروسه ابنة الأقزام كانت مخلوقاً شأنها
لم يفتح لها قلبه، وإن تفتحت مطامعه وأحلامه فى العز العريض

والجاه الرخيص، ولم يكذب يقضى معها ليلة حتى فرّ مع الفجر، جاريًا وراء أحلامه التي لا تنتهى.

إن بيرجنت هو الصورة المجسمة، أو الصورة الرمزية لشباب النرويج كما تخيلهم إيسن، الشباب المائع الذى يحلم ويحلم ويسترسل فى الحلم ولا يكف عن التمنى، ثم لا يعمل شيئًا إيجابيًا يحقق به أحلامه، شيئًا شريفًا تسنده نفس شريفة، شيئًا جديًا يدل على أن وراءه نفسًا لها إرادتها النقية التي لا تلتين ولا تتثنى فى طلب المحامد، الشباب الذى يساوم ويلبس لكل حالة لبوسها من التلون والنفاق.

لقد هجر بيرجنت فتاته سولفيج ليندفع فى سلسلة من المغامرات الحسية المادية الغريبة، ومن أجل غايات مادية رخيصة يحققها بالكذب والخداع وأحيانًا بالقتل، لا يبالي أن يخسر الآخرون مادام أنه يظفر بالربح فى كل مغامرة، حتى تتعب نفسه المريضة آخر الأمر، ويتملكها اليأس، حينما يرى بيرجنت أنه خسر كل شيء... ومتى؟ بعد أن أدركته الشيخوخة وواجهه الموت فى صورة هذا السبّاك الذى لقيه بعد أن نجا من الغرق؛ فإذا هو قد سئم حياته وإن لم يسأم البقاء... ولو فى الجحيم، بعد أن زایلته إرادة الخير والرغبة فى عمل صالح يفيد منه العالم الذى حوله، ولا تقتصر فائدته عليه هو فحسب. إن بيرجنت فى محنته النفسية هذه يفوق على صوت رقيق حنون، فإذا الصوت صوت سولفيج التى خانها ولم يعبأ بحبها.

وكان ينتظر في مثل هذه الحال أن تلعبه، فإذا هي تخف لنجدته، وتتقده من برائن يأسه، وتبعد عنه شبح اليأس، الذى هو الموت، ممثلاً فى صورة السباك، فإذا سألها وهو يدس رأسه فى حجرها من الحياء والخجل أين كانت كل هذه السنين التى غاب فيها عنها، إذا هى تقول: إنك لم تغب عنى قط «لقد كنت ملء إيمانى، ملء آمالى، ملء حبى!».»

يا عجباً، إن هذه هى الصورة العظيمة التى صورها لنا إيسن سنة ولم ينسها قط، لم ينسها أبداً، لم ينسها فى معظم مسرحياته الاجتماعية الخالدة التى كتبها بعد ذلك، والتى ظل يكتبها اثنتين وثلاثين سنة منذ أن كتب «بيرجنت» حتى كتب لنا آخر مسرحياته، هذه الآية العظيمة: «حينما نبعث نحن الموتى» التى كتبها سنة ١٨٩٩، وعاش بعدها سبع سنوات لم يكتب خلالها شيئاً حتى وافاه الموت سنة ١٩٠٦... فلماذا؟ ولماذا نراه بعد «بيرجنت» التى جعلها هى وسابقتها «براند» رمزاً خالصاً، فإذا هو يغلب الناحية الاجتماعية على الناحية الرمزية فى إنتاجه مدى ثلاثين عاماً ونيّفًا، وإن لم تخل مسرحية واحدة من قدر كبير من الرمز اللطيف الذى يذكرنا بفن الكاتب حينما كان كاتباً رمزياً خالصاً، بل حينما شق الطريق لأول مرة فى تاريخ المسرح الحديث للمذهب الرمزي، كما سنورد قصة المذهب الرمزي فيما بعد.

ونعود فنتساءل عما حدا بإبسن العظيم، وبعد أن بلغ الحادية والسبعين من عمره، إلى العودة إلى المذهب الرمزي الخالص، يكتب منه هذه المسرحية التي تقرب أن تكون سيمفونية يغلب فيها الفن وتغلب فيها الفلسفة على الموضوع؟ هل أراد أن يجعلها لحنه الأخير المفضل الذي يعزفه بين يدي الموت، ويودّع به الحياة قبل أن يحين منتهائها بسبع سنوات؟ ماذا أراد إبسن؟ ترى ألجّ به الشوق إلى ألعانه القديمة فأراد أن يردها؟ أم ماذا؟

لا هذا ولا ذلك، فالخيط متصل فى مسرحيات إبسن كلها ولم ينقطع... ثم الذى حدث فى أواخر القرن التاسع عشر من صحوة المذهب الرمزي، وظهور كتاب رمزيين كثيرين، منهم فاجنر ومنهم ميترلنك، جعل إبسن يجول معهم فى الميدان.

ولكن لهذا موضعه من الحديث، فلننتظر.

* * *

الأستاذ روبك Rubek رجل فنان وصانع تماثيل عالمى الشهرة، وهو يقضى الصيف الآن مع زوجته الشابّة الحسنة، مايا، فى مصيف من تلك المصايف الجميلة المعروفة بحماماتها وسحر مناظرها وفتنة الطبيعة التى تتبرج من حولها، بين شاطئ البحر ومهاوى الجبال النرويجية الشاهقة المجللة بالثلوج والغابات

والأشجار، الحانية على الخلجان الرفيعة الثعبانية المعروفة باسم الفيوردات... وكان الزوجان قد عادا من رحلة فى أنحاء العالم، ثم لم يكذبوا يستقر بهما المقام فى دارهما الخلاوية البديعة التى بناها الفنان لزوجته الجميلة على ضفاف بحيرة تونتر Taunitz، وفى أبداع ناحية من تلك الضفاف، حتى شعرت الزوجة بالقلق وبالفرغ فاقترحت على زوجها الفنان أن ينتقلا إلى هذا المصيف من مصايف الشمال، فلم يملك إلا أن يلبى رغبته، لأنه كان مثلها يشعر من حوله بفرغ رهيب... رهيب... يكاد يجعل كل شىء من حوله ومن حول زوجته الجميلة الحساء سكونا موحشا، وصمتا يشبه البكم. والعجيب أن نزولهما بحمامات هذا المصيف البديع لم يبدل من أمر هذا الفراغ شىئا، بل لم يخفف من حدة السكون الموحش الذى يتسرب إلى نفسيهما فيجعل كل جلبة وكل ضوضاء من حولهما سكونا رهيبا قالت عنه مايا، أو مسز روبك، إنها تسمعه... تسمعه ويملا أذنيها!

وتشكو مايا إلى زوجها من هذا الشعور بالفراغ والإحساس بالسأم، ومن طول هذا الضرب فى الآفاق وبين الغابات، هكذا بلا هدف، وأنها منذ أربع سنوات وهى تشعر بالملال الذى يجعلها فى شبه غربة روحية... وهنا يستدرك روبك فيقول وهو يبتسم: أى منذ أن تزوجنا! ولكن مايا تنتظر إليه مشدوهة لتقول له: وما لهذا وزوجنا! وهل تظن أن الذى تغير منا هو... أنا؟

ويقول روبك إنه كان يشعر، إذ هما في القطار يطوى بهما
الرحب إلى أرض الوطن، أن القطار يتلأأ، ويقف في كل محطة بلا
سبب، وإنه كان يحس في كل محطة بوجود شخصين من العمال
يقطعان الرصيف جيئةً وذهابًا، وأحدهما يحمل مصباحًا، وهما
يتبادلان في الظلام حديثًا مختلفًا لا معنى له.

وتلقت مايا إلى زوجها لتقول له بدورها: «هذا صحيح، ثمة
دائمًا اثنان يسيران جيئةً وذهابًا، وهما يتحدثان».

فإذا قال لها إن عليها أن تنتظر الزورق البخارى الذى سوف
يبحر بهما فى الغد لينطلق بهما نحو الشمال حول الشاطئ، نحو
البحر القطبى، إذا مايا تقول له: «أجل، ولكنك لن ترى إذ ذاك شيئًا
من الأرض، أو أحدًا من الناس... وهذا هو بالذات ما أنت فى حاجة
إليه».

ويقول روبك إنه ليس فى حاجة إلى شىء مطلقًا، فلقد رأى من
الدنيا الكثير، ولم يعد ينقصه شىء فى ذلك العالم. لكن مايا تؤكد له
أن ثمة شيئًا ينقصه، وهذا أمر لا شك فيه، وأن على روبك أن يحدثها
صراحة عن هذا الشىء... فلقد لاحظت أن حالًا، بل أحوالًا من
القلق، تستولى عليه، وأنه لا يكاد يستقر على حال. ثم هو ينفرد إلى
الخلاء سواء فى الوطن أو بعيدًا عن الوطن ليضرب فى عالم

المجهول بعيدًا عن الناس. ثم تقول له مايا إن ما أزعجها أكثر من ذلك هو أنه لم يعد يجد لذة في عمله ولا ميلا إلى مواصلة فنه، وهو الذى كان من عادته الإقبال على هذا العمل من الشروق إلى الغروب. إنه منذ أن فرغ من تمثاله الأعظم الذى سماه «يوم البعث»، ذلك التمثال الذى حفر اسم روبك فى أبرز صفحة فى سجل الخالدين، وأذاع اسمه فى أرجاء الدنيا كلها، وهو لا يعمل شيئًا إلا تلك التماثيل النصفية البشعة التى يوصى بها أصحابها ويدفعون فيها ثقلها ذهبًا، وهى مع ذلك لا تظهرهم إلا حميرًا وثيرانًا وقردة. يقول عنها روبك إنها لقوم غوغاء. وما فائدة أن يظل الإنسان يعمل طول حياته للجماهير والغوغاء؟

«إن ما أعمله يامايا ليس تماثيل نصفية، إنها أشياء ذات معنيين. إن ثمة شيئًا كامنا مختبئًا فى هذه التماثيل وخلفها، سرًّا لا يستطيع غيرى أن يراه. إنى أضفى على ظاهرها المشابهة الكاملة، كما يقولون، المشابهة التامة التى يقف أصحاب هذه التماثيل أمامها وقد فغروا أفواهم من الدهشة، ولكن من تحت هذا الظاهر لا تجدین إلا وجوه خيل وحمير وجماجم كلاب مبتورة الآذان وخنازير سمينة بليدة ذات خراطيم قبيحة، إنها الحيوانات المستأنسة التى احتقرها الإنسان ثم إذا هى فى هذه التماثيل تطل إليه وتحقره.»

وتغير مايا مجرى الحديث، ثم تذكره بوعد كان وعدها به، هو أن يأخذها إلى قمة جبل عال رفيع الذرى، لكى يريها العالم من فوقه... العالم كله. فإذا روبك يضحك ويقول لها إنها لم تخلق لكى تكون متسلقة جبال. ثم إن هذا الوعد لم يكن إلا حيلة منه، كان يحتال بها على أقرانه من الأطفال ليغريهم بالخروج معه والضرب فى قمم الجبال ومجاهل الغابات. فإذا قالت له إنها كانت يوماً ما تصلح فى نظره لتسلق القمم، زفر زفرة طويلة يائسة، ثم قال لها: كان هذا منذ أربع سنوات أو خمس. يا لها من فترة طويلة... طويلة... يا مايا!

وتحزن مايا لما تشمه فى زفرة زوجها من هذه الحال، وتقول له إن مظهره يدل على أن فى نفسه حاجة يضرها ويحاول جهده أن يخفيها عنها. وقبل أن يجيب روبك يرى مفتش الحمامات قادمًا، وبعد سلام خاطف يسأله عما إذا كان من عادة أحد هنا أن يستحم فى البحر ليلاً؟ إنه يلاحظ شبحًا يتهدى إلى الشاطئ فى ظلام الليل أو غبشة القمر، يتبعه شبح آخر... فهل من المرضى هنا من يأخذ حمامًا ليلياً؟

ولا يمضى طويل حتى تبدو من بعيد سيدة نحيفة القد رشيقة القوام متشحة بثوب رقيق من الكشمير الخفيف، وفى أثرها تسيير راهبة بكامل بزتها الكهنوتية... ويشير روبك إلى السيدتين ليقول للمفتش إنهما هما اللتان رأهما غير مرة ذاهبتين إلى الشاطئ. فمن هما؟ ويجيبه المفتش إنها ضيفة وصلت إلى الحمامات منذ أسبوع،

وأنها فى الغالب إن لم تكن روسية فهى نرويجية، ونرويجية من أهل الشمال، لأن لهجتها لهجتهم.

ويخفق قلب روبك، وتلاحظ زوجته مايا ذلك فتسأله ساخرة:

لعها يا روبك كانت إحدى نماذجك فى أيام الشباب! فتش عنها فى ذاكرتك! إن الناس يقولون إن نماذجك كانت شيئاً كثيراً لا يقع تحت حصر.

ويجيبها روبك والذكريات تجرفه:

كلا أيتها الصغيرة مايا، إننى ما اتخذت فى حياتى الفنية كلها سوى أنموذج واحد، وأنموذج واحد فحسب لكل ما صنعته!

ويستأذن المفتش فى الانصراف لأنه يرى مخلوقاً من الناس لا يحب أن يلقاه. لكن هذا المخلوق يستوقفه من بعيد بلهجة عاتية، أو لهجة آمرة... إنه مستر أولفهايم Ulfheim صائد الدببة، الرياضى الهرقلى الخلفة، الذى لا يمر بهذه الجهة إلا مرة فى كل عام، وقد تبعه من قرب خادمه لارز ومعه كلبان كبيران وحشيَّان من كلاب الصيد.

ولا يكاد مستر أولفهايم يرى مستر روبك حتى يسبَّ آباءه إن لم يكن هذا الذى يراه هو الفنان المثلَّ العجوز مستر روبك، الكلب

الريفى الضال الذى لم يكن قد أصاب من الشهرة ما يتمتع به اليوم،
والذى كان يعرفه حينما لم يكن يأنف من أن يمسه أى كلب قدر،
أو صائد كهذا المخلوق البشع مستر أولفهايم.

ويثير منظر الرجل قدرًا كبيرًا من الفضول فى نفس مايا
فتدخل فى الحديث. ويقول لها مستر أولفهايم إنه صائد دبية، وصائد
أى شىء تجود به الفرصة إنه يصيد النسور ويصيد الأيائل
والوعول، ويصيد النساء أيضًا، لكنه يفضل صيد الدبية. «إننى أنا
وزوجك نعمل فى مواد صعبة، إن مستر روبك يعالج الرخام وكتل
الحجارة، أما أنا فأعالج الدبية ذات العضلات المشدودة المكتتزة،
وكل منا يكسب معركته فى النهاية وينتصر على المادة التى يعالجها
مهما قاومت».

وحينما تقول مايا إنها لم تتسلق الجبال قط يبادر أولفهايم
فيقترح أن تصحبه هى وزوجها فى رحلته إلى أعلى قمم النرويج،
حيث الثلوج والغابات. فإذا قال روبك إنه ينتوى القيام برحلة بحرية
يجوب فيها القنوات والفيوردات سخر منه صائد الدبية، واستتكر أن
يطوف فنان مثل روبك بهذه القنوات والبالوعات القذرة. «بل خير لك
أن تصعد معى إلى العلالى، بعيدًا عن حبال الناس وقاذوراتهم».

ولكن أولفهايم يسكت فجأة عندما يرى الراهبة خارجة من ظلة
في حديقة الفندق، لم لا يلبث أن يقول: «انظر، هل ترى غراب الليل
الذى هناك؟ ترى من ذا الذى سوف يدفونه الليلة!؟»

لقد خلب هذا الرجل المتوحش لبّ مايا، وهو لا يكاد يقترح
عليها الذهاب معها ليربها كلاب صيده حتى تتصرف معه، دون أن
تستأذن زوجها روبك، زوجها الذى لا يلبث أن يرى تلك السيدة
النحيلة، صاحبة الخيال الليلي الذى كان يتشح بثوبه الغريب وهو
ذاهب إلى البحر. يراها تقبل فتجلس إلى إحدى المناضد، فإذا عيناه
تعلقان بها، وإذا هى تثير من وراء السنين الطويلة ذكرى عزيزة
حزينة، يا للمفاجأة!... ماذا أتى بها إلى هنا لتوقظ فى روع الفنان كل
هذه الأحلام النائمة التى حسب أنها أصبحت فى عداد الموتى؟! إنها
أيرين، أيرين نفسها، أيرين نموذجة القديم الذى أوحى إليه بأية
آياته... وتمثاله الذى أكسبه المجد ودوام الذكر.

وتكون لحظات خاطفة ثم يعرف كل منهما صاحبه.

إن أيرين تعجب من أن الأستاذ لا يزال حياً يرزق، بل حى
يرزق ويجلس إلى تلك المرأة التى كانت معه هنا... تلك اللحظة. فإذا
قال لها إنها زوجته، قالت له: «إذن فهى إنسان لا علاقة لى به!
إنسان عشت معه بعدى!».

ثم تسأله أيرين عن ابنهما، طفلهما، طفل روبك وأيرين الذى أصاب الشهرة والمجد، تمثاله «يوم البعث» الذى تحدثت عنه الدنيا بأكملها والعالم بأجمعه؟، إنها طالما تمننت لو سحقت هذا الابن، ذاك التمثال... وجعلته جذاذا، قبل أن تترك آرنولد، تعنى الأستاذ روبك، فقد كان هذا هو اسم غرامها حينما كانت تهوى روبك بل تعبده. وحينما كان هو لا يعيش فيها إلا لفته، ولا يعبد فيها إلا تمثاله وعمله، ولا يعرف فيها إلا أنموذجه. ولذلك كرهت هذا الابن، ولاسيما بعد أن وقف يتلألأ فى أضواء المجد والشهرة، بينما هى واقفة فى ظلام يأسها من حبها الذى لا تجد له استجابة فى قلب حبيبها الغريق فى أمواج فنه. الفنان الذى كانت أيرين تتبرج له وتبدى له من مفاتن جسدها البض، ومحاسنها التى لا نهاية لها، فلا يبدو من ذلك شىء أبداً فى قلبه، إلا ما ينعكس على صفحة التمثال، وملء قسماته وسماته. ولذلك أيضاً كرهت الأستاذ كما كرهت تمثاله وفنه، بل كرهت مفاتنها ومحاسنها، وكرهت نفسها والدنيا التى من حولها، ثم هامت على وجهها لتفر من تلك اللعنة التى تسميها الحب، ويسمئها حبيبها الفن. وطافت ببلدان شتى، واشتركت بجسمها، لا بروحها، فى حفلات الاستعراضات الراقصة... العارية، فكانت أنهار الذهب تتسكب تحت قدميها... الشىء الذى لم تعرفه ولم يكن لها به عهد فى جوار روبك. وراحت جيوش من الرجال يجنون بها، يهبونها الحب الذى حرما منه الأستاذ. لكن قلبها كان مغلقا دونهم

دائماً، وإن تكن قد قبلت آخر الأمر الزواج من سياسى مشهور فى أحد بلاد أمريكا الجنوبية، كان رجلاً عظيماً، لكنها اتخذت منه ألعوبة تعذيبها وتسقيها المرار حتى انتحر. وكان طيباً جداً فى هذا الانتحار، لأنه لم يجشمها هى إطلاق الرصاص على جمجمته لتستريح من حبه المجنون الأبله. كما استراحت من زوجها الثانى، ذلك الروسى الأحمق الذى قتلته بخنجر كانت تحتفظ به دائماً بين طيات فراشها، وكما قتلت أبناءها العديدين الذين كانت تقضى عليهم واحداً بعد واحد بمجرد أن يولدوا.

ولا يصدق روبك كلمة واحدة مما تقوله أيرين، إنها تقول إنهم أتوا إليها بعد ذلك وقبضوا عليها، ثم ربطوا يديها خلف ظهرها، ودفنوها حية تحت قبر مسور بقضبان الحديد، حتى لا يسمع من فوق القبر صراخ من تحت القبر. ولكن، ها هى ذى الآن قد بدأت تستيقظ، تستيقظ بصورة ما من بين الموتى.

ويسألها روبك عما إذا كان هذا كله بسببه، فتقول: «نعم، بسببك، لقد خدمتك بكل طيبة ووفاء وإخلاص، لكنك كنت تتصامم، ولا تسمع صراخ الطبيعة فى أطواء جسمى الذى كنت أعرض مفاتنه تحت نظراتك التى لم تلتهب أبداً، أبداً، لأنك كنت مشغولاً عن هذا بفنك، بتمثالك، بيوم البعث ممثلاً فى صورة امرأة شابة تستيقظ من رقدة الموت!

ويقول لها روبك: «إنما هذا لأننى كنت أنظر إليك نظرة قُدسية. كنت عندى شيئاً علويًا مطهراً، يجب ألا يمس إلا فى صلاة وعبادة. كان يخيل لى يا أيرين أننى إذا لمستك أو اشتيتك دنت روحتى، فلا يمكننى إتمام العمل العظيم الذى كنت أتوق إلى إنجازهِ. ومازال فى هذا بعض الصدق، ولولا هذا لما تم هذا العمل الذى لك الفضل كل الفضل فى إتمامه. لقد أردت تجسيم المرأة الطاهرة كما كنت أتخيلها تستيقظ يوم البعث، لا يثير عجبها أى جديد أو مجهول أو غير مقدس. المرأة التى يملؤها الفرح السماوى حينما تجد نفسها لم تتغير، إنها هى نفسها المرأة الأرضية، ولكن فى عالم أرفع وأسعد وأكثر حرية. تقوم بعد نوم طويل خال من الأحلام، هكذا كنت أرى تلك المرأة فى صورتك يا أيرين!»

وتقول له أيرين: وبعد ذلك انتهيت منى! لم تعد لك حاجة فى! ثم بدأت تبحث عن نموذج ثان وثالث يا أرنولد! يا ترى، أى قصائد نظمتها من الرخام والمرمر بعد أن تركتك؟ ولكن، قل لى، ما شأن تلك المرأة التى تعيش معها؟

ويجيبها روبك: لا، لا تتحدثى الآن عنها، فإن ذلك يملؤنى عارًا، وخزيًا.

وتسأله: سمعتكما تتحدثان عن رحلة، فإلى أين؟

ويقول لها إنها رحلة بحرية حول الشاطىء. فتقول له: «بل عليك أن تصعد إلى القمم، إلى. إلى أنا يا أرنولد.

عند ذلك تدخل مايا لتقول له إنها لن تذهب معه فى تلك الرحلة البحرية، وإنها تود أن تتسلق القمم مع هذا الرجل، صائد الدببة الذى حكى لها كل محير ومدهش من مغامراته.

وترى أيرين فتسأله عنها، فيقول إنها صديقة قديمة. ثم يقول لها إنها تستطيع أن تصحب صائد الدببة إلى حيث تشاء وإلى أبعد ماتريد، لأنه ربما ذهب إلى نفس المكان. فتركه فرحة وتدخل الفندق، بينما تتقدم إليه أيرين لتقول له إنها طالما بحثت عنه، ومنذ تلك اللحظة التى تذكرت أنها أعطته شيئاً ثميناً لا يمكنها الاستغناء عنه. فيبتسم روبك ويقول لها: أجل، لقد أعطيتنى من شبابك ثلاث سنوات أو يزيد، بل كل جمالك العارى لأعبده وأنقرس فيه.

وتبتسم أيرين ابتسامة حزينة وتقول له: بل أعطيتك ما هو أثنى، أعطيتك أنفـس هداياى كلها، أعطيتك روحى الفتيّة الحية، وقد جعلنى هذا فارغة خاوية، جثة بلا روح، ولا دفء ولا أمل...!

وهنا تظهر الراهبة على باب الظلة، فتتصرف أيرين إلى الظلة، بينما يقف الفنان البائس يتمتم باسمها: أيرين، أيرين!

ويتغير المنظر، فتكون فى مصحة مونقة من مصحات الجبال، قريية من نهيرات ثلجية بعضها ذو خيرير، وأصوات أطفال تتردد بعيدا وتصل ثرثراتهم موسيقى عذبة، وقد جلس روبك مستغرقا فى تأملاته. وإذا مايا، زوجته التى بدأت تستيقظ هى أيضا، تُقبل من بعيد وهى فى لباس الصيد، صيد الدببة وتسلق الجبال طبعًا، لتقول لزوجها إنها كانت تبحث عنه، وإنها معتزمة أن تصحب هذا الرجل الوحشى - مستر أولفهايم - فى رحلة اليوم أيضا لصيد الدببة فى الوهاد المنخفضة، وأنها ربما قضت الليلة هناك، إذا سمح لها زوجها بذلك. ويقول لها إنه لم يعد يملك أن يسمح لها أو لا يسمح لها بشيء، وإن كل الذى يطلبه منها هو أن ترعى حدود الاحتشام قليلا وهى مستلقية هكذا فوق الحشائش، ترفع ساقًا وتخفض أخرى!

ويطلب إليها أن تجيء فتجلس بجانبه لكى يحدثها حديثًا لا ينبغى لأحد أن يسمعه، لكنها تفضل البقاء حيث هى.

ويسألها روبك عما إذا كانت تعلم السر فى قيامها بتلك الرحلة؟ وإلى هذا المكان بالذات؟ وتجيبه بأن الأمر أهون مما يظن، فلاشك فى أن هذه السيدة النحيلة هى التى اجتذبتة إلى هنا، السيدة التى كانت أنموذجه بلا شك فى يوم من الأيام، حينما كانت تقف أمامه عارية كيوم ولدتها أمها.

وينفى ذلك روبك، وإن اعترف أن هذه السيدة، مسز ساتو، أو أيرين، كانت أنموذجه يوماً ما حقاً. ثم يقول إن الذى جعله يقوم بتلك الرحلة هو ميله إلى شىء من التغيير، وهنا تقول له مايا: «لقد تعبت من دوام صحبتي، فمنذ أربع أو خمس سنوات مملّة مميتة ونحن نعيش وحيدين وبمفردنا دون أن نفترق ساعة. إنك يا روبك لست رجل مجتمعات، إنك تريد أن تظل وحيداً. لا تكشف نفسك لغير نفسك، ولا تعرض على أفكارك، وأنا لا أستطيع أن أبادلك الحديث عن فنك الذى لا أعرف ما هو، والذى لا يهمنى فى قليل أو كثير، والزمن يمر هكذا، ويفر منك يا روبك، وقد يكون هذا هو الذى جعلك غير مرتاح البال، وتشعر بالقلق. فلماذا، لماذا لا تكون صريحاً وتقول إنك تريد أن تتخلص منى؟ قل ذلك وأنا أرحل عنك فى الحال، وإلى الأبد، إن مواصلة حياة كهذه من المحال».

ويقول روبك: «أمن الضرورى أن يستدعى ذلك فراقنا؟ فراقاً أبدياً؟ إن ما أريده هو رفقة شخص يمكن أن يكملنى ويتمم الناقص فىّ، شخص أكون أنا وهو شيئاً واحداً فى عملى، وهذا شىء ليس فى طبيعتك يا مايا، لكنه فى مسز ساتو، التى هجرتنى وفرت منى بعد أن أنجزت تمثالى «يوم البعث» وبعد أن عشت فيها وعاشت فىّ، وعشنا معاً فى التمثال عاماً ونصف عام مستغرقين فى تفكير قدسى عميق. ثم ماذا صنعت بعد أن تزوجنا؟ تلك التماثيل النصفية التى

كنت أخفى تحتها وجوه حيوانات وأمساخاً بهيمية! لقد أحسست منذ ذلك الوقت أن كل ما يقال عن دعوى الفنان ورسالته وما إلى هذه الترهات ليس فى حقيقته إلا هراء وشيئاً فارغاً لا معنى له. لقد ضحيت بالحياة فى سبيل هذه الرسالة، نعم، أليست الحياة تحت أشعة الشمس وبين الجبال خيراً ألف مرة من أن يظل الإنسان طول حياته حتى الموت فى جحر مظلم كئيب، جحر رطب قذر، يصارع باستمرار كتل الرخام وركام الأحجار؟ إن الفنان لم يخلق ليبحث عن السعادة فى ظلال اللهو والكسل، إن الحياة فى رأيى ورأى أمثالى من الفنانين الآخرين ليست كذلك. إنها عمل مستمر، عمل بعد عمل حتى آخر لحظة فيها. إنك تقولين إننى تعبت منك، أجل، لقد تعبت كل التعب، وضجرت، وانحلت قواى من تلك الحياة التى أحيها معك. أقول ذلك وإن كنت لا ذنب لك أبداً فى هذا، إننى أجتاز محنة يا مايا، ولا بد لى من العودة إلى حياتى الحقيقية. إننى منذ أن رأيت تلك السيدة الشاحبة لم أستطع أن أكف عن التفكير فيها. إن ههنا (مشيراً إلى صدره) صندوقاً مقللاً يا مايا، لم يتضح منذ أن أغلقتة مسر ساتو وأخذت معها مفتاحه، ثم انطلقت لا أدرى إلى أين، وقد ظل الكنز دفيناً فى هذا الصندوق لا يمكن الانتفاع به، وجعلت السنون تمر، ولا سبيل إلى الوصول إلى الكنز».

وترى مايا ضررتها أيرين وقد جلست عند أحد الينابيع القريبة تداعب الماء هناك، فتتبه روبك إلى وجودها، لكنه يكون ناظرًا نحو أنموذجه الحبيب زائغ العينين شارد اللبّ، فتذهب هي إليها وتقول لها إن روبك، الأستاذ القديم، ينتظرها هناك، لتفتح له صندوقًا مغلقًا.

وتتصرف مايا، تتصرف إلى ما تحب وما تهوى، وتقبل أيرين على الأستاذ. ويتتاجيان من فورهما، لكنه لا يستطيع أن ينظر في عينيها، فإذا سألته قال لها إن ضميره يتقل عليه ويعذبه، فتطرب أيرين وتقولك: أخيرا، هكذا أخذ ضميرك يعنفك، ولكن، لا، دعنى أجلس جانبك، فقد عدت إليك إذن، عدت إليك من رحلة لا نهائية، عدت إلى وطنى، إلى سيدى ومولاى، إلى الرجل الفنان الذى أخذ - بلا مبالاة أو اهتمام - جسداً حار الدماء، حياة إنسانية شابة، وانتزع منها الروح، لأنه كان فى حاجة إلى وضعها فى عمله الفنى، عمله الذى لم أحبيه قط، لأنه كان يحول بينى وبين قلبك. لقد كنت أكره الفنان الذى فى داخلك، لأنه هو الذى كان يحرمنى منك ويعذبنى، وإن كنت قد أحببت تمثالك، لأنه كان ابننا سوياً، كان هو الذى يربطنا، طفلى وطفلك «يوم البعث» كما سميتّه، قل لى: ماذا أضفت على التمثال بعد فراقنا؟».

ويحدثها عما أحدثه فى التمثال وما أضاف إليه من القاعدة، ومن مجموعة أخرى من الناس، رجال ونساء لهم وجوه كوجوه

الحيوانات كما عرفهم فى الحياة على حقيقتهم. وكيف أنه جعل أيرين فى الخلف، وجعل نفسه فى الأمام إلى جانب ينبوع فى صورة رجل منقل بالذنوب، ولا يعرف تمامًا كيف يتحرر من هذه الأرض، وقد سماه الندم».

وتربّت أيرين على شعره فى حنان وغفران وتسميه شاعرًا، شاعرًا مسكينًا. فإذا سألتها عن ذلك قالت له لأن فى اسم الشاعر شيئًا من العذر الذى يوحى بغفران الخطايا والتغاضى عن الخطايا.

ويتأحيان، ويروى لها روبك كيف أنه هدم كوخهما الجميل، كوخ الذكريات، وأنه بنى مكانه دارًا خلوية مشرفة على بحيرة تونتز، وأنه يعيش فى هذه الدار مع تلك المرأة الأخرى، المرأة الأخرى؟ فما أبعد ما جاءت التوبة متأخرة، متأخرة كثيرًا.

ويقول لها: «فهلّ تحبين أن تأتى لتعيشى معنا فى تلك الدار، كما كنا نعيش فى أيام الخلق؟ إنك وحدك تستطيعين إخراج ما هو مغلق فىّ. أليس كذلك يا أيرين؟! أرجوك، أتوسل إليك، ساعدينى على أن أحيا حياتى مرة أخرى، ساعدينى!».

ثم يكفّان عن النجوى حين يريان مايا فى لباس الصيد، ومعها هذا الوحش أولفهايم، ومن ورائهما حارس الصيد لارز ومعهم كلابه الضارية... وحين تنظر مايا إلى زوجها ساخرة متشفية تقول له:

«إني ذاهبة لكى أحيا حياتي... كما يحيا الآخرون». وهنا يقول لها روبك: «إذن ستفعلين أنت ذلك أيضاً يا صغيرتي مايا؟». وتجيبه: «أجل، وإني لأعتقد أنني استيقظت الآن. وأخيراً، فقر عينا ياروبك، وأتمنى لكما ليلة صيف سعيدة، فوق القمم!». ويقول لها روبك: «شكراً، وكل الحظ السيئ الذى فى الدنيا كلها لك، ولصديقك». ثم ينظر إلى أيرين ليقول: «ليلة صيف فوق القمم، هذه هى الحياة، ألا نقضى تلك الليلة معا فوق المرتفعات يا أيرين؟».

ولكنها تنظر إليه مذعورة، قائلة إن وجه الراهبة يحملق فيها من بين الشجيرات «ابق هنا، وسألتاك بعد قليل لتقضى ليلة صيف سعيدة فوق المرتفعات. يا للسموات! إننا لا نرى الأشياء التى لا يمكن أن تعوض إلا حينما نبعث نحن الموتى! يخيل إلى أننا لم نعش قبل اليوم قط!».

ثم تنطلق، وترسل غناءها الجميل بين الآكام، ومن ورائها الراهبة تتبعتها كظلمها.

* * *

ونحن الآن فوق ناصية هاوية مخيفة فوق جبل أشم، والشمس لما تشرق بعد. وقد وقف أولفهايم يناوش صيده الثمين، يناوش مايا التى سئمت محاولاته السمجة طوال الليل، وراحت تهدده بأنها ستلقى

بنفسها إلى الهاوية إن لم يدعها وشأنها لتعود إلى الفندق قبل أن يستيقظ أهله، ولكن أولفهايم يتحداها أن تفعل، فتجبن... ثم تسأله عما دفعه إلى إبعاد الحارس لارز هو وكلابه؟ أليس ليخلو الجو للشيطان كي يفعل ما يريد؟ ويبتسم أولفهايم ويعترف بأن هذه هي وسائله دائماً كلما شاء أن يقع على صيد ثمين. وتحاول أن تنزل إلى الجرف الذى فى أول الطريق إلى الفندق، لكنها ترى الموت بعينيها إذا فعلت، فيطلب إليها أن تدعه يساعدها، يحملها فوق ظهره مثلاً، أو يجعلها ملء ذراعيه. فتطلب إليه أن يكف عن هذا الهذيان، وعند ذلك يقص عليها قصة تلك الفتاة التى انتشلها من الأوحال ورفعها حتى جعلها فوق قلبه، وكان يحسب أنها ستظل فوقه طول العمر. ولكن، ماذا كانت جائزته؟ لا شىء إلا تلك القرون البارزة فى رأسه.

وتسأله مايا عن تلك القلعة التى كان حدثها عنها، والتى قال إنه يملكها هنا، والتى فتك فيها رجل وحش مخيف بابنة الملك يوماً فيشير إلى كوخ حقير أقدر من حظيرة الخنازير، ويقول لها: «إنها هذا الكوخ، فهل تنتفضلين بالدخول؟ إن من الممكن أن يكون هذا الكوخ، أو تلك القلعة، جنة لاثنين ينعمان فيها ليلة صيف مباركة، أو صيفاً بأكمله أن أرادا!..».

ولا ترى مايا بدأً من محاولة هذا الوحش ومهادنته، فتطلب منه أن يسير بها إلى أسفل الجبل، وتدعه يحملها بين ذراعيه الجبارتين،

ثم لا يكادان يتقدمان حتى تنتظر مايا فتري زوجها وصاحبه يعترضان الطريق من قريب، فترتد مذعورة، وتسأل الوحش عما إذا كان من الميسور أن يمرا دون أن يراهما روبك؟ لكن الوحش يقول لها إن من المحال أن يحدث هذا، فالطريق ضيقة لا تكاد تتسع لاثنتين، فكيف بأربعة؟

ويراها روبك فيهنف بها: «مرحبًا مايا، ها نحن قد التقينا مرة أخرى. هل كنتما فوق الجبل طوال الليل، كما كنا؟».

وتقول له مايا: «أجل، لقد أذنت لى أنت بذلك، كنا نصطاد!».

ويفتخر روبك بأنه قد تسلق الجبل دون مرشد، فيقول له أولفهايم: «لكنك بلغت مرتقى صعبًا لا يمكنك التقدم عليه أو الهبوط منه، وها هي ذى العاصفة توشك أن تهب، وهي أشبه بأكفان الموتى. ولا أستطيع أن أساعد على الهبوط أكثر من شخص واحد، فاحتم بذلك الكوخ حتى أرسل إليكما من يهبط بكما، وسيأخذونكما بالقوة إن أبيتما. هيا يا مايا، ضعي تقّتك فى، وأسلمينى زمام أمرك».

وتتظر أيرين حولها فى جزع وتقول لروبك: «أرأيت ياروبك؟ سيأتون ليعودوا بنا بالقوة، رغما عنا. وستكون معهم تلك الراهبة الملعونة ومعها بذلة المجانين، لقد رأيتها معها بعينى هاتين، وستلبسنى إياها. ولكن، لا عليك، فأنا أعرف كيف أحمى نفسى».

ثم تسئل خنجرًا صغيرًا من ثيابها.

ويطلب إليها أن تعطيه الخنجر ولكنها ترفض، وتقول له إنها كانت قد أعدته لتقتله به، ولاسيما عندما أخبرها وهما جالسان على شاطئ بحيرة تونتز أنها لم تكن فى حياته إلا قصة، ثم لم يمنعها من قتله إلا أنها أدركت أنه ميت، ميت مثلها تمامًا، ميت لأنه رجل لا يعرف الحب، على الرغم من التمثال الحى الذى كان يقف أمامه عاريًا ممتلئًا بالجمال والمفاتن».

ويقسم لها روبك أن قلبه عامر بحبها الذى لم يميت قط، فتقول له: «إن الحب المتصل بالحياة الأرضية، الحياة الأرضية الجميلة العجيبة، الغامضة، هذا الحب قد مات فى قلبينا».

ويسألها: «ولكن، أتعرفين أن هذا الحب بالذات لا يزال يحترق ويغلى فى أعشار قلبى كما لم يكن يغلى من قبل؟».

فتقول له: «وأنا؟ أنسيت من أكون أنا؟ المرأة التى وقفت لمئات الفنانين عارية بعدك!».

فيقول لها: «كونى من تكونين، فأنا الذى دفعتك إلى هذا حينما كنت أعمى، أنا الذى رفعت تمثال الطين الميت فوق سعادة الحب، والحياة، وكل ما يحدث بعد ذلك لم ينقص من قدرك فى نظرى متقال ذرة، ومازالت أمامنا فسحة من العمر لنحيا حياتنا يا أيرين».

أما أيرين فنقول له: «لقد ماتت فيَّ الرغبة في الحياة، يا
آرنولد، لقد بعثت وبحثت عنك حتى وجدتك، ولكنني حينما وجدتك
رأيت أنك والحياة... ميطان كلاكما! إن المرأة الشابة في تمثالك يوم
البعث تستطيع أن ترى الحياة كلها ترقد على قاعدتها».

ويتوسل إليها روبك أن تسمح لهما بالتمتع بالحياة لحظات
«قبل أن ننزل إلى قبورنا مرة أخرى... ولكن ليس هنا في هذا الجو
الغائم القاتم، حيث يخفق حولنا هذا الكفن المبتل الكئيب».

ولكن أيرين تأبى، تأبى إلا الصعود إلى القمة، حيث النور
وحيث مجد الأمجاد كلها، إلى أعلى، إلى قمة الموعد. ثم يتعانقان
لأول مرة في حياتهما! ثم إذا هما في دنيا غير هذه الدنيا، الدنيا
الحقيقية، ويسير الزوجان السعيدين إلى القمة. إلى السحاب والضباب،
إلى الثلوج، إلى شفا الهوة، وما الموت في هذا الموقف!!

وهناك، تكون الراهبة المفزوعة المفغورة الفم واقفة، لترى
شبحين سعيدين يسقطان. وتنادى الراهبة سيدتها أيرين، ثم ترسم
علامة الصليب قائلة: «السلام لكما وعليكما!».

* * *

وبعد، فهذه خلاصة مبتسرة - على طولها - لتلك المسرحية
الرمزية العجيبة التي كان إبسن ينتوى أن يسميها: «نشيد الختام»

أو كما يقول مترجمه الإنجليزي العظيم وليام آرشر: «عندما نستيقظ نحن الموتى» The Dramatic Epilogue فعاد فسامها «عندما نستيقظ نحن الموتى» أو «عندما نبعث نحن الموتى» كما أثر الأستاذ المترجم أن يسميها، والتي كان يود أن يكتبها شعراً فكتبها نثراً، وإن لم تخل من الصبغة الشعرية التي لا ينقصها إلا النظم. إنها مسرحية حيرت النقاد والذين يعجبون بإيسن، ولا تزال تحيرهم في أمر الكاتب المسرحي العظيم، والذي هو بالإجماع أبو المسرح الحديث! ماذا أراد بها؟ إنها من غير شك تخالف في مظهرها كل هذه السلسلة التي أخرجها في ثلاثين عاماً تقريباً.

هل استيقظ إيسن آخر الأمر، وبعد أن تجاوز السبعين، فتنبه إلى أنه كان يدعو إلى باطل حينما دعا الناس إلى المثل العليا في مسرحياته، وإلى تضحية رغائب نفوسهم في سبيل هذه المثل؟ أكان هذا باطلاً وعبثاً؟ وإلى أن الحياة، الحياة الحقة في نظره، وبعد أن بلغ السبعين، هي إثارة اللذة وإشباع عواطف النفس وانفعالاتها، ومطالب الحب والقلب، على مطالب الفن، ومطالب الكمال في كل عمل يقوم به الإنسان؟ وهل هذا حقاً هو ما تنبه إليه روبك الفنان العجوز، وما تنبه إليه إيسن الفنان العجوز أيضاً، ولكن بعد أن ضاعت الفرصة، وشاخ العمر، وطوّح روض الحياة، ووقف الموت يدق بيديه الجبارتين المخوفتين باب المثل وباب الكاتب؟

إن وليم آرشر، مترجم إيسن إلى الإنجليزية، يفضل أن نعترف بأن الكاتب ألف نشيد ختامه هذا بعد أن غلبته الشيوخوخة، وتسرب إليه وإلى نفسه المرض، ومن ثمة هذا الزمام الذى أفلت منه حينما راح يتكلم بلسان روبك، مبدئياً أسفه العميق على الحياة التى ولّت، والمعين الذى نصب، والألاء الذى خبا، دون أن ينعم روبك، ودون أن ينعم إيسن، ودون أن تتعم أيرين بالحب الذى أتاحت لهم فرصته، فسمح لها الفنان الواهم بأن تفلت، وبأن تظل مفلّنة هكذا حتى يولى العمر، ويشيخ الشباب، ويصبح الإنسان فى كل منهما، أو كل منهم، غير قادر على شىء!

ما هذا! إنَّ هذا هو الذى كان يقوله خصوم إيسن ونقاده فى إيسن، والذى لم ينفكوا يقولونه منذ أن كتبت «ملهاة الحب» ومنذ أن ظهرت «براند» و «بيرجنت» وما تلتها ذلك كله حتى «السيدة من البحر» و«شيخ البنائين».

إننا نعرف أن إيسن كان بزواجه، وأن زوجته كانت تملأ عليه الدنيا كلها نشاطاً وحيوية، وأنها كانت تلازمه كظله، وتذهب معه إلى آخر الدنيا، وتوفر له الهدوء والسكينة اللذين لا يستغنى عنهما كاتب أو شاعر أو فنان، وأنها كانت أبعد النساء من أن تكون شبيهة بمايا زوجة مستر روبك فى هذه المسرحية. مايا تلك المرأة الشابة الفارغة الرأس - على الرغم من جمالها وحسنها - التى لم تكن تدرى فيم

تنفق وقتها، ولهذا لم تقو على ملء حياة الفنان كما كانت تملؤها
أنموذجه أيرين من قبل. ومن ثمة لم يستطع أن ينتج إلا تلك التماثيل
النصفية التي تخفى تحت سطحها أرواح الحيوانات والبهائم، بينما
أوحت إليه أيرين بتمثاله وآية آياته: «يوم البعث».

إننا لا نحب أن نجارى وليم آرشر فى هذا التمشاوم والنظرة
السوداء إلى نشيد ختام إيسن، ونحن لا نراه قد خالف نفسه أو ناقضها
منذ أن كتب ملهاة الحب أو براند أو ما تلى هاتين المسرحيتين من
رمزيات أو مسرحيات واقعية فيها قدر من الرمز قل أو كثر. إننا
نؤثر أن نقول إن إيسن كان يفضل للفنان روبك ألا يفزع من تقاليد
عصره، تلك التقاليد التي كانت تنهيه ظالمة ألا يتزوج من أنموذجه،
لأن الأنموذج الذي يتجرد عارياً للفنان على النحو الذي كانت تقوم
به أيرين جدير بأن يفقد احترام المجتمع. لقد ظلم روبك نفسه
بتحريمه على نفسه تلك الفاكهة الحلال حين لم يتزوجها، ولا عبرة
مطلقاً لما ادّعاها لأيرين وهى تجادله فى هذا التحنث الذى كان بيديه
نحوها، والذى يتملح له الأعداء، فيقول لها إنه كان ينظر إليها
نظرات مقدسة طهرية، وكان يأنف أن يدنسها بهذا الشيء الذى
يسمونه الحب، حتى يأتى تمثاله قدسياً مطهراً مثلها. هذا إسراف فى
الخيال والوهم العذرى، إذا صح أن نسمى هذا وهمًا عذريًا.
والأفضل أن نعلل هذا الانصراف عن أيرين بما سقناه من خوف

روبك من التقاليد، فحرم نفسه تحت وطأة الخوف منها، من شريكة حياته الأصيلة، والمرأة التي ذاب حسنهما في تمثاله، ثم راح ليتزوج مايا زواجًا تقليديًا لا يزعجه القيل والقال، ناسيا أن قلبه مع أيرين، فكانت الكارثة. ولم يزل قلب روبك ينبض بحب أيرين، ولم يزل يحن إليها، ولم يزل في هذا الفراغ الكئيب والوحشة المهلكة التي كان يشعر بها، كلما رافق مايا أو سافر معها أو عاشرها تلك المعاشرة الجسدية الباردة. ولم تغب هذه الوحشة عن مايا، مايا الحلوة الشابة التي لها كل حقوق الزوجة والإنسانة، والتي لم تضع فرصتها حينما أتحت لها، وحينما اعترف لها روبك بكل ما يشعر به من هذا الفراغ المهلك والوحشة الوبيطة، فقررت في الحال ألا تكون له، بعد أن أضاعت من عمرها معه تلك السنوات الأربع أو الخمس، فلم تكذ تلقى الوحش أولفهايم حتى رأت فيه فرصة النجاة ومحقق رغائب النفس البشرية. وهكذا ذهبت معه، ثم هبطت معه هذا الهبوط الرمزي الظريف، بينما صعد روبك بعد فوات الأوان مع أيرين، أيرين التي شاخت كما شاخ روبك، إلى أعلى القمم، بعد أن تتبه إلى غلظته الكبرى التي جنى بها على نفسه وعلى منية القلب وحبوبة الروح، ولكنه صعد بها إلى شفا الهاوية، ومهب العاصفة، ليسقطا من عل، وليلفهما الموت في أكفان من ثلوج.

هذا هو التأويل الذى نفضّلُه، والذى لا يتعارض وماضى
إيسن، ولا يمس حياة الطهر والإعزاز التى كانت تربطه بزوجته.
ولعل ماقرره فى «ملهاة الحب» من أن الحب، الحب الشاب الملتهب،
ينافى روح الزواج الذى لا يرمى إلا إلى بناء الأسرة، وهو ما كان
يرمى إليه من تلك الملهاة اللطيفة. ومما يؤيد ما ذهبنا إليه ما يلاحظ
من وجود أوجه شبه كثيرة فى تضاعيف هذه المسرحية وبين معظم
مسرحيات إيسن السابقة عليها. ولعل خاتمة براند تذكرنا بخاتمتها،
والخلاف بين غاية كل من المسرحيتين حادث من أن إيسن لم يكن
يكرر نفسه، وناشئ أيضاً من أنه، وإن يكن مهدوداً من الكتاب
الواقعيين، بل إنه هو الذى شق للمسرح الحديث طريق الواقعية، كان
يصبغ شخصياته بتلك الصبغة الرمزية التى تجعلها، أو تكاد تجعلها،
شخصيات غير واقعية، أعنى شخصيات لا نكاد نجد لها نظيراً فى
واقع الحياة. ولعل هذا هو مفتاح مسرح إيسن كله، كاتب واقعى كما
يخيل للقارئ أو المتفرج، أما الدارس فلشد ما يجد البون شاسعا بين
شخصيات إيسن وبين الشخصيات الواقعية، وهذه هى رمزية إيسن.
ولقد ضحى روبك بحبه فى سبيل التقاليد وفى سبيل غرض مآدى،
هو تمثاله، كما ضحى براند بزوجته وابنه، وهما هنا حبه، فى سبيل
مبدئه، وكما ضحى بيرجنت بسولفيج فى سبيل مغامراته المادية،
وكما ضحى برنك فى أعمدة المجتمع، وكما ضحى جون جبريل

بوركمان فى المسرحية الموسومة باسمه، والتي كتبها إيسن قبل مسرحيتنا هذه بعامين، والذي لا يكاد ينتبه إلى غلطته حتى يموت، وكما ضحى هالمربنورا فى سبيل ما كان يسميه كرامته فى «بيت دمية». ونعود إلى «براند» لنلاحظ أن الكلمات الختامية التى قالها براند قبل أن يلقى الموت تكاد تكون هى نفسها التى قالها روبك قبل أن تقذف به العاصفة هو وأيرين فى غيابة الهاوية.

وبهذا يكون إيسن هو هو لم يتغير، ولم يغلبه المرض كما ظن مترجمه أستاذنا آرشر، وإن لم يكرر نفسه أبداً، صبغة الفنان الأصيل المقتدر.

* * *

والذين يفصلون بين الحركة الرمزية التى تزعمها الشاعر الفرنسى ستيفان ملاميه (١٨٤٢ - ٩٨)، والتي اشتدت ريجها فى أواخر القرن التاسع عشر، وعلى وجه التحديد بين عامى ١٨٧٠ و١٨٨٦، والتي شدت أزرها تلك الجماعة التى عرفت بأنصار الفن من أجل الفن، ذلك المذهب أو تلك الفكرة التى نادى بها وتحمست لها جماعة الرجوع بالفنون والآداب إلى ما قبل رفايل، أو كما كانوا يسمون أنفسهم The Pre-Raphaelite Brotherhood (مما تجد تفصيله فى مقدمة لإحدى مسرحيات أوسكار ويلد من تلك المجموعة)، نقول

إن الذين يفصلون بين تلك الحركة الرمزية وبين إيسن يغالون غلوًا شديدًا. فالمعروف أن الكتاب المسرحيين بخاصة، والذين ينتمون إلى هذه الحركة المذكورة، هم جميعًا تلاميذ إيسن قبل أن يكونوا تلاميذ أحد سواه. وإن كان إيسن قد تأثر هو الآخر بمعاصره الموسيقار الألماني العظيم رتشارد فاغنر (١٨١٣ - ١٨٨٣)، ذلك العبقري الذي كانوا يطلقون على فنه تلك الكلمة المركبة الألمانية Gesamtkunstwerke، أو العمل الذي يجمع كل الفنون في عمل واحد. ونحن نذكر أن والدة إيسن كانت ألمانية الأرومة، وأنها كانت موسيقارة، فضلاً عن غرامها بكل الفنون المتصلة بالموسيقى، وأنها لذلك غرست تلك الحاسة السادسة في ابنها العظيم، الذي نلاحظ الكثير من الجرس الموسيقي في جميع مسرحياته، والذي كان كثير التردد على ألمانيا، يغشى مسارحها وأوبراتها، وينهل النмир العذب من موسيقاها. ويكاد يُفتن افتتاناً بفاجنر الذي أخذ عن مسرحياته الموسيقية عنايته الفائقة برسم شخصياتها، ثم استمرار الفعل فيها، ثم المحافظة فيها على الدافع الأصلي، أو ما نسميه اليوم الفكرة الأساسية أو Leitmotive، كما كان يسميه فاجنر. وهذه هي الخصائص الأساسية في المسرحية الجيدة، التي ارتشف إيسن الشيء الكثير من فنها عن أستاذه الأول سكريب، مما ذكرناه في مقدمة «أعمدة المجتمع» هذا، عدا عناية فاجنر بألوان الألفة الصوتية والألحان

المتسقة الساحرة، وتحاشيه ما أمكن تلك الفقرات العالية الصارخة التي تبدو «نشاراً» وسط إيقاع المسرحية العام، وهذا هو ما تتسم به رمزيات إبسن، وإن لم تكن مسرحيات موسيقية.

وثمة فارق كبير بين رمزيات إبسن ورمزيات الكثرة الكثيرة من تلاميذه أو الذين تأثروا به من الكتاب الرمزيين؛ ذلك هو أن إبسن خالف هؤلاء جميعاً في أنه جعل فنه وكل رمزياته - ولا نستثنى منها «عندما نستيقظ نحن الموتى» - في خدمة الحياة والمجتمع. الأمر الذي كان ينفرد منه أنصار الفن للفن، وجماعة الرجوع بالفنون والآداب إلى ما قبل رفايل، فوراً شديداً، وهل قامت الحركة الرمزية في رأيهم إلا لونا من ألوان رد الفعل ومقاومة المذهب الواقعي الذي كان يتزعمه إبسن، كما كان يتزعم الرمزية في المسرح في الوقت نفسه!؟

لقد كانت حجة أنصار الفن للفن - ولاسيما في المسرح - أن المسرحية الواقعية التي تتناول مشكلة أو قضية من قضايا المجتمع ومشكلاته لا تلبث أن تصبح مسرحية غير ذات موضوع، أي قديمة، بمجرد أن يقضى المجتمع على تلك المشكلة ويحلها الحل الذي كتبت من أجله المسرحية، ومن ثمة راحوا يبحثون عما يجعل مسرحياتهم فناً خالصاً لا يتعرض لهذا التقادم، فناً أبدياً يصلح للعرض في كل زمان ومكان. ومن هنا نشأت نظريتهم في الفن من أجل الفن، وهم

يؤيدون رأيهم ببعض مسرحيات إيسن نفسه، وبجميع مسرحيات كتاب المذهب الطبيعي. وقد نسي هؤلاء أن إيسن كان فى كثير من مسرحياته بعيد النظر مثل شيكسبير، وذلك حينما وجّه الكثير من اهتماماته إلى النفس البشرية ذاتها، فكشف طواياها، وجلا لنا خباياها، ثم كان التجاؤه إلى المذهب الرمزي، مما يكسب الكثير من تلك المسرحيات جمالاً يضمن لها الخلود، ويبعد عنها آفة النقادم والبلى. لكن هؤلاء الرمزيين الذين يأخذون بفكرة الفن للفن يرفضون هذا أيضاً، إنهم يرفضون أن يكون الفن فى خدمة أى شىء إلا خدمة الفن نفسه. وقد غلا نفر منهم فجعلوا الفن والأدب قاصراً على كل ما يجلب اللذة ويحقق الرغائب الخسية، وهؤلاء هم المنحطون أو Decadents منهم. وقد لغا بعض النقاد ممن لم يفهموا مسرحية «حينما نستيقظ نحن الموتى» ومسرحية «ملهاة الحب»، فجعلوا إيسن منهم فى هاتين المسرحيتين. وكان هؤلاء - أو أكثرهم - يلجأون إلى الغموض والإلغاز وما يشبه التعمية والهوسات التى لا يكاد قارئهم يفهم منها شيئاً.

ثم ظهر قسم آخر من الكتاب الرمزيين، الكتاب المتسامين الذين يعطونك فناً رفيعاً نظيفاً، ولكن لا شأن له بقضايا المجتمع ومشكلاته. وكان سيد هؤلاء الكتاب غير مدافع الكاتب البلجيكي موريس ميترلنك (١٨٦٢ - ١٩٤٩) الذى لا شك فى تأثره بإيسن،

وإن كان تأثره بفاجنر أقوى وأوضح. ومن هؤلاء أيضا أنطون تشيخوف (١٨٦٠ - ١٩٤٠)، ثم ليوند أندرييف L. Andreyev (١٨٧٠ - ١٩١٩) الكاتب المسرحى والقصاص الروسى الملغز، ثم مواطنه نيقولا آفرينوف صاحب مسرح الروح ومبتكر مسرحية Monodrama أو المسرحية التى يقوم بتمثيلها ممثل واحد.

ثم كان قسم ثالث بالطبع يضم أولئك الكُتَّاب الذين تلمذوا تلمذة كاملة على إبسن، أولئك الذين كانوا يكثرُونَ من الرمز لكنهم يهدفون إلى غايات اجتماعية ونفسية للارتقاء بالقطيع البشرى. ومن هؤلاء برنارد شو، وإن كان يُصرُّ على غير ذلك فى كثير جدا من مسرحياته، ثم أوجين أونيل، وكثيرون من كُتَّاب وسط أوروبا وسكانديناوة.

ألا ما أعظم الدَّيْن الذى يدين به المسرح الحديث وكتابه الرمزيون، بل كتاب من جميع المذاهب المسرحية، لإبسن العظيم الخالد، الذى لا يكاد ينتهى عنه الحديث مهما طال، ومهما تشعب، وهل إبسن إلا حديث طويل متشعب؟ ولا يمكن أن ينتهى أبداً! وهل يمكن أن ننتهى منه إذا مضينا فى المقارنة بينه وبين تلاميذه هؤلاء؟

درينى خشبة

شخصيات المسرحية

- * الأستاذ أرنولد روبك Arnold Rubek : مثال.
- * السيدة مايا روبك Maia Rubek : زوجة مفتش الحمامات.
- * أولفهايم Ulfhaim : أحد ملاك الأراضي.
- * سيدة غريبة A Stranger Lady .
- * راهبة A Sister of Mercy .
- * خدم - زوار للحمامات - أطفال .

تقع حوادث الفصل الأول فى بناء
للحمامات قرب الشاطئ.

وتقع حوادث الفصلين الثانى والثالث
بالقرب من مصحة عالية وسط الجبال.

الفصل الأول

المنظر:

ساحة خارج فندق الحمامات وقد بدا جزء منه إلى اليمين، والمكان فسيح، أشبه بمنزله فيه نبع، ومجموعة من الأشجار العتيقة، ودغل من الشجيرات، وإلى اليسار ظلة صغيرة، تكاد تغطيها أشجار اللبلاب وغيرها من الأشجار المتسلقة الفرجينية. أمام الظلة منضدة وكرسى، ويبدو وراء الساحة منظر للفيورد (أى الخليج المستطيل) والبحر بما فيه من جزائر صغيرة ورءوس بحرية تبدو من بعيد.

الوقت: صباح يوم مشمس من أيام الصيف، هادئ ودافئ.

فى الساحة الخارجية أمام الفندق يجلس الأستاذ روبك والسيدة مايا روبك على كرسيين مريحين من القش، وإلى جانبهما منضدة عليها مفرش، وقد انتهى منذ لحظة من تناول طعام الإفطار، على المنضدة زجاجات شمانيا ومياه معدنية، ومع كل منهما صحيفة.

الأستاذ روبك كهل، له وجه متميز، يلبس سترة من القטיפه السوداء وملابس صيفيه خفيفه. والسيدة مايا شابه صغيره ذات وجه مرح وعيون جميله ساحرة، ولكنها شبه متعبه، وهى تلبس ثياب سفر أنيقه.

مايا : (تجلس مدة صامته وكأنها تنتظر من الأستاذ أن يتكلم، ثم تترك صحيفتها تسقط من يدها وهى تنهد فى عمق) يا للعجب، يا للعجب!

الأستاذ روبك : (ينظر من فوق صحيفته) ماذا يا مايا، ماذا جرى؟

مايا : ما عليك إلا أن تتصت لتسمع كيف يكون السكون هنا.

الأستاذ روبك : (بيتسم فى تدليل) أو يمكنك سماعه؟

مايا : سماع ماذا؟

الأستاذ روبك : السكون؟

مايا : نعم، أستطيع ولا ريب.

الأستاذ روبك : شئ لطيف، لعلك على حق يا طفلى، فمن

الممكن حقاً أن يسمع الإنسان السكون.

مايا : يعلم الله أنك تستطيع.. حينما يكون السكن شاملاً عميقاً كما هو هنا.

الأستاذ روبك : أتقصد هنا فى الحمامات؟

مايا : يخيل إلیّ أن السكن يخيم على كل مكان نذهب إليه هنا فى أرض الوطن. لا شك أن فى المدينة جلبة وضجيجا، ولكنى لا أدرى كيف أنه حتى الجلبة والضجيج فيهما شىء من الموت.

الأستاذ روبك : (بنظرة فاحصة) إنك لا يبدو عليك السرور لعودتك إلى الوطن يا مايا؟

مايا : (تنظر إليه) وأنت، هل أنت مسرور؟

الأستاذ روبك : (فى مواربة) أنا؟!؟

مايا : نعم أنت، أنت الذى سافرت إلى أبعد، أبعد كثيراً مما سافرت أنا، أسعيد أنت سعادة شاملة بعودتك الآن إلى الوطن؟

الأستاذ روبك : كلا، وإن أردت الصراحة التامة فربما لم تبلغ سعادتي أقصاها.

مايا : (فى نشاط وحيوية) أرايت الآن! ألم أدرك أنا ذلك؟!؟

الأستاذ روبك : ربما طال بى البعاد عن الوطن زمنًا مديدًا.
وانسلخت تمامًا عن كل هذه الـ... هذه الحياة فى
أرض الوطن.

مايا : (بلهفة وهى تقرب كرسيها منه) أترى الآن
يا روبك؟! خير لنا أن نرحل ثانية وفى أقرب
وقت!

الأستاذ روبك : (بقليل من الضيق) لا بأس، لا بأس، وهذا
ما قررناه يا عزيزتى مايا، وأنت تعرفين ذلك.

مايا : ولكن لم لا يكون ذلك الآن، وفى الحال؟ تصور
الراحة والنعيم اللذين كنا ننعيم بهما هناك فى دارنا
الجديدة الجميلة.

الأستاذ روبك : (بيتسم فى تدليل) إن من حقنا أن نقول منزلنا
الجديد الجميل.

مايا : (بعد قليل) أفضل أن أسميها دارًا؛ فدعنا نسماها
كذلك.

الأستاذ روبك : (يثبت أنظاره عليها) إنك لمخلوقة صغيرة غريبة
حقًا.

مايا : أنا على قدر كبير من الغرابة؟

الأستاذ روبك : نعم، أظن ذلك.

مايا : أرجوك أن تخبرنى عن السبب، الأنى ربما لا يشغفنى التجول كثيرا فى هذه المرتفعات دون هدف؟

الأستاذ روبك : من منا الذى أصر كل الإصرار على أن نمضى هذا الصيف فى الشمال؟

مايا : أقر أننى أنا التى أصررت.

الأستاذ روبك : على أى حال، ليست الفكرة فكرتى بدون شك.

مايا : ولكن يا لله! كيف كان يمكن أن يجول بفكر إنسان أن الوطن سيتغير كل هذا التغير؟ وفى خلال هذا الوقت القصير؟ العجيب أنه لم تمر إلا سنوات أربع منذ رحيلى.

الأستاذ روبك : منذ أن تزوجت، نعم.

مايا : تزوجت؟ وما دخل ذلك فى الأمر؟

الأستاذ روبك : (مستمرًا)... منذ أن أصبحت عروس الأستاذ ووجدت نفسك سيدة المنزل الجميل، عفوا، يجب أن أقول الدار الجميلة، وأيضا سيدة فيلا على بحيرة توننتز وفى المنطقة الراقية منها. إنها فى

الحق يا مايا جميلة ممتازة ولا يمكن نكران ذلك،
وهى أيضا متسعة فسيحة، وستغنيننا سعتها عن
الاصطدام باستمرار.

مايا : (بخفة) لا، لا، لا. إنها فسيحة وواسعة، ولن نفتقر
فيها إلى الرحابة والسعة، وما إلى الرحابة والسعة
من أمور أخرى.

الأستاذ روبك : وتذكرى أيضا أنك عشت دائما في وسط ممتاز
غير مقيد، بين جماعة أرقى من تلك التي عشت
بينها هنا.

مايا : (تنظر إليه) آه، أنت إذن تظن أن الذي تغير هو
أنا؟

الأستاذ روبك : طبعًا يا مايا.

مايا : أنا وحدي؟ وليس الناس الذين يعيشون هنا؟

الأستاذ روبك : أوه، نعم، إنهم تغيروا هم أيضا. وربما تغيروا
تغيرًا طفيفًا، ولكنى أقر بأنه تغير لم يكن في
طريق ألطف.

مايا : حقًا، أظن أن الواجب يقضى بأن تقر بذلك.

الأستاذ روبك : (يغير الموضوع) أتدرين مقدار تاثيرى عندما ألقى
نظرة على حياة هؤلاء الذين يعيشون حولنا؟
مايا : كلا، خبرنى.

الأستاذ روبك : إن ذلك يذكرنى بالليلة التى قضيناها فى القطار
ونحن فى طريقنا إلى هنا.

مايا : عجباً، إنك كنت نائماً نوماً عميقاً طوال الوقت.

الأستاذ روبك : ليس تماماً، لقد لاحظت كيف يخيم الصمت على
جميع المحطات الصغيرة التى مر بها القطار، وقد
سمعت الصمت... مثلك يا مايا.

مايا : هم، نعم، مثلى.

الأستاذ روبك : وهذا أكد لى أننا اجتزنا الحدود.. وأنا وصلنا حقاً
إلى أرض الوطن، وكان القطار يقف عند كل
محطة صغيرة، وإن كان وقوفه بلا داع.

مايا : ولماذا كان يقف إذن، إن لم يكن هناك داع؟

الأستاذ روبك : لست أدرى، فلم يكن أحد يركب القطار أو ينزل
منه، ومع ذلك كان يقف مدة تطول حتى لا تكاد
تنتهى، وكنت أحس فى كل محطة بوجود اثنين من
عمال السكك الحديدية يقطعان الرصيف جيئة

وزهابًا، وقد حمل أحدهما مصباحًا، وهما يتبادلان
فى الظلام، وبصوت غير معبر، حديثًا خافتًا لا
معنى له.

مايا : نعم، هذا صحيح، يوجد دائمًا اثنان يسيران جيئة
وذهابًا وهما يتحادثان...

الأستاذ روبك : فى لا شىء. (ترداد حيوية صوته) ولكن انتظرى
حتى الغد، حين يرسو فى الميناء القارب البخارى
الكبير الفخم، الذى سيبحر بنا حول الشاطئ نحو
الشمال قدمًا! نحو البحر القطبى رأسًا.

مايا : نعم، ولكنك لن ترى إذ ذاك شيئًا من الأرض...
ولا أحدًا من الناس، وهذا بالذات هو ما أنت فى
حاجة إليه.

الأستاذ روبك : (فى فجأة وشراسة) لقد رأيت ما فوق الكفاية.

مايا : أتظن أن حالتك تتحسن إذا قمت برحلة بحرية؟

الأستاذ روبك : الرحلة تغيير على أى حال.

مايا : حسن، حسن، ولكن لو أن الرحلة هى فقط ما أنت
فى حاجة إليه.

الأستاذ روبك : لى أنا؟ ما أنا فى حاجة إليه؟ أنا لا ينقصنى شىء
فى هذا العالم.

مايا : (تنهض وتذهب إليه) لا، بل ينقصك شيء يا روبك، وأنا واثقة من أنك أنت نفسك تدرك ذلك ولا بد.

الأستاذ روبك : كيف يا عزيزتى مايا؟ أى شيء يمكن أن ينقصنى؟

مايا : (تقف خلفه منحنية على كرسيه) هذا ما يجب أن تخبرنى به، فقد بدأت تتجول هنا وهناك دون أن ترتاح لحظة، ولم يعد فى إمكانك البقاء فى مكان واحد، لا فى الوطن ولا فى الخارج، وأصبحت فى الأيام الأخيرة ميالاً إلى اعتزال الناس.

الأستاذ روبك : (بقليل من السخرية) يا إلهى، هل لاحظت ذلك؟

مايا : كل من يعرفك يستطيع ملاحظة ذلك، وقد لاحظت أيضاً، وهذا ما أحزننى كثيراً، أنك فقدت كل لذة فى عملك.

الأستاذ روبك : وهذا أيضاً؟ يا عجباً!

مايا : أنت يا من تعودت العمل دون تعب أو كلال، طوال اليوم من الصباح إلى المساء!

الأستاذ روبك : (فى كآبة) تعودت هذا، نعم...

مايا : ولكنك منذ أن انتهيت من قطعتك الكبيرة الخالدة...

الأستاذ روبك : (يحنى رأسه فى تفكير) «يوم البعث»...

مايا : ... القطعة الخالدة التي اشتهر أمرها فى جميع

أنحاء العالم وجعلتك مشهوراً كل هذه الشهرة...

الأستاذ روبك : ربما كان هذا هو سوء الحظ يا مايا.

مايا : كيف؟

الأستاذ روبك : عندما انتهيت من قطعى الخالدة هذه. (يجرك يده

فى انفعال) لأن يوم البعث قطعة خالدة! أو

لعلها كانت كذلك فى أول الأمر. لا، إنها ما

زالت كذلك، ويجب، يجب أن تكون قطعة خالدة!

مايا : (تنظر إليه فى دهشة) ماذا يا روبك؟ العالم كله

يعرف ذلك.

الأستاذ روبك : (منكسا فى نفور) العالم كله لا يعرف شيئاً! ولا

يفهم شيئاً!

مايا : ليكن، لكنه يستطيع على كل حال أن يقدر شيئاً

ما.

الأستاذ روبك : نعم، شيئاً غير موجود، شيئاً لم يخطر لى ببال قط،

آه، نعم، هذا ما يمكنهم أن يشغفوا به. (يتمتم فى

تذمر) وما فائدة أن يظل الإنسان طوال حياته يعمل

للغوغاء والجماهير، «للعالم كله»!

مايا : أتظن إذن أنه خير لك؟ أتظن أنه يخلق بك ألا تفعل شيئاً سوى أن تصنع تماثيل نصفية لبعض الأشخاص بين حين وآخر؟

الأستاذ روبك : (بابتسامة مأكرة) إن ما أفعله يا مايا ليس بالضبط تماثيل نصفية.

مايا : نعم، إن هذا هو الواقع ولاريب... طوال السنتين أو السنوات الثلاث الماضية، منذ أن انتهيت من مجموعتك العظيمة وأخرجتها إلى العالم.

الأستاذ روبك : ولكنى أؤكد لك مع ذلك أنها ليست مجرد تماثيل نصفية.

مايا : ماذا تكون إذن؟

الأستاذ روبك : إنها شيء ذو معنيين، شيء كامن مختبئ في هذه التماثيل النصفية وخلفها... سر لا يستطيع أحد رؤيته.

مايا : حقاً؟

الأستاذ روبك : (مؤكددا) أنا وحدي الذي يستطيع رؤيته، وكم يسرنى ذلك سروراً لا يوصف، أنى أضفى على سطح هذه التماثيل «المشابهة المذهلة» كما

يقولون، تلك المشابهة التي يقفون جميعاً أمامها وقد فغروا أفواههم من الدهشة. (يخفض صوته) لكنها مما يلى هذا السطح ليست إلا وجوه جياذ ذات هيبة وأبهة، أو وجوه حمير عنيدة مكمنة، أو جماجم كلاب مبتورة الأذان منبعجة الجبهة، أو خنازير سمينة ذات خراطيم طويلة، وفى أحيان تبدو ثيراناً غبية متوحشة.

مايا : (بعدم اكرات) تقصد جميع الحيوانات المستأنسة العزيزة؟

الأستاذ روبك : ليست إلا الحيوانات المستأنسة العزيزة يا مايا، تلك الحيوانات التي احتقرها الإنسان وحيرته فى قرارة نفسه، والتي احتقرته وحيرته بدورها هى الأخرى. (يفرغ كأس الشمبانيا ويضحك) وهذه التماثيل ذات الوجهين هى التي يأتى إلى فى طلبها أغنياؤنا المحترمون، والتي يدفعون فيها عن طيب خاطر مبالغ طائلة، قدر وزنهم ذهباً كما يقولون.

مايا : (تملاً كأسه) هيا يا روبك! اشرب وكن سعيداً!

الأستاذ روبك : (يمر بيده على جبهته عدة مرات وقد استند إلى خلف كرسية) إنى سعيد يا مايا، سعيد حقاً، سعيد

إلى حد ما. (صمت قصير) فلاشك أن الإنسان يشعر بالسعادة لأنه حر مستقل في كل أمره، لأنه يستطيع الحصول على كل ما يمكن أن يرغب فيه، أعنى الأشياء الخارجية المادية، ألا توافقينى يا مايا؟

مايا : أوه، نعم، إنى أوافقك، كل ما يمكن أن يكون جميلاً بطريقته الخاصة. (تنظر إليه) ولكن أتذكر ما وعدتني عندما اتفقنا على... على هذه النقطة المتعبة.

الأستاذ روبك : (يخني رأسه مرارا). تقصدين مسألة زواجنا؟ نعم، فلم يكن الأمر سهلا عليك يا مايا.

مايا : (تتم في اطمئنان). ووافقت على أن أذهب معك إلى الخارج، لنعيش هناك دائما، لأمتع نفسي أتذكر ما وعدتني به إذ ذاك؟

الأستاذ روبك : (يهز رأسه) كلا، لا أستطيع القول بأنى أذكر ذلك، ولكن ماذا وعدتك؟

مايا : قلت إنك ستصعد بي إلى قمة جبل عال وترينى كل ما فى العالم من عظمة وبهاء.

- الاستاذ روبك : (يجفل قليلا) أو عدتك أنت أيضا بذلك؟
- مايا : أنا أيضا؟ ومن وعدته غيرى؟ قل لى أرجوك.
- الاستاذ روبك : (بلا اكتراث) لا، لا، أعنى هل وعدتك بأن أريك...
أريك...
أريك...
- مايا : كل ما فى العالم من عظمة وبهاء؟ نعم، وعدت، وقلت إنه سيكون لى كل هذا البهاء.
- الاستاذ روبك : إن هو إلا أسلوب من الكلام كنت أستعمله يوما ما.
- مايا : لم يكن إلا أسلوبًا من الكلام؟
- الاستاذ روبك : نعم، كلام تلميذ صغير. كنت أستعمل ما يشبه ذلك لإغراء جيرانى من الأطفال على الخروج معى إلى الجبال والغابات لنلعب هناك.
- مايا : (تنظر إليه بشدة) لعلك لم تقصد إلا إغرائى أنا أيضا للخروج معك للعب؟
- الاستاذ روبك : (يعتبرها مزحة) حسن، ألم تكن لعبة محتملة مسلية يا مايا؟
- مايا : (برود) لم يكن ذهابى معك للعب فقط.
- الاستاذ روبك : لا، لا، ليس لذلك.
- مايا : ولم تأخذنى معك قط إلى قمة أى جبل، ولم ترنى...

الأستاذ روبك : (في هياج قليل) كل ما فى العالم من عظمة وبهاء؟ لا، لم أرك هذا، ودعيني أخبرك أن ذلك لم يحدث، لأنك لم تخلقى يا صغيرتى مايا لتكونى متسلقة جبال.

مايا : (تحاول ضبط نفسها) ولكنك ظننت يوماً أننى أصلح لذلك.

الأستاذ روبك : منذ أربع أو خمس سنوات، نعم. (يتمدد على الكرسي) أربع أو خمس سنوات. يا لها من زمن طويل، طويل يا مايا.

مايا : (تنظر إليه وعلى وجهها أمارات من الحزن والمرارة) أيبدو الزمن فى عينيك على هذا الطول المديد يا روبك؟

الأستاذ روبك : بدأت الآن أشعر به طويلاً بعض الطول. (يشاءب) بين وقت وآخر كما تعلمين.

مايا : (تعود إلى مكانها) لن أضايقك أكثر من ذلك (تجلس على مقعدها وتبدأ فى تقليب صفحات جريدتها، يعمهما الصمت).

الأستاذ روبك : (يستند على المنضدة بمرفقيه وينظر إليها في مكايده)
هل استاعت زوجة الأستاذ؟

مايا : (في برود دون أن ترفع نظرها عن الصحيفة) لا،
مطلقاً.

(يبدأ زوار الحمامات في المرور من الناحية
اليمنى قاصدين الناحية اليسرى، وأغلبهم من
النساء، والجميع يمرون فرادى وجماعات.
الخدم يحملون المرطبات من الفندق ويذهبون
بها إلى ما وراء الكوخ.

يعود مفتش الحمامات من جولاته في
الحديقة، وهو ينحنى في أدب لكل من يقابله في
طريقه من الزوار، ويتبادل بضع كلمات مع
بعضهم، المفتش يلبس قفازات ويحمل عصا).

المفتش : (يتقدم من منضدة الأستاذ روبك ويخلع قبعته في
أدب) يشرفنى أن أتمنى لك صباحاً طيباً يا سيده
روبيك، صباح الخير يا أستاذ روبك.

الأستاذ روبك : صباح الخير، صباح الخير يا حضرة المفتش.

المفتش : (يحادث السيدة روبك) هل لى أن أسأل إن كنت قد نمت نومًا طيبًا؟

مايا : نعم، وشكرا لك، نومًا طيبا. من جهتي أنا، فإنى دائما أنام نومًا عميقًا.

المفتش : يسرنى أن أسمع ذلك، فالليلة الأولى فى المكان الغريب متعبة دائما. والأستاذ؟

الأستاذ روبك : إن طيب المنام ليس مما يمكن أن أتباهى به مطلقًا، وبخاصة فى الأيام الأخيرة.

المفتش : (يتظاهر بالعطف) أوه، إن هذا مما يؤسف له، ولكنك بعد أن تمضى فى الحمامات عدة أسابيع... ستشفى من ذلك تمامًا.

الأستاذ روبك : (ينظر إليه) خبرنى يا حضرة المفتش، أمن عادة أى مريض من مرضاكم أخذ حمام ليلى؟

المفتش : (فى دهشة) حمام ليلى؟ كلا، مطلقًا، لم أسمع بشيء كهذا.

الأستاذ روبك : ألم تسمع به؟

المفتش : كلا، لم أعرف من بلغ به المرض حدًا يدعو إلى مثل هذا العلاج.

الأستاذ روبك : هناك، على أى حال، من اعتاد التجول ليلاً فى
الحديقة.

المفتش : (يتسم وبهز رأسه) لا يا أستاذ، إن القوانين لا
تسمح بذلك.

مايا : (فى ضيق) يا إلهى، يا روبك، لقد أخبرتك بذلك هذا
الصباح، لا بد أن ما رأيته كان حلمًا.

الأستاذ روبك : (بجفاء) حقًا؟ أيجب أن يكون كذلك؟ شكرًا لك!
(يلتفت إلى المفتش) الحقيقة أننى استيقظت ليلة
أمس.. فقد جفانى النوم، وأردت أن أعرف أى
نوع من الليل هنا.

المفتش : (بانتباه) طبعًا. وبعد؟

الأستاذ روبك : ونظرت من النافذة، فلمحت خيالاً أبيض بين
الأشجار.

مايا : (تبتسم للمفتش) ويذكر الأستاذ أن هذا الخيال كان
يلبس ثوب استحمام...

الأستاذ روبك : أو شيئاً يشبه ذلك، إذ لم أستطع تمييز الثوب تمامًا،
ولكنى واثق من أنه ثوب أبيض.

المفتش : هذا أمر جدير بالاعتبار، أرجلاً كان أم امرأة؟

الأستاذ روبك : كان من الممكن أن أقسم على أنه امرأة، ولكن ظهر خلفها خيال آخر، وكان خيالاً أسود تماماً، كأنه الظل.

المفتش : (يجفل) خيالاً أسود؟ ربما كان حالك السواد؟

الأستاذ روبك : نعم، هذا ما كان يجب قوله.

المفتش : (وقد كاد الغموض ينجلي) وخلف الخيال الأبيض؟ يتبعه تماماً؟

الأستاذ روبك : نعم، على بعد قليل.

المفتش : آها، أظنني إذن أستطيع حل اللغز يا أستاذ.

الأستاذ روبك : حسن، إذن خبرنا.

مايا : (في الحال) ألم يكن الأستاذ نائمًا حقًا؟

المفتش : (يهمس فجأة وهو يوجه انتباههما إلى الجزء الخلفي من الناحية اليمنى) هش! من فضلك! انظرا هنالك، لا ترفعا صوتكما لحظة.

(تتقدم سيدة نحيفة من خلف الفندق متجهة نحو الظلة المقامة في الجزء الأمامي من الناحية اليسرى، لابسة ثوبًا بين الأبيض والأصفر من الكشمير الخفيف، تتبعها راهبة في ثوب أسود، على

صدرها سلسلة معلق فيها صليب فضى. وجه السيدة شاحب، ذو خطوط جامدة، وجفونها نصف مغلقة، حتى ليبدو أنهما لا ترى شيئاً، وثوبها ضاف وذو طيات عمودية كثيرة، ويغطي رأسها ورقبتها وصدرها وكتفها وذراعيها شال أبيض من الكريشة. تسير السيدة في خطوات جامدة قصيرة دون أن تحرك جسدها، وقد طوت ذراعيها فوق صدرها. تتبعها الراهبة في خطوات قصيرة أيضاً، ويبدو عليها هيئة الخدم، ولا تصرف عينها الرماديتين الحادثين عن السيدة أبداً. ينظر الخدم الحاملون مناشفهم على أيديهم وهم في طريقهم إلى الفندق إلى السيدتين نظرات غريبة. ولكنهما لا تعبران أى شىء انتباهاً، وتدخلان الظلة دون أن تلتفتا إلى أى الشىء)

- الأستاذ روبك : (ينهض في بطاء وعلى غير إرادته، ويظل محملاً في باب الظلة المعلق) من تكون هذه السيدة؟
- المفتش : امرأة غريبة استأجرت الظلة الصغيرة التى هناك.
- الأستاذ روبك : أجنبية؟

المفتش : ربما، وقد جاءتا على كل حال من الخارج، منذ أسبوع، وهى المرة الأولى التى تزوران فيها هذا المكان.

الأستاذ روبك : (ينظر إليه ويقول فى جزم) إنها هى التى رأيتها فى الحديقة مساء أمس.

المفتش : لا شك فى ذلك، وهو ما جال بفكرى منذ اللحظة الأولى.

الأستاذ روبك : ما اسم هذه السيدة يا حضرة المفتش؟

المفتش : ما كتبته فى الفندق هو أنها «مدام دى سانو وتابعتها»، وهذا كل ما نعرفه عنها.

الأستاذ روبك : (يفكر) ساتو؟ ساتو؟

مايا : (تضحك فى سخرية) أتعرف أحدًا بهذا الاسم يا روبك؟ آه؟

الأستاذ روبك : (يهز رأسه) كلا، لا أحد. ساتو؟ يبدو أنها روسية، أو على أى حال سلوفاكية. (للمفتش) أى لغة تتكلمها؟

المفتش : لم أستطع معرفة اللغة التى تتحدثان بها سويًا، ولكنها تتكلم فى أوقات أخرى بالنرويجية كما

يتكلمها أهلها.

الأستاذ روبك : (يجفل ويقول في عجب) النرويجية؟ أوافق أنت من

أنك لم تخطئ في ذلك؟

المفتش : كلا، إذ كيف أخطئ في أمر كهذا؟

الأستاذ روبك : (ينظر إليه بلهفة وسرور) أسمعته بنفسك؟

المفتش : نعم، فقد حادثتها أنا نفسى، عدة مرات، لا أكثر من

كلمات قليلة، فهي أبعد ما تكون عن الثرثرة،

ولكن...

الأستاذ روبك : ولكنها تتكلم النرويجية؟

المفتش : النرويجية الصحيحة، ولكن ربما كانت لهجتها أميل

إلى لهجة أهل الشمال.

الأستاذ روبك : (يحمق أمامه في دهشة وبهمس) وهذا أيضاً!

مايا : (وكأنما آذاها وضايقها قليلاً) ربما كانت هذه

السيدة إحدى نماذجك يا روبك؟ فتش في ذاكرتك.

الأستاذ روبك : (ينظر إليها بحدة) نماذجى؟

مايا : (تبتسم في تحرش) أعنى أيام شبابك، فإنه يروى أن

نماذجك كن كثيرات لا عدد لهن، بالطبع منذ أمد

طويل.

الأستاذ روبك : (بنفس اللهجة) أوه، كلا أيتها الزوجة الصغيرة
مايا، فلم يكن لى فى الحق من النماذج إلا واحدة،
واحدة، وواحدة فقط لكل الشئ صنعته.

المفتش : (الذى ابتعد قليلا وهو ينظر إلى الناحية اليسرى)
إذا سمحتما، أظننى سأنصرف، فإنى أرى شخصا
- من لا أحب أن ألتقى بهم وبخاصة فى حضرة
النساء - آتيا من هناك.

الأستاذ روبك : (ينظر فى نفس الاتجاه) هذا الرجل الرياضى هناك،
من هو؟

المفتش : إنه يدعى مستر أولفهايم، من...

الأستاذ روبك : أوه، مستر أولفهايم؟

المفتش : قاتل الدببة كما يسمونه.

الأستاذ روبك : إنى أعرفه.

المفتش : ومن ذا الذى لا يعرفه؟

الأستاذ روبك : قليلون ولا ريب، أهو أحد مرضاك... أخيرا؟

المفتش : كلا، ما أعرب أن يكون مريضا. أليس كذلك؟ إنه

يمر هنا مرة واحدة كل عام... فى طريقه إلى

أرضه التى يصيد فيها... عن إذنكما الآن.

(يتحرك متجهاً نحو الفندق)

أولفهايم : (يسمع من الخارج) قف لحظة يا رجل! عليك

اللعنة، ألا تقف؟ لماذا تتهرب منى دائماً؟

المفتش : (يقف) إنى لا أنتهرب أبداً يا مستر أولفهايم.

(يدخل أولفهايم من ناحية اليسار يتبعه خادم

يجر كلبين من كلاب صيد فى سلسلة، وهو فى ثياب

الصيد وحذاء الميدان العالى وقبعة فيها ريشة، وهو

طويل نحيف متين العضلات ملبد الشعر واللحية

عالى الصوت. لا يستطيع من يراه أن يقدر سنه

ولكنه لم يعد صغير السن).

أولفهايم : (ينقض على المفتش) أهذه هى الطريقة التى تقابل

بها الأعراب؟ تفر وذيلك بين رجلتك كأنما

الشیطان يتبعك؟

المفتش : (فى هدوء دون أن يجيبه) هل وصل مستر أولفهايم

إلى الباخرة؟

أولفهايم : (يهمهم) لم أشرف برؤية أى بواخر. (يضع يديه

فى وسطه) ألا تعلم أن لى يختى الخاص؟ (للخادم)

لارز، اعتن بزميليك جيداً، ولاحظ أن يظلا

كاسرين دائماً، قدم لهما عظاماً طازجة ليس عليها

من اللحم إلا القليل، أسمع ذلك؟ تأكد من أن تكون العظام نيئة رائحتها قوية وما زال الدم يعلوها، واملأ معدتك أنت أيضاً بالشىء فى نفس الوقت. (يضرب الهواء بقدمه فى اتجاه الخادم) والآن، اذهب إلى الجحيم!

(يخرج الخادم مع الكلبين من ركن الفندق إلى الخلف)

المفتش : ألا يريد المستر أولفهايم أن يذهب إلى غرفة الطعام فى نفس الوقت؟

أولفهايم : بين أنصاف الموتى من الناس والذباب؟ كلا، وألف شكر لك يا حضرة المفتش.

المفتش : حسن، حسن، كما تريد.

أولفهايم : ولكن قل لمديرة المنزل أن تعد لى الطعام كالعادة، ولاحظ أن يكون الخبز كثيراً، وكمية الخمر وفيرة! وتستطيع أن تبلغها أنها إذا لم تصنع ذلك فسأذهب أنا أو لا رز وكأنا الشياطين.

المفتش : (يقاطعه) إننا نعرف عاداتك القديمة (يلتفت) هل من أوامر للساقى يا أستاذ؟ هل من شىء تريد السيدة روبك أن أرسله إليها؟

الأستاذ روبك : لا، وشكرا لك، لا شىء لى.

مايا : ولا شىء لى أنا أيضا.

(يدخل المفتش إلى الفندق)

أولفهايم : (يحملق فيهما لحظة ثم يرفع قبعته) عجبًا، ملعون أنا

إن لم يكن هنا كلب ريفى ضل طريقه بين

المجتمعات الراقية.

الأستاذ روبك : (ينظر إليه) ماذا تقصد بذلك يا مستر أولفهايم؟

أولفهايم : (أكثر هدوءا وأدبا) أظن أن من أشرف بخطابه

ليس شخصًا أقل من المثال العظيم روبك.

الأستاذ روبك : (يحنى رأسه مرارا) أذكر أنني قابلتك مرة أو مرتين،

فى آخر خريف عدت فيه إلى الوطن.

أولفهايم : مع أن ذلك كان منذ أعوام عديدة، ولم تكن إذ ذاك

قد بلغت قمة الشهرة التى أسمع أنك بلغتها الآن،

وكان يمكن فى هذا الوقت أن يقترب منك أى

إنسان حتى لو كان صائد دبية قذر.

الأستاذ روبك : (يتسمم) ما زلت حنى الآن لا أعض أحدا.

مايا : (تنظر إلى أولفهايم فى سرور) أنت حقًا وصدقًا

صائد دبية؟

أولفهايم : (يجلس إلى المائدة المجاورة من ناحية الفندق) إنى صائد إذا سنحت الفرصة يا سيدتى، ولكنى أنتهز فرصة أى صيد يعترض طريقى، فأصيد النسور والذئاب والنساء والأيتال والوعول، على شرط أن تكون طازجة غضة تتدفق الدماء فى عروقها. (يشرب من زجاجة فى جيبه).

مايا : (تثبت أنظارها عليه) ولكن، أتفضل صيد الدببة؟
أولفهايم : نعم أفضلها، لأنى إذ ذاك أستعمل سكينى فى التضيق والقبض عليها. (يبتسم ابتسامة خفيفة) إننا يا سيدتى نعمل فى مواد صعبة نحن الاثنين، زوجك وأنا، فهو يجاهد ولا ريب مع كل الرخام، وأنا أجاهد مع عضلات الدببة المشدودة المرتجفة، وكلانا يكسب المعركة فى النهاية... فنخضع موادنا ونحكمها، ولن يرتاح أحدنا حتى ينتصر على مواده التى تقاوم إذ ذاك أشد مقاومة.

الأستاذ روبك : (فى تفكير عميق) إن فيما تقوله كثيراً من الصدق.
أولفهايم : نعم، فإنى أظن أن فى الحجر أيضاً شيئاً يجاهد الإنسان من أجله، فهو ميت وقد صمم على ألا

يطرقه أحد ليخرج منه شيئاً حياً، تمامًا، كالدب
عندما تأتئين إلى وجاره وتتخسنيه.

مايا : أنت صاعد إلى الغابات الآن للقنص؟

أولفهايم : سأذهب في الحال إلى الجبال العالية. أظنك لم
تتسقى الجبال العالية أبداً يا سيدتى؟

مايا : كلا، لم أتسلقها أبداً.

أولفهايم : هذا الشيء مخجل إذن، يجب أن تصعدى الجبل
هذا الصيف، هذا أمر لا يقبل الجدل. سأأخذك
معى، أنت والأستاذ، وهذا مما يسرنى.

مايا : شكراً، ولكن روبك يفكر فى القيام برحلة بحرية
هذا الصيف.

الأستاذ روبك : حول الشاطئ، خلال قنوات الجزائر.

أولفهايم : أوه! ماذا بحق الشيطان تفعل فى هذه البالوعات
القذرة الملعونة؟ تتقلب فى ماء القنوات الأجاج
هذا؟ بل أفضل أن أسميه ماء غسيل الأوانى.

مايا : ها، أسمع يا روبك؟

أولفهايم : كلا، خير لك أن تصعد معى إلى الجبال، بعيداً،
بعيداً كل البعد عن حبائل الناس وأقذارهم، إنك لا

تستطيع أن تدرك أثر ذلك فى نفسى، ولكن مثل هذه السيدة الصغيرة. (يتوقف).

(تخرج الراهبة من الكوخ وتذهب إلى الفندق فيتبعها أولفهايم بنظراته)

لكن، انظر إليها، انظر! غراب الليل التى هناك! من الذى سيدفن يا ترى؟

الأستاذ روبك : لم أسمع أن أحدًا...

أولفهايم : إذن فهناك شخص على وشك أن تفيض روحه، فى أحد الأركان هنا أو هناك. ولا شك أنه مما يسر أولئك المرضى المشلولين أن يروا بأنفسهم أيان يدفنون... وكلما كان ذلك أسرع. كان أفضل.

مايا : ألم تمرض قط يا مستر أولفهايم؟

أولفهايم : أبدأ، إذ لو كنت قد مرضت يوماً لما كنت هنا الآن. ولكن صفوة أصدقائى المقربين كانوا مرضى، يا للمساكين!

مايا : وماذا كنت تفعل لصفوة أصدقائك المقربين؟

أولفهايم : أطلق عليهم الرصاص بالطبع.

الأستاذ روبك : (ينظر إليه) تطلق عليهم الرصاص؟

مايا : (تدفع كرسيها إلى الخلف) تقتلهم بإطلاق الرصاص عليهم؟

أولفهايم : (يخني رأسه موافقة) إنى لا أخطئ الهدف مطلقاً يا سيدتى.

مايا : ولكن كيف يمكنك إطلاق الرصاص على الناس؟
أولفهايم : لم أتحدث عن الناس.

مايا : قلت أصدقاءك المقربين؟

أولفهايم : ومن يكون هؤلاء إذن سوى كلابى؟

مايا : أكلابك هم صفة أصدقائك المقربين؟

أولفهايم : ليس لى من الأصدقاء من هو أقرب إلىّ منهم، فهم

رفقائى المخلصون الأمانة الذين يمكن الاعتماد

عليهم، فإذا ما انتاب أحدهم المرض وأصبح فى

حالة من اليأس فليس إلا إطلاق الرصاص. وهكذا

يرسل صاحبى فى طرد إلى العالم الآخر.

(تأتى الراهبة من ناحية الفندق حاملة صينية

عليها خبز ولبن فتضعها على المنضدة القريبة من

الظلة ثم تدخل)

أولفهايم : (يضحك في احتقار) هذه النفاية هناك، أهى تلك التى يسمونها طعامًا للآدميين؟ لين وماء وخبز طرى لزج؟ آه، يجب أن تريا أصدقائى وهم يأكلون، أتودان رؤيتهم؟

مايا : (تبتسم للأستاذ ثم تقف) نعم، من كل قلبى.

أولفهايم : (ينهض) إن حديثك يا سيدتى حديث امرأة لها روح! تعالى معى إذن! إنهم يبتلعون العظام الكبيرة الضخمة دفعة واحدة، يبتلعونها كلها ثم ينزلونها مرة أخرى. أوه، إن رؤيتهم تسلية جميلة، تعالى معى وسأريك ذلك، وفى نفس الوقت نتحدث عن الرحلة إلى الجبل.

(يخرج حول ركن الفندق تتبعه مايا، فى نفس الوقت تخرج السيدة الغريبة من الظلة وتجلس إلى المنضدة. ترفع السيدة كوب اللبن وتكون على وشك ضربه ولكنها تتوقف وتنظر إلى روبك بعينين غير معبرتين)

الأستاذ روبك : (يظل جالسًا مكانه وهو ينظر إليها نظرات ثابتة متلهفة، وأخيرًا ينهض ويسير نحوها بضع خطوات،

ثم يقف ويقول في صوت خافت) إنى أعرفك تمام
المعرفة يا أيرين.

السيدة : (فى صوت غير معبر وهى تضع
الكوب) هل استطعت أن تحذر من أنا يا
أرنولد؟

الأستاذ روبك : (لا يجيها) وأرى أنك تعرفت علىّ أنا أيضاً.

السيدة : الأمر يختلف من جهتك.

الأستاذ روبك : من جهتى؟ كيف؟

السيدة : أوه، إنك مازلت حيّاً.

الأستاذ روبك : (لا يفهم شيئاً) حيّاً؟

السيدة : (بعد صمت قصير) من كانت الأخرى؟ تلك المرأة
التي كانت معك؟ هناك على المائدة؟

الأستاذ روبك : (فى قليل من التردد) تلك، إنها كانت، كانت
زوجتى.

السيدة : (تحنى رأسها فى بطء) حقاً؟ حسن يا أرنولد، هى
إذن إنسان لا علاقة له بى.

الأستاذ روبك : (يحنى رأسه) لا، بالطبع لا.

السيدة : إنسان عشت معه بعد حياتى الطويلة التى قضيتها

معك.

الأستاذ روبك : (يتفرس فيها فجأة) بعد؟ ماذا تعنين بذلك يا أيرين؟

أيرين : (دون أن توافق) والطفل؟ سمعت أنه نجح أيضاً، لقد عاش طفلنا بعدى، ونال المجد والشرف.

الأستاذ روبك : (يبتسم كأنما يبتسم لذكرى قديمة جداً) طفلنا؟ نعم كنا نسميه كذلك، إذ ذاك.

أيرين : فى أثناء حياتى المذكورة، نعم.

الأستاذ روبك : (يحاول أن يتكلم بلهجة أكثر مرحاً) نعم يا أيرين، أؤكد لك أن «طفلنا» قد اشتهر فى كل أركان هذه الدنيا الواسعة، أظنك قرأت عن ذلك.

أيرين : (تحنى رأسها) وقد جلب الشهرة لأبيه أيضاً، كان هذا حلمك.

الأستاذ روبك : (بأسلوب أكثر نعومة وانفعالاً) إني مدين لك أنت بكل الشئ، بكل الشئ يا أيرين... وإني لأشكرك.

أيرين : (تتوه فى أفكارها لحظة) لو كنت فعلت إذ ذاك ما كان لى الحق فى فعله يا أرنولد.

الأستاذ روبك : حسن؟ ماذا إذن؟

- أيرين : لكنت قتلت ذلك الطفل .
- الأستاذ روبك : تقولين قتلته؟
- أيرين : (تهمس) لكنت قتلته، قبل أن أترك وأذهب بعيداً، كنت سحقته، سحقته حتى يصير تراباً .
- الأستاذ روبك : (يهز رأسه في تأنيب) ما كنت تستطيعين ذلك أبداً يا أيرين، ما كان قلبك يسمح بذلك .
- أيرين : بلى، فلم يكن لى فى تلك الأيام ذلك القلب .
- الأستاذ روبك : ولكن منذ ذلك الوقت؟ بعد ذلك؟
- أيرين : منذ ذلك الوقت قتلته مرات لا عداد لها، قتلته ببغض... وضح النهار وتحت ستار الظلام، قتلته ببغض... وانتقام... وألم .
- الأستاذ روبك : (يقترّب من المنضدة ويسأل فى صوت ناعم) أيرين، أخيراً... وبعد كل هذه الأعوام، خبرينى عن سبب فرارك منى، لقد اختفيت فجأة، ولم تتركى وراءك أثراً ما .
- أيرين : (تهز رأسها فى بطء) أوه، يا أرنولد. ماذا يجبرنى على إخبارك الآن؟ التحدث إليك من عالم القبور؟
- الأستاذ روبك : أحببت أحداً غيرى؟

أيرين : كان هناك واحد، لم يعد له أى نفع فى حبى، ولم تعد له أى فائدة فى حياتى.

الأستاذ روبك : (يغير الموضوع) هم، لنترك الماضى فلا نتحدث عنه.

أيرين : لا، لا، لا تدعنا بأى حال نتحدث عما تحت القبور، عما هو تحت القبور الآن بالنسبة لى.

الأستاذ روبك : أين كنت يا أيرين؟ لم تثمر كل أبحاثى فى الوصول إليك، كان يخيل إلى أنك اختفيت تماماً.

أيرين : ذهبت إلى الظلمات، عندما وقف الطفل متلاًئلاً تحت الأنوار.

الأستاذ روبك : هل طفت كثيراً حول العالم؟

أيرين : نعم، زرت بلدانا كثيرة.

الأستاذ روبك : (ينظر إليها فى إشفاق) وماذا كنت تصنعين يا أيرين؟

أيرين : (تحول أنظارها نحوه) انتظر لحظة، دعنى أتذكر...

نعم، لقد تذكرت، كنت أقف على منصة فى

الاستعراضات الراقصة، وكنت أقف فى اللوحات

الحية كتمثال عار، وكنت أجرف من أكوام الذهب،

وهذا ما لم أستطع فعله معك، لأنه لم يكن عندك منه شيء. ثم أخذت أغرى كل أنواع الرجال، وهذا أيضاً لم أستطع فعله معك، لأنك استطعت أن تتمالك نفسك بقوة إرادتك.

الأستاذ روبك : (يسرع ليغير الموضوع) ثم تزوجت أيضاً؟

أيرين : نعم، تزوجت أحدهم.

الأستاذ روبك : ومن هو زوجك؟

أيرين : كان رجلاً من أمريكا الجنوبية، سياسى معروف.

(تنظر أمامها وعلى فمها ابتسامة جامدة) كنت

أسوسه لأخرجه عن عقله، لأصييه بالجنون.

الجنون الذى لا يشفى منه، الجنون الذى لا يتغير.

أؤكد لك أنها كانت رياضة عظيمة، وعندما كنت

أقوم بها، كنت طوال الوقت أضحك بينى وبين

نفسى... إن كانت لى نفس.

الأستاذ روبك : وأين هو الآن؟

أيرين : أوه، فى مقبرة إحدى الكنائس فى مكان ما، وقد

وضع فوقه تمثال جميل متقن، واستقرت فى

مجمته رصاصة.

- الأستاذ روبك : قتل نفسه؟
- أيرين : نعم، بلغ من الطيبة حدًا جعله يحمل هذا العبء
عنى.
- الأستاذ روبك : ألم تحزنى لفقدانه يا أيرين؟
- أيرين : (غير فاهمة) أحزن؟ وأى فقدان؟
- الأستاذ روبك : فقدان الهر ساتو بالطبع.
- أيرين : لم يكن اسمه ساتو.
- الأستاذ روبك : ألم يكن هذا اسمه؟
- أيرين : من يدعى ساتو هو زوجى الثانى، وهو روسى...
- الأستاذ روبك : وأين هو؟
- أيرين : بعيد جدا، فى جبال الأورال، بين كل مناجمه
الذهبية.
- الأستاذ روبك : إذن فهو يعيش هناك؟
- أيرين : (تمزكتفيها) يعيش! الحق أننى قتلته.
- الأستاذ روبك : (يجفل) قتلته؟
- أيرين : قتلته بخنجر حاد بديع أحتفظ به دائما فى فراشى.
- الأستاذ روبك : (فى عنف) أنا لا أصدقك يا أيرين!
- أيرين : (بابتسامة لطيفة) يجب أن تصدق ذلك يا أرنولد.

- الأستاذ روبك : (ينظر إليها مشفقاً) ألم تتجبي أولادًا قط؟
- أيرين : بلى، كثيرين.
- الأستاذ روبك : وأين هم الآن؟
- أيرين : قتلتهم.
- الأستاذ روبك : (بشدة) ها أنت تكذبين مرة أخرى!
- أيرين : لقد قتلتهم قلت لك... قتلتهم دون شفقة، فى اللحظة التى كانوا يرون فيها نور الحياة. أوه، منذ زمن طويل، طويل، الواحد تلو الآخر.
- الأستاذ روبك : (بحزن وجد) إنك تخفين شيئاً وراء كل ما تقولين.
- أيرين : وكيف لى التخلص من ذلك، وأنا أسمع كل كلمة مما قلته همساً فى أذنى؟
- الأستاذ روبك : أعتقد أننى الوحيد الذى يستطيع تقديس ما تعنيه.
- أيرين : بكل تأكيد يجب أن تكون هذا الشخص الوحيد.
- الأستاذ روبك : (يضع يديه على المنضدة ويسلط عليها نظراته) خيط من خيوط طبيعتك الإنسانية قد انقطع.
- أيرين : (بلطف) ألا يحدث ذلك دائماً عندما تموت امرأة شابة حارة الدماء؟
- الأستاذ روبك : أوه، يا أيرين، ألا تكفين عن هذه الأفكار الشاذة! إنك تعيشين! تعيشين... تعيشين!

أيرين : (تنهض من مقعدها ببطء وتقول بصوت مرتجف)
لقد متُّ منذ سنين طويلة، جاءوا إليّ وقيّدوني...
قيّدوا يدي خلف ظهري، وأنزلوني إلى القبر،
ووضعوا فوق فوهته قضباناً من الحديد، وبطنوا
حوائطه... حتى لا يسمع أحد ممن فوق القبر
صرخات من في القبر. ولكني الآن بدأت أستيقظ
بصورة ما من بين الموتى. (تجلس ثانية).

الأستاذ روبك : (بعد فترة صمت) أتظنين أنني سبب ذلك كله؟

أيرين : نعم.

الأستاذ روبك : سبب... سبب موتك كما تسميه؟

أيرين : السبب في أنني عرفت أن من الواجب أن أموت.

(تغير نبرات صوتها إلى لهجة عدم الاكتراث) لماذا

لا تجلس يا أرنولد؟

الأستاذ روبك : وهل أستطيع؟

أيرين : نعم... إنه ليس ثمة ما يدعوك إلى الخوف من أن

أتجمد، وأنا لا أظن أنني قد تحولت تحولاً تاماً إلى

كتلة من الجليد.

الأستاذ روبك : (يحرك كرسياً ويجلس إلى مائدتها) ها أنذا يا أيرين،
ها نحن نجلس كما اعتدنا فى أيامنا الخالية.

أيرين : متباعدين قليلاً، كما اعتدنا أيضاً فى أيامنا الخالية.
الأستاذ روبك : (يقترّب منها) كان يجب علينا إذ ذاك أن نكون
كذلك.

أيرين : أكان هذا واجباً؟

الأستاذ روبك : (جازماً) كان يجب أن يكون بيننا فاصل.

أيرين : أكان ذلك أمراً محتوماً ولا بد منه يا أرنولد؟

الأستاذ روبك : (مستمراً) أتذكرين ما أجبته به عندما سألتك عما
إذا كنت تستطيعين أن تتطلقى معى إلى الدنيا
الواسعة؟

أيرين : لقد رفعت حينئذ أصابع ثلاثة وأقسمت أن أتبعك
إلى نهاية الدنيا حتى الموت، وأن أخدمك فى كل
شئ...ء

الأستاذ روبك : كنموذج لهنى.

أيرين : وفى عرى تام كامل.

الأستاذ روبك : (بانفعال) وقد خدمته يا أيرين، بكل شجاعة، وكل
سرور وحرية.

أيرين : نعم، بكل دماء شبابي النابضة خدمتك!
الأستاذ روبك : (يحن رأسه وفي عينيه نظرة شكر) لك الحق كل
الحق في قولك هذا.

أيرين : لقد ارتميت على قدميك وخدمتك يا أرنولد!
(ترفع يديها المتشابكتين نحوه) ولكنك أنت، أنت...
أنت!

الأستاذ روبك : (مدافعاً عن نفسه) إنني لم أخطئ في حقك أبداً!
أبداً يا أيرين!

أيرين : لا، بل أخطأت! أخطأت في حق طبيعتي الداخلية
في صميم طبيعتي الفطرية الغريزية.
الأستاذ روبك : (يتراجع) أنا!

أيرين : نعم أنت! في إخلاص عرضت جسدي كله
لنظراتك. (بأكثر نعومة) ولكنك لم تلمسني مرة
واحدة.

الأستاذ روبك : ألم تفهمي يا أيرين أنني كثيراً ما جاهدت نفسي
لأنجو من سحر جمالك؟

أيرين : (تستمر في حديثها وكأنها لم تقاطع) ومع ذلك، لو
أنك لمستني، أظنني كنت قتلتك في الحال، فأنا

دائماً أحمل معى إبرة حادة، أخفيها فى شعرى.
(تمسح جبهتها فى تفكير) ولكنك مع ذلك، مع
ذلك، كنت تستطيع...

الأستاذ روبك : (ينظر إليها فى تأثر) لقد كنت فناً يا أيرين.

أيرين : (بغموض) هذا كل ما فى الأمر، كل ما فى الأمر.

الأستاذ روبك : كنت فناً قبل كل شىء، وكانت تلح علىّ فكرة

الانتهاء من عمل حياتى العظيم. (ينسى نفسه فى

التفكير) كان يجب أن أسميه «يوم البعث»، ممثلاً

فى هيئة امرأة شابة تستيقظ من رقدة الموت...

أيرين : طفلنا؟ نعم...

الأستاذ روبك : (مستمرّاً) كان من الواجب أن يكون استيقاظ أنبل

وأظهر وأمثل امرأة شهدها العالم، ثم وجدتك،

وكنت كما طلبت تماماً، وقد قبلت عن طيبة

خاطر، فنبذت البيت والأهل فى سرور، وذهبت

معى.

أيرين : كان الذهاب معك يعنى فى مخيلتى بعث طفولتى.

الأستاذ روبك : ولهذا السبب وحده وجدت فىك كل ما أطلبه، فىك

أنت لا فى أخرى سواك، وكنت أنظر إليك كشىء

مقدس يجب ألا يمس إلا فى أفكار العبادة. كنت حدثاً إذ ذاك يا أيرين، وتملكتنى خرافة أننى إن لمستك أو اشتهيتك تدنست روحى، فلا أستطيع إكمال العمل الذى أكدُّ فيه، ومازلت أرى فى ذلك بعض الصدق.

أيرين : (تحنى رأسها وفى صوتها قليل من الاحتقار) العمل الفنى أولاً، ثم يأتى الإنسان.

الأستاذ روبك : احكمى علىّ كما تريدن، ولكنى كنت فى ذلك الحين تحت سيطرة عملى العظيم الكاملة، وكنت مبتهجاً سعيداً لذلك.

أيرين : وقد أنهيت عمك العظيم يا أرنولد.

الأستاذ روبك : الشكر والفضل فى انتهائى من عملى العظيم لك، كنت أريد أن أجسم المرأة الطاهرة، كما رأيتها تستيقظ يوم البعث، لا يثير عجبها أى شىء جديد أو مجهول أو غير مقدس، ولكن يملؤها الفرح السماوى إذ وجدت نفسها لم تتغير. هى نفسها المرأة الأرضية، فى عالم أرفع وأسعد وأكثر حرية، بعد نوم الموت الطويل الخالى من الأحلام.

(بنعومة أكثر) هكذا صورتها، وقد رأيتها فى صورتك يا أيرين.

أيرين : (تمد يديها على المنضدة وتضطجع بجسمها على كرسيها) وبعد ذلك انتهيت منى.

الأستاذ روبك : (مؤنباً) أيرين!

أيرين : لم يعد لك حاجة فى...!

الأستاذ روبك : كيف يمكن أن تقولى هذا!؟

أيرين : وبدأت تنتظر حواليك تبحث عن نماذج أخرى.

الأستاذ روبك : لم أجد أنثى بعدك، لم أجد من تشغل مكانك يا أيرين.

أيرين : أليس لك نماذج أخرى يا أرنولد؟

الأستاذ روبك : لم تكونى نموذجاً لى، كنت ينبوع فنى.

أيرين : (تصمت لحظة) أى قصائد نظمتها بعد ذلك، أقصد بالرخام، منذ تركتك؟

الأستاذ روبك : لم أنظم بعد ذلك قصائد... ولكنى أبعثر أيام حياتى فى عمل تماثيل شخصية.

أيرين : وتلك المرأة، التى تعيش معها الآن؟

الأستاذ روبك : (يقاطعها في عنف) لا نتحدثى الآن عنها! فإن ذلك يجعلنى أتألم من العار.

أيرين : إلى أين تفكر فى الذهاب معها؟

الأستاذ روبك : (فى استرخاء وتعب) أوه، أظن حول الشاطئ الشمالى فى رحلة بحرية متعبة.

أيرين : (تنظر إليه وتبتسم ابتسامة خفيفة وهمس) بل عليك أن تصعد إلى قمم الجبال، إلى أعلى مكان تستطيع الوصول إليه، إلى أعلى، إلى أعلى... دائماً إلى أعلى يا أرنولد.

الأستاذ روبك : (فى لهفة وترقب) أتصعدين أنت أيضاً؟

أيرين : ألدريك من الشجاعة ما يجعلك تلقانى مرة أخرى؟

الأستاذ روبك : (يناضل نفسه فى غير ثقة) لو استطعنا، أوه، فقط لو استطعنا!

أيرين : لم لا نستطيع فعل ما نريد؟ (تنظر إليه وهمس متوسلة وقد عقدت يديها على صدرها) هلم، هلم يا أرنولد! أوه، اصعد إلى!

(تدخل مايا من خلف الفندق وقد امتلأ قلبها بالفرح فتذهب بسرعة إلى المنضدة التى كانا يجلسان إليها)

مايا : (ما زالت عند ركن الفندق تتحدث دون النظر في المكان) أوه، قل ما تشاء يا روبك، ولكن... (تصمت عندما ترى أيرين) أوه، معذرة، أراك أنشأت صداقة جديدة.

الأستاذ روبك : (بخشونة) بل جددت صداقة قديمة. (ينهض) ماذا كنت تريد منى؟

مايا : لا شيء، إلا أنني أردت إخبارك بأن فى وسعك أن تفعل ما تريد، ولكنى أنا لن أذهب معك فوق ذلك اليخت الكريه.

الأستاذ روبك : ولم لا؟

مايا : لأنى أريد تسلق الجبل والتجول فى الغابات... هذا ما أريده (تتملق) أوه، يجب أن تدعى أذهب يا روبك، وسأطيعك طاعة تامة، طاعة تامة بعد ذلك!

الأستاذ روبك : من ذا الذى أدخل فى رأسك هذه الأفكار؟

مايا : إنه هو، قاتل الدببة المخيف. أوه، إنك لا تتصور كل ما حكاه من الروائع عن الجبال والحياة فى هذه المرتفعات! لله كم هى كئيبة مخيفة باعثة على

التقزز هذه القصص التي اخترعها، إذ إنني أعتقد أنه كاذب فيما رواه، ولكنها مع ذلك حكايات رائعة مغرية، أوه، ألا تدعني أذهب معه لا لشيء إلا للتحقق من صدق كلامه؟ إنك تفهم موقفي، فهل أذهب يا روبك؟

الأستاذ روبك : نعم، لا اعتراض لى على ذلك، فلتنهبي إذن إلى الجبال، إلى أبعد ما تريدين، ولتتأخرى إلى أى وقت تشائين، فلربما ذهبت أنا أيضًا إلى نفس المكان.

مايا : (بسرعة) لا، لا، لا، لا حاجة بك إلى ذلك! ليس من أجلى!

الأستاذ روبك : بل إنني أريد الذهاب إلى الجبال، وهذا ما صممت عليه.

مايا : أوه، شكرًا، شكرًا! هل لى أن أخبر قاتل الدببة الآن!

الأستاذ روبك : قولى لقاتل الدببة ما تريدين.

مايا : أوه، شكرًا، شكرًا، شكرًا! (على وشك الإمساك بيده ولكنه يمنعها) أوه، ما أطيبك وأعزك اليوم يا روبك!

(تجربى إلى الفندق وتدخله. فى نفس الوقت
يفتح باب الظلة بخفة دون أن يصدر عنه أى
صوت، وتقف الراهبة بالباب ملاحظة أيرين بعناية
دون أن يراها أحد)

الأستاذ روبك : (يلتفت إلى أيرين ويقول فى عزم) هل نلتقى فى
الجبل إذن؟

أيرين : (تنهض فى بطء) نعم، لا شك أننا سنلتقى، فقد
بحثت عنك طويلاً.

الأستاذ روبك : متى بدأت تبحثين عنى يا أيرين؟

أيرين : (فى صوت مازح حزين) منذ اللحظة التى تذكرت
فيها أننى أعطيتك يا أرنولد شيئاً لازماً لى كل
اللزوم، شيئاً لا يجمل بالإنسان أن يفترق عنه.

الأستاذ روبك : (يمنى رأسه) نعم، إنه الحقيقة المرة، فقد أعطيتنى
ثلاث أو أربع سنوات من شبابك.

أيرين : بل أعطيتك أكثر، أكثر من ذلك، فقد كنت مسرفة
إذ ذاك.

الأستاذ روبك : نعم، كنت مسرفة يا أيرين، فقد قدمت لى كل
جمالك العارى.

- أيرين : لتتفرس فيه...
 الأستاذ روبك : وأمجده...
 أيرين : نعم، لمجدك الخاص... ومجد الطفل.
 الأستاذ روبك : ومجدك أنت أيضا يا أيرين.
 أيرين : ولكنك نسيت أنفس هداياي.
 الأستاذ روبك : أنفس هداياك؟ وأى هدية هذه؟
 أيرين : أعطيتك روحى الفنية الحية، فجعلنى هذا الإهداء
 فارغة، لا روح فى. (تحدد نحوه نظرها) وهذا ما
 سبب موتى يا أرنولد.
 (تفتح الراهبة الباب على مصراعيه وتترك
 مكانا لتدخل منه أيرين، فتدخل إلى الظلة)
 الأستاذ روبك : (يقف ناظراً إليها، ثم يهمس) أيرين!

«ستار»

الفصل الثانى

المنظر:

بالقرب من مصحة جبلية، صقع خلوى يمتد في صورة مرتفع عظيم خالٍ من الأشجار نحو بحيرة جبلية طويلة. وراء البحيرة سلسلة من القمم الجبلية، يملأ شقوقها الثلج الأبيض المائل إلى الزرقة، وفي الجزء الأمامي إلى اليسار جدول ذو خريز يصبُّ بعدد من المجارى الصغيرة من فوق جدار صخري منحدر، ثم ينساب وئيداً فوق المرتفع حتى يغيب في الناحية اليمنى. وحول مجرى الجدول شجيرات ونباتات وأحجار، في الجزء الأمامي من الناحية اليمنى أكمة يعلوها مقعد من الصخر.

الوقت أصيل يوم من أيام الصيف.

على مسافة من الجانب الآخر للجدول جماعة من الأطفال يغنون ويرقصون ويلعبون، وقد لبس بعضهم ملابس الفلاحين، والبعض الآخر ملابس أهل المدن، تسمع ضحكاتهم السعيدة خلال الحوادث القادمة، وإن تكن خافتة بعض الشيء لبعد المسافة.

على المقعد يجلس الأستاذ روبك وهو ينظر إلى الأطفال في أثناء لعبهم، وقد وضع على كتفيه جاكته يلبسها أهل المرتفعات الإسكتلنديون.

تتقدم مايا من خلف أحد الأدغال التي في الناحية اليسرى، وتتفرّس في المكان واضعة يدها فوق عينيها اتقاءً لأشعة الشمس. تضع مايا على رأسها قبعة عريضة الحافة مما يلبسه السيّاح. وتلبس بنطلوناً قصيراً يتزل تحت ركبتيها حتى منتصف الساق، وحذاءً عاليًا ضخماً، وتمسك في يدها عصا طويلة للتسلق.

مايا : (ترى روبك أخيراً فتصيح) هالو! (تتقدم فوق المرتفع وتقفز عبر الجدول بمساعدة العصا ثم تتسلق الأكمة وهي تلهث) أوه، كم فتّشت هذه الأماكن بحثاً عنك يا روبك.

الأستاذ روبك : (يحنى رأسه دون اهتمام ويسأل) هل جئتِ تَوّاً من الفندق؟

مايا : نعم، هذا آخر مكان بحثتُ عنك فيه، هذا المكان الذي يشبه مصيدة الذباب.

الأستاذ روبك : (ينظر إليها لحظة) لاحظت أنك لم تكونى على مائدة الطعام.

مايا : كلا، فقد تناولنا طعامنا فى الهواء الطلق، نحن الاثنين.

الأستاذ روبك : «نحن الاثنين» أى اثنين؟

مايا : عجباً، أنا وقاتل الدببة المخيف بالطبع.

الأستاذ روبك : أوه، هو؟

مايا : نعم، وسيكون أول عمل لنا صباح الغد صعود الجبل مرة أخرى.

الأستاذ روبك : فى أثر الدببة؟

مايا : نعم، سنصعد لنقتل دباً رمادياً صغيراً.

الأستاذ روبك : هل وجدتما آثار أى دبٍّ من تلك الدببة؟

مايا : (بتعاضم) لا أخالك تحسب أن الدببة توجد فى الجبال الجرداء، أتظن ذلك؟

الأستاذ روبك : وأين توجد إذن؟

مايا : بعيداً، فى الأماكن المنخفضة، فى السفوح السفلى، وفى الغابات المتشابكة، فى أماكن لا يستطيع أحد من أهل المدن اختراقها...

- الأستاذ روبك : وستهبطان كلاكما إليها غذا؟
- مايا : (ترقى على الأرض بين الحشائش) نعم، هذا ما رتبناه. ولكن ربما رحلنا الليلة، أعنى إذا ما لم يكن عندك مانع.
- الأستاذ روبك : أنا؟ لم يعد من اختصاصى أن...
- مايا : (بسرعة) بالطبع سيذهب لا رز معنا، يقود الكلاب.
- الأستاذ روبك : ليس هناك ما يدفعنى إلى تتبع حركات مستر لارز وكلابه.
- (يغير الموضوع) أليس الأفضل أن تجلسى جلسة معتدلة على المقعد؟
- مايا : (تكاد تنعس) لا، وشكراً لك، فإنى أرقد فى راحة تامة هنا بين الحشائش الناعمة.
- الأستاذ روبك : أراك متعبة.
- مايا : (تشاءب) أظننى بدأت أشعر بالتعب.
- الأستاذ روبك : إنك لا تلاحظين ذلك إلا أخيراً، عندما تزول الإثارة.
- مايا : (فى صوت ناعس) تماماً، سأرقد وأغمض عينى.
(لحظة صمت قصيرة)

مـاـيـا : (في ضيق مفاجئ) أوه، يا روبك، كيف تحتمل

الجلوس هكذا لسماع صرخات هؤلاء الأطفال؟

والنظر إليهم وهم يقفزون!؟

الأستاذ روبك : إن في حركاتهم، بين وقت وآخر، انسجامًا يشبه

الموسيقى، على الرغم من كل هذه الضوضاء،

وإنه ليسرني كثيرًا أن أجلس مترقبًا تلك اللحظات

الفريدة... حينما يأتون.

مـاـيـا : (تضحك في شيء من الاحتقار) نعم، أنتت فنان

دائمًا، دائمًا.

الأستاذ روبك : ومن رأيي أن أظل فنانًا دائمًا.

مـاـيـا : (ترقد على جنبها بحيث تجعل إليه ظهرها) ليس فيه

من الفنان شيء.

الأستاذ روبك : (بانتباه) من هو هذا الذي ليس فنانًا؟

مـاـيـا : (بصوت ناعس مرة ثانية) ولماذا؟ إنه الشخص

الآخر طبعًا.

الأستاذ روبك : تعنين صائد الدببة؟

مـاـيـا : نعم، ليس فيه أثارة من الفنان... أية أثارة ومهما

صغرت.

- الأستاذ روبك : (يبتسم) نعم، لا شك فى ذلك مطلقاً.
- مايا : (بحماسة ودون أن تتحرك) وإنه لكئيب كذلك (تترع قبضة من الحشيش وترميها بعيداً) كئيب جداً، جداً! أف!
- الأستاذ روبك : أهذا ما جعلك على استعداد للذهاب معه... إلى البرية!؟
- مايا : (بجفاف) لست أدرى. (تلتفت إليه) وإنك أيضاً لكئيب يا روبك.
- الأستاذ روبك : ألم تكتشفى ذلك إلا الآن؟
- مايا : بل اكتشفته منذ زمن طويل.
- الأستاذ روبك : (يهزُّ كتفيه) إن الإنسان لا يصغر أبداً، أبداً، أيتها العروس مايا.
- مايا : ليس هذا النوع من الكآبة هو الذى أعنيه، ولكنى لاحظت فى عينيك نوعاً من التعب، من الملل، عندما تتكرم وتلقى على نظرة بين حين وآخر.
- الأستاذ روبك : هل لاحظت ذلك؟
- مايا : (تومئ برأسها) لقد ظهرت هذه النظرة فى عينيك شيئاً فشيئاً، وكان يبدو أنك تدبر مكيدة ضدى.

الأستاذ روبك : حقاً؟ (في عطف ولكن بجد) تعالى واجلسى إلى جانبى يا مايا، ودعينا نتحدث قليلاً.

مايا : (في نصف قومة) هل تسمح لى إذن بالجلوس على ركبتيك، كما اعتدتُ فى أيامنا الأولى؟

الأستاذ روبك : لا، لن تفعلى ذلك، فالناس قد يروننا من الفندق. (يتحرك قليلاً) ولكنك تستطيعين الجلوس هنا على المقعد، بجانبى.

مايا : لا، شكراً، أفضلُ فى هذه الحالة أن أظل مستلقية مكانى، وفى وسعى أن أسمعك بوضوح من موضعى هذا. (تنظر إليه فى تساؤل) حسن، ماذا تريد أن تقول لى؟

الأستاذ روبك : (يبدأ فى بطء) ماذا تظنين السبب الحقيقى الذى حدا بى للقيام بهذه الرحلة؟

مايا : أ... أذكر أنك قلت بين أسباب أخرى إنها ستكون ذات نتيجة طيبة لى، ولكن... ولكن...

الأستاذ روبك : ولكن...؟

مايا : ولكنى الآن لا أصدق بأى حال أن هذا هو السبب...

- الأستاذ روبك : ماذا تظنين إذن؟
- مايا : أظن الآن أن السبب هو هذه المرأة الشاحبة.
- الأستاذ روبك : السيدة فون ساتو؟!
- مايا : نعم، تلك التى تتعقبنا دائما، فقد جاءت هنا أيضاً مساء أمس.
- الأستاذ روبك : ولكن أى شىء يعنى!
- مايا : أوه، أنا أعرف أنك عرفتها معرفة وثيقة... قبل أن تعرفنى بزمان طويل.
- الأستاذ روبك : ونسيتها أيضاً.. قبل أن أعرفك بزمان طويل.
- مايا : (تجلس) أمِنَ الممكن أن تتسى هكذا بسهولة يا روبك؟
- الأستاذ روبك : (بجفاف) نعم، بكل سهولة. (يضيف بصوت خشن) عندما أريد النسيان.
- مايا : حتى المرأة التى كانت نموذجاً لك؟
- الأستاذ روبك : عندما لا أكون فى حاجة إليها...
- مايا : تلك التى وقفت أمامك عارية؟
- الأستاذ روبك : ليس فى ذلك شىء... أى شىء؛ عندنا نحن الفنانين (يُغيّر نغمة صوته) والآن... هل لى أن

أجسر وأتساءل، كيف كان يمكن أن أعرف أنها
فى هذا المكان؟

مايا : أوه، ربما رأيت اسمها فى إحدى قوائم الزوار...
فى صحيفة ما.

الأستاذ روبك : ولكنى لم أكن أعلم شيئاً عن الاسم الذى جاءت به،
ولم أسمع قط بالهر فون ساتو.

مايا : (تتظاهر بالتعب) أوه، إذن فربما دعاك سبب آخر
إلى القيام بهذه الرحلة.

الأستاذ روبك : (فى جد) نعم، يا مايا. كانت لسبب آخر، سبب
مختلف تماماً، وهذا ما يجب أن نجلوه إن أجلاً
وإن عاجلاً.

مايا : (فى نوبة من الضحك المكتوم) يا إلهى، ما أعظم ما
يبدو عليك من الرزانة والجلال!

الأستاذ روبك : (ينظر إليها فى شك) نعم، وربما كان قَدراً من
الرزانة أكثر مما ينبغى.

مايا : وكيف...؟

الأستاذ روبك : إن هذا أمر مفيد لنا، كليناً.

مايا : بدأت تجعل منى فضولية ومحبة لاستطلاع أمور
الغير يا روبك!

الأستاذ روبك : فضولية فقط؟ ألم تحسى ولو بقليل من القلق؟
مايا : (هزُّ رأسها) مطلقاً.

الأستاذ روبك : حسن، اسمعى إذن... قلتِ يوم أن كنا فى الحمامات إنه يبدو أننى أصبحت عصبياً فى الأيام الأخيرة...

مايا : نعم، كنت عصبياً حقاً.

الأستاذ روبك : وماذا تظنين سبب ذلك؟

مايا : أننى لى بالإجابة؟ (بسرعة) لعلك تعبت من دوام صحبتى.

الأستاذ روبك : دوام صحبتك؟ لماذا لا تقولين صحبتك «الأبدية»؟

مايا : فاتكن صحبتنا اليومية، فمنذ أربع أو خمس سنوات مميتة ونحن نعيش وحيدين، بمفردنا، دون أن نفرق ساعة واحدة. نحن الاثنين، ولا أحد معنا.

الأستاذ روبك : (بسرور) حسن... وبعد؟

مايا : (وكأها مظلومة بعض الشيء) إنك يا روبك لست رجل مجتمعات، إنك تريد أن تظل وحيداً، لا تكشف نفسك لغير نفسك، ولا تعرض على أحد أفكارك، وأنا لا أستطيع بالطبع أن أتحدث معك

عن عملك حديثاً صحيحاً، فإني لا أعرف شيئاً عن
الفن وما هو أشبه بالفن. (بحركة ضيق) ولا أهتم
بهذا الأمر إلا قليلاً!

الاستاذ روبك : حسن، وهذا ما دعانا في أغلب الأحيان إلى
الجلوس حول المدفئة والتحدث عن أعمالك أنت.

مايا : أوه، يا إلهي، ليس لي من الأعمال ما نتحدث عنه.

الاستاذ روبك : لا بأس، ربما كانت أعمالاً تافهة، ولكن الزمن على
كل حال كان يمر علينا في مثل هذه الأشياء يا مايا.

مايا : نعم، أنت على حق، الزمن يمر، إنه يفرُّ منك يا
روبك... وأظن أن هذا هو السبب الحقيقي الذي
جعلك غير مرتاح البال...

الاستاذ روبك : (يومي برأسه موافقاً في حماس) وقلقاً إلى هذا الحد!
(يتلوى في جلسته) لا، سيأتي سريعاً ذلك الوقت
الذي لا أستطيع فيه احتمال تلك الحياة الفظيعة.

مايا : (تنهض وتظل لحظة في وقفها ناظرة إليه) إذا أردت
أن تتخلص مني فما عليك إلا أن تقول ذلك.

الاستاذ روبك : لماذا تستعملين مثل هذه الألفاظ؟ أتخلص منك؟

مايا : نعم، إذا أردت أن تتخلص مني نهائياً فقل ذلك
بصراحة أرجوك، وسأرحل في الحال.

الأستاذ روبك : (بابتسامة لا تكاد ترى) أتقصدين التهديد بهذا القول
يا مايا؟

مايا : لا تهديد فيما قلته.

الأستاذ روبك : (يقف) نعم، أظنك على حق فى ذلك. (بعد فترة
صمت) ليس فى الإمكان أن نستمر أنا وأنت فى
حياة كهذه...

مايا : حسن... وبعد؟

الأستاذ روبك : لا «بعد» فى هذا الأمر. (يضغط على الكلمات)
فليس معنى أننا لا نستطيع الحياة منفردين، أن يتبع
ذلك الافتراق.

مايا : (تبتسم فى احتقار) أتعنى أن نتباعد قليلاً؟

الأستاذ روبك : (يهز رأسه) حتى هذا ليس ضرورياً.

مايا : حسن... قل إذن ما تريد فعله معى.

الأستاذ روبك : (يتردد قليلاً) إن ما أحسه الآن إحساساً عميقاً..

مؤلماً أشد الألم، هو أننى فى حاجة إلى شخص
يقف إلى جانبي، شخص يشدُّ أزرى فى صدق
وإخلاص.

مايا : (تقاطعها فى اهتمام) ألا أفعل أنا ذلك يا روبك؟

الأستاذ روبك : (يشير بيده وكأنه يُبعد شيئاً) ليس بالمعنى الذى أريده، إن ما أريده هو مرافقة شخص آخر يمكنه أن يكملنى... أن يتم الناقص فى... أكون أنا وهو فى عملى شخصاً واحداً.

مايا : (فى بطء) من الصعب حقاً أن أكون لك ذلك.

الأستاذ روبك : أوه، لا، ليس ذلك فى طبيعتك أبداً يا مايا.

مايا : (فى غضب مفاجئ) ويعلم الله أنى لا أريد أيضاً!

الأستاذ روبك : أعرف ذلك معرفة تامة... ولم يخطر لى عندما تزوجتك أن تبذلى لى هذه المساعدة.

مايا : (تنظر إليه متفحصة) أرى فى وجهك أمارات التفكير فى شخص آخر.

الأستاذ روبك : حقاً؟ لم ألاحظ من قبل أنك قارئة أفكار، ولكنك استطعت رؤية ذلك، ألا تستطيعين؟

مايا : نعم أستطيع، أوه، إنى أعرفك جيداً، أعرفك جيداً يا روبك.

الأستاذ روبك : ربما استطعت إذن معرفة من التى أفكر فيها؟

مايا : نعم، أستطيع ولا ريب.

الأستاذ روبك : حسن... أتسمحين بـ...؟

مايا : إنك تفكر فى هذه الـ... هذه النموذج التى عملت

معها مرة... (ترخى العنان لأفكارها فجأة) أتعلم

أن نزلأء الفندق يظنونها مجنونة؟

الأستاذ روبك : حقاً؟ أرجوك إذن أن تخبرينى عن رأى نزلأء

الفندق فىك وفى قائل الدببة.

مايا : لا علاقة لذلك بموضوعنا. (تستمر فى إرخاء العنان

لأفكارها) ولكنك كنت تفكر فى هذه المرأة

الشاحبة...

الأستاذ روبك : (بهدوء) بالضبط، كنت أفكر فيها، فإنها عندما لم

أعد فى حاجة إليها... وعندما فرّت منى أيضاً..

اختفت دون أن تترك كلمة...

مايا : أظنك قبلتنى إذن على أنى نوع من البذل؟

الأستاذ روبك : (يقول إحساسه) إن أردتِ الصديق يا صغيرتى مايا،

فإنه شىء من هذا القبيل؛ فقد عشت هناك وحيداً

مستعرقاً فى التفكير قرابة عام أو عام ونصف،

وفى هذا الوقت أتممت عملى... وأضفت إليه

اللمسة الأخيرة النهائية، وطاف «يوم البعث»

بالعالم كله ثم عاد إلى جالبًا لى الشهرة... وكل ما

يمكن أن يتمناه القلب. (تزداد حماسته) ولكنى لم
أعد أحب عملى، وقد سئمت ما يقوله الناس عن
النبوغ، وضقت بإطرائهم لى، وكدت أندفع فى
يأس لأخفى نفسى فى أعماق الغابات. (ينظر إليها)
وأنت، يا قارئة الأفكار... أيمكنك إخبارى بما
حدث إذ ذاك؟

مايا : (بخفة) نعم، حدث أنك أخذت فى نحت تماثيل
نصفية للرجال والسيدات.

الأستاذ روبك : (بخفة) نعم، حدث أنى أخذت فى نحت تماثيل،
وكنت أضع لهم خلف القناع وجوه حيوانات، كنت
أضعها دون مقابل، وذلك فى أثناء المساومة كما
تعرفين. (يتسّم) ولكنى ما كنت أفكر فى هذا
بالضبط.

مايا : وفيم كنت تفكر إذن؟
الأستاذ روبك : (فى جد مرة أخرى) هذا ما حدث، أحسست أن كل
ما يقال عن دعوى الفنان ورسالته وما أشبه ليس
فى حقيقته إلا شيئاً فارغاً تافهاً لا معنى له.

مايا : وماذا وضعت مكان الرسالة إذن؟

الأستاذ روبك : الحياة يا مايا.

مايا : الحياة؟

الأستاذ روبك : نعم، أليست الحياة تحت أشعة الشمس وبين الجمال
خيرًا ألف مرة من أن يظل الإنسان طول حياته
حتى الموت فى حجر مظلم رطب قذر، يصارع
دائمًا كتل الصلصال وقطع الأحجار؟

مايا : (تسهد بخفة) نعم، هذا بالضبط ما كنت أفكر فيه
دائمًا.

الأستاذ روبك : ثم أصبحت غنيًا بالقدر الذى أستطيع معه أن
أعيش فى رفاهية، وأن أتمتع فى كسل بأشعة
الشمس المرتعشة، وأصبح فى مقدورى أن أشيد
المنزل الخلوى على بحيرة تونتر والقصر الذى فى
العاصمة... إلى آخر ذلك كله.

مايا : (باللهجة التى يتكلم بها) وأخيرًا، وليس آخرًا، كان
فى إمكانك أن تتقدم لخطبتى، وأعطيتنى الحق فى
اقتسام كنوزك معك.

الأستاذ روبك : (يمزح وكأنما يريد تغيير الحديث) ألم أعدك بأن
أصعد معك إلى قمة جبل عال وأريك كل ما فى
العالم من عظمة وبهاء؟

مايا : (بتعبير لطيف) ربما استطعت أن تأخذنى إلى قمة جبل على ارتفاع معقول يا روبك... ولكنك لم ترنى كل ما فى العالم من عظمة وبهاء.

الأستاذ روبك : (يضحك فى ضيق) ما أكثر نهمك يا مايا! أبداً لا تشبعين! (فى غضب وعنف) ولكن أتعرفين أكثر ما يضايق الإنسان يا مايا؟ أتعطيعين معرفته؟

مايا : (فى تحدٍّ هادئ) نعم، أظنه ربَّطُ نفسك بى... مدى الحياة.

الأستاذ روبك : لست أستطيع التصريح بذلك فى قسوة هكذا.

مايا : ولكنك تعنيه بنفس القسوة.

الأستاذ روبك : ليس لديك أى فكرة واضحة عن طبيعة الفنان الداخلية.

مايا : (تبتسم وتَهزُّ رأسها) يا إلهى، وكيف يمكننى ذلك وليس لدى فكرة واضحة عن طبيعتى الداخلية، طبيعتى أنا نفسى.

الأستاذ روبك : (مستمراً وكأنه لم يُقاطِع) إن حياتى تمضى بسرعة هائلة يا مايا، وهكذا تمر حياة الفنانين جميعاً، فأنا من ناحيتى عشت حياة كاملة فى تلك

السنوات القلائل التي تعارفنا فيها، مما أكد لي أنني لم أُخلق لأبحث عن السعادة في اللهو والكسل، إن الحياة في رأيي ورأي أمثالي ليست كذلك، إنما هي عمل مستمر... يجب أن أعمل عملاً بعد آخر... حتى يوم مماتي. (يجبر نفسه على الاستمرار) وهذا هو السبب الذي يمنعني من أن أعيش معك بعد الآن يا مايا، أن أعيش معك وحدك.

مايا : (بهذوء) أتعنى بعبارة صريحة، أنك تعبت مني؟
الأستاذ روبك : (منفجراً) نعم، هذا ما أعنيه! لقد تعبت... تعبت كل التعب وضجرت وانحطت قواي... من هذه الحياة التي أحيها معك! ها قد عرفت الآن. (يضبط زمام نفسه) إن هذه الكلمات التي أستعملها كلمات قاسية جافية، أعلم ذلك جيداً، وأعلم أن لا ذنب لك في الأمر... وإني لأعترف بذلك عن طيب خاطر، كل ما في الأمر أنني أنا وحدي الذي أمرُّ مرة أخرى بثورة... (وكأنه يحادث نفسه).. هي العودة إلى حياتي الحقيقية.

مايا : (تضع يديها على صدرها دون اختيار) أى شىء
إذن فى هذا العالم يمنعنا من أن نفترق؟

الأستاذ روبك : (ينظر إليها فى دهشة) أتقبلين ذلك؟

مايا : (تهزُّ كتفيها) أوه، نعم... إذا لم يكن هناك حل
آخر، فأذن...

الأستاذ روبك : (بشوق) ولكن هناك حل آخر، أحد أمرين...

مايا : (ترفع سبابتها فى وجهه) ها أنت تفكر مرة أخرى
فى السيدة الشاحبة!

الأستاذ روبك : نعم، إن أردتِ الصدق، فأنى منذ أن رأيتها ثانية لم
أستطع منع نفسى من التفكير فيها. (يقترّب منها)
يجب أن أكشف لك الآن سرّاً يا مايا.

مايا : ماذا؟

الأستاذ روبك : (يلمس صدره) هنا، أترين... هنا صندوق مقفل،
مخزون فيه كل خيالات المثال، ولكنها عندما
اختفت ولم تترك وراءها أثراً، أغلق قفل
الصندوق، وكان المفتاح معها... فرحلت وهو
معه... وأنت يا صغيرتى مايا لا مفتاح معك،
وهكذا تظل محتويات الصندوق فى مكانها دون

الانتفاع بها، والسنون تمر! ولا سبيل إلى الوصول إلى الكنز.

مايا : (تحاول أن تخفى بسمه مأكرة) اطلب منها إذن أن تدير لك المفتاح مرة أخرى.

الأستاذ روبك : (غير فاهم) مايا...؟

مايا : لأنها قد أتت الآن، أفهمت؟ ولا ريب أن ما جاء بها هو هذا الصندوق.

الأستاذ روبك : إنى لم أقل لها قط كلمة واحدة عن هذا الموضوع!

مايا : (تنظر إليه ببراءة) يا عزيزى روبك... أتستحق هذه المسألة البسيطة كل ما أثمرته من الضجيج والاضطراب؟

الأستاذ روبك : أنتظنيها مسألة بسيطة هذه البساطة المطلقة يا مايا؟

مايا : نعم، هذا ما أظنه بالتأكيد، فلتتصل بمن ترى أنك فى حاجة إليهم (تومئ برأسها موافقة) وسأحاول دائمًا أن أجد لنفسي مكاناً.

الأستاذ روبك : أين تعنين؟

مايا : (فى موارد و عدم اكتراث) حسن... لن أحتاج إلى أكثر من الذهاب إلى منزلنا الخلوى إن لزم الأمر.

ولكننا لن نحتاج إلى ذلك، ففي المدينة... في منزلنا الكبير هناك... سنجد مكاناً لثلاثتنا عن طيب خاطر.

الأستاذ روبك : (في شك) أتظنين ذلك يصلح مدى الحياة؟

مايا : (في خفة) حسن إذن... إذا لم يكن يصلح، فلسوف يتبين ذلك... وليس من الخير الكلام في ذلك الآن.

الأستاذ روبك : وماذا نفعل إذن يا مايا إذا تبين أن دوام هذه الحال من المحال؟

مايا : (بغير اهتمام) إذ ذاك يتنحى كلُّ منا عن طريق الآخر... ونفصل نهائياً، وسأجد دائماً شيئاً جديداً لي، في أى مكان في هذه الدنيا، شيئاً طليقاً! حرّاً! حرّاً! لا حاجة بك إلى التفكير في ذلك أيها الأستاذ روبك! (تشير فجأة إلى اليمين) انظر! ها هي ذى قد أتت!

الأستاذ روبك : (يلتفت) أين؟؟

مايا : هناك في السهل، تسير في خطوات واسعة... وكأنها تمثال من الرخام، إنها قادمة من هذا الطريق.

الأستاذ روبك : (يحدد نظره وقد وضع يده فوق عينيه) ألا تبدو وكأنها البعث مجسماً؟ (لنفسه) وهى التى أحللت غيرها محلها، وأرسلت بها إلى عالم الظلال؟! صغتها من جديد... كم كنت مجنوناً!

مايا : ماذا تعنى؟

الأستاذ روبك : (لا يجيب) لا شىء، لا شىء مما يمكن أن تفهميه.

(تتقدم أيرين من الجهة اليمنى، وفى نفس اللحظة يراها الأطفال فيجرون إليها، هاهم الآن قد أحاطوا بها وقد بدت على بعضهم الثقة والراحة بينما تملك البعض الآخر الخوف والجبن، تحادثهم فى خفوت، وتشير إليهم بأن يتزلوا إلى الفندق بينما تستريح هى قليلاً إلى جانب الينوع، يجرى الأطفال على المنحدر نحو الشمال منحرفين قليلاً إلى الخلف، تذهب أيرين إلى الجدار الصخرى وتضع يديها تحت الماء المتساقط لتبريدهما)

مايا : (فى صوت خافت) انزل وحادثها على انفراد يا روبك.

الأستاذ روبك : وأين تذهبين أنت إذن!؟

مايا : (تنظر إليه نظرة ذات معنى) منذ الان سأذهب حيث أريد. (تزل من فوق الأكمة وتقفز عبر الينبوع مستعينة بالعصا، ثم تقف بجانب أيرين) الأستاذ روبك ينتظرك هناك فوق الأكمة يا سيدتى.

أيرين : ماذا يريد؟

مايا : يطلب منك أن تساعديه فى فتح صندوق مغلق.

أيرين : وهل أستطيع مساعدته فى ذلك؟

مايا : قال إنك أنت الوحيدة التى تستطيع.

أيرين : إذن علىّ أن أحاول.

مايا : نعم، يجب عليك يا سيدتى.

(تزل نحو الفندق بعد لحظة قصيرة يتزل الأستاذ

روبك إلى أيرين، ولكنه يقف عند الجانب الآخر

للينبوع)

أيرين : (بعد فترة صمت قصيرة) لقد قالت... المرأة

الأخرى... إنك كنت تنتظرنى.

الأستاذ روبك : قد انتظرتك عامًا بعد عام... دون أن أعرف فى

قرارة نفسى.

أيرين : ما كنت أستطيع المجيء إليك يا أرنولد، إذ كنت راقدة هناك فى القبر نائمة نومًا عميقًا طويلًا مليئًا بالأحلام.

الأستاذ روبك : ولكنك استيقظت الآن يا أيرين!

أيرين : (هزُّ رأسها) مازلتُ أحس بالنوم الثقيل العميق يغمض عيني.

الأستاذ روبك : سترين أن اليوم سيبرز فجره ويضىء لنا كلينا.

أيرين : لا تصدق ذلك.

الأستاذ روبك : (فى إلحاح) بل إنى واثق به! وأدركه! الآن وقد وجدتك ثانية...

أيرين : وقد قمت من القبر.

الأستاذ روبك : فى صورة أخرى!

أيرين : قمت فقط يا أرنولد، ولكنى لم أتعير.

(يعبر الينبوع إليها معتمدًا على قطع من

الأحجار تحت مسقط المياه)

الأستاذ روبك : أين كنت طوال اليوم يا أيرين؟

أيرين : (مشيرة) بعيدًا، بعيدًا فوق المرتفعات، فى البرية الشاسعة الصامتة.

الأستاذ روبك : (يغير الحديث) ليس معك... صديقتك اليوم كما أرى.

أيرين : (تبتسم) إن صديقتي تراقبني دائماً بعين يقظة ولا تغفل لحظة.

الأستاذ روبك : وهل تستطيع؟

أيرين : (تنظر حوالها خفية) تأكد أنها تستطيع... فى أى مكان أذهب إليه، إننى لم أغب عن نظرها قط.. (تمس) حتى يجىء يوم صيف شمس جميل، فأقتلها.

الأستاذ روبك : أو تفعلين؟

أيرين : بأقصى ما تتصور من لذة... قط... لو أننى أستطيع.

الأستاذ روبك : ولماذا تقتلينها؟

أيرين : لأنها تشتغل بالسحر. (بغموض) يكفى أن تتصور يا أرنولد... أنها حوّلت نفسها إلى خيالى.

الأستاذ روبك : (يحاول تهدئتها) حسن، حسن، لا بأس... يجب أن يكون لكل منا خيال.

أيرين : ولكنى خيال نفسى. (فى هياج) ألا تفهم ذلك؟

الأستاذ روبك : (بحزن) نعم، نعم يا أيرين، أفهم.

(يجلس على حجر إلى جانب ينبوع وتقف

هى وراءه مستندة إلى الجدار الصخرى)

أيرين : (بعد فترة صمت) لماذا تجلس هناك صارفاً نظرك
عنى؟

الأستاذ روبك : (بنعومة وهو يهزُّ رأسه) لست أجسر... لا أجسر
على النظر إليك.

أيرين : لماذا لم تعد تجسر على النظر إلىّ؟

الأستاذ روبك : لأن لك خيالاً يعذبنى ولأن لى ضميراً يُثقل علىّ
حتى ليهلكنى.

أيرين : (تصيح فى فرح وحرية) أخيراً!

الأستاذ روبك : (يقفز) أيرين... ما هذا؟

أيرين : (تشير إليه) لا تتحرك، ظل هادئاً، هادئاً! (تنفس

نفساً عميقاً وتقول وكأنها خففت عن نفسها حملاً)

والآن! الآن وقد تركونى أذهب فى هذه المرة...

يمكننا الآن أن نجلس ونتحدث كما اعتدنا... عندما

كنت حية.

الأستاذ روبك : أوه، لو نستطيع فقط التحدث كما اعتدنا.

أيرين : اجلس هناك كما كنت تجلس، وسأجلس إلى جانبك هنا.

(يجلس ثانية وتجلس هي على حجر آخر قريب منه. بعد فترة صمت قصيرة)

أيرين : ها قد عدت إليك مرة أخرى من أبعد المناطق يا أرنولد.

الأستاذ روبك : نعم، حقاً، من رحلة لا نهائية.

أيرين : عدت ثانية إلى وطني، إلى سيدي ومولاي...

الأستاذ روبك : إلى وطننا... موطننا الخاص يا أيرين.

أيرين : هل كنت تنتظر عودتي كل يوم؟

الأستاذ روبك : هل كنت أجرؤ على البحث عنك؟

أيرين : (تنظر إليه نظرة جانبية) كلا، أظنك لم تكن تجرؤ، لأنك لا تفهم شيئاً.

الأستاذ روبك : أمن الحق أن اختفائك الفجائي بهذه الطريقة كان من أجل إنسان آخر؟

أيرين : ألا يمكن كذلك أن يكون من أجلك أنت يا أرنولد؟

الأستاذ روبك : (ينظر إليها في شك) أنا لا أفهمك!

أيرين : عندما خدمتك بروحى وجسدى... وعندما انتهى التمثال... ابننا كما كنت تسميه... عندئذٍ طرحت على قدميك أثنى التضحيات جميعاً... وهى أن أمحو نفسى من دنياك إلى الأبد.

الأستاذ روبك : (يحن رأسه) وتتركين حياتى فارغة ضائعة.

أيرين : (فى انفعال مفاجئ) هذا بالضبط ما أردته! أبداً، أبداً لن تستطيع خلق شىء آخر... بعد خلقك طفاننا الوحيد.

الأستاذ روبك : أكان ما يقودك إذ ذاك هو الحسد؟

أيرين : أظنها عاطفة أميل إلى الكراهية.

الأستاذ روبك : الكراهية؟ كراهيتى؟

أيرين : (فى حماسة مرة أخرى) نعم أنت، الفنان الذى أخذ دون مبالاة ولا اهتمام جسداً حار الدماء، حياة إنسانية شابة، وانتزع منها الروح... لأنك كنت فى حاجة إليها فى عمالك الفنى.

الأستاذ روبك : وتستطيعين قول ذلك... أنت التى انغمست فى عملى بعاطفة مقدسة وفرح جارف؟ ذلك العمل الذى كنا نجتمع من أجله كل صباح وحدثنا وكأننا نتعبد.

أيرين : (برود كما كانت قبلاً) سأخبرك بشيء واحد يا
أرنولد.

الأستاذ روبك : ماذا؟

أيرين : إننى لم أحب فنك قط، لا قبل مقابلتك ولا بعدها.

الأستاذ روبك : ولكن الفنان يا أيرين؟

أيرين : الفنان؟ إنى أكرهه.

الأستاذ روبك : والفنان الذى فى داخلى أيضاً؟

أيرين : والذى فى داخلك أكثر من أى إنسان آخر، عندما

تعريت ووقفت أمامك، إذ ذاك كرهتك يا أرنولد...

الأستاذ روبك : (بحرارة) هذا ما لم يكن قط يا أيرين! لست صادقة

فى ذلك!

أيرين : كرهتك لأنك استطعت الوقوف هناك رابط الجأش.

الأستاذ روبك : (يضحك) رابط الجأش؟ أتظنين ذلك؟

أيرين : دون أن تفقد زمام نفسك مطلقاً على أى حال،

ولأنك كنت فناناً، وفناناً فقط، ولم تكن رجلاً!

(بصوت مملوء بالحرارة والعاطفة) ولكن ذلك التمثال

الساكن المصنوع من الصلصال الرطب... هذا

التمثال هو الذى أحببته، أحببته وهو يتكامل على

هيئة مخلوق إنسانى حى من بين تلك الكتل التى لا

شكل لها ولا هيئة... ذلك لأنه كان من خلقنا، كان طفلنا، كان طفلى وطفلك.

الأستاذ روبك : (في حزن) كان كذلك عن صدق وطيب قلب.

أيرين : دعنى أخبرك يا أرنولد، أنتى ما قمت بهذه الرحلة الطويلة إلا من أجل طفلنا هذا.

الأستاذ روبك : (يقف فجأة) من أجل التمثال؟

أيرين : سمّه ما شئت، ولكنى أسميه طفلنا.

الأستاذ روبك : وتريدى الآن رؤيته، وقد انتهى، منحوتًا فى

الرخام الذى كنت ترين دائماً أنه بارد شديد

البرودة؟ (بشوق) لعلك لا تعرفين أنه مقام فى أحد

متاحف العالم العظيمة، بعيدًا جدًا عن هنا؟

أيرين : سمعت عنه بعض القصص.

الأستاذ روبك : وكانت المتاحف دائماً شيئاً مخيفاً لك، كنت تسميها

أقبية القبور.

أيرين : سأقوم برحلة إلى حيث روحى وروح طفلى

مدفونتان.

الأستاذ روبك : (فى ضيق وخوف) يجب ألا ترى هذا التمثال مرة

أخرى! أسمعين يا أيرين؟ أتوسل إليك... ألا ترىّه

أبدًا، أبدًا!

أيرين : لعلك تظن فى ذلك موتًا آخر لى؟

الأستاذ روبك : (يعصر يديه) أوه، لا أدري ماذا أظن... ولكن كيف كان يمكننى أن أتصور أن كل أفكارك ستتعلق بهذا التمثال دون أن تتحول عنه؟ أنت يا من تركتتى... قبل أن يتم.

أيرين : كان قد تم، وهذا ما دعانى إلى أن أبتعد عنك... وأتركك وحيداً.

الأستاذ روبك : (يجلس واضعاً مرفقيه على ركبتيه ويديه على عينيه وهو يهز رأسه يمنة ويسرة) لم يكن إذ ذاك ما صار إليه بعد ذلك.

أيرين : (بهدوء ولكن بسرعة كالبرق تُخرج من صدرها خنجراً حاداً حتى منتصفه وتسال هامسة فى صوت خشن) أرنولد... أحدثت أى ضرر بطفلنا؟

الأستاذ روبك : (فى مواربة) ضرر؟ كيف لى بمعرفة ما ستطلقينه على ما فعلته؟

أيرين : (مبهورة الأنفاس) خبرنى فى الحال، ماذا فعلت بالطفل؟

الأستاذ روبك : سأخبرك إن جلست واستمعت فى هدوء إلى ما أقول.

أيرين : (تخفى الخنجر) سأسمع فى هدوء قدر ما تستطيع
الأم عندما...

الأستاذ روبك : (مقاطعاً) وعليكِ ألا تنظري إلىّ وأنا أنبيكِ بذلك.

أيرين : (تتحرك نحو حجر خلف ظهره) سأجلس هنا خلفك.
الآن، خبرنى.

الأستاذ روبك : (يرفع يديه من فوق عينيه ويحملك فى الفضاء أمامه)
عندما وجدتكِ عرفت فوراً كيف أستغلك فى عمل
حياتى.

أيرين : عمل حياتك الذى سميته «يوم البعث» والذى أسميته
أنا «طفلنا».

الأستاذ روبك : كنت حدثاً إذ ذاك.. لا تجارب لى فى الحياة،
وكنت أظن أن أجمل وأصدق تمثيل للبعث أن
أظهره فى صورة امرأة شابة جميلة... لا تجارب
لها فى الحياة... تستيقظ للنور والمجد دون حاجة
إلى انتزاع أى قبيح دنس منها.

أيرين : (بسرعة) نعم، وهل أقف كذلك الآن فى عملنا؟

الأستاذ روبك : (بتردد) ليس تماماً يا أيرين.

أيرين : (فى انفعال متزايد) ليس تماماً؟ ألا أقف كما اعتدت
الوقوف أمامك؟

الأستاذ روبك : (دون أن يجيب) فى السنوات التى تلت ذلك يا أيرين تعلّمت حكمة الحياة، فرأيت بفكرى أن «يوم البعث» شىء أكثر من ذلك، شىء أكثر تعقيداً، ولم تعد القاعدة المستديرة الصغيرة التى كان تمثالك يقوم عليها وحده... لم تعد تكفى بعد ذلك كل القطع التى أردت أن أضيفها.

أيرين : (تتحسس خنجرها ولكنها ترفع يدها دون إخراجها) أى قطع أضفتها بعد ذلك؟ خبّرنى!

الأستاذ روبك : صوّرت كل ما رأيته عيناي حولى فى هذا العالم، لقد كان علىّ أن أضيف هذا كله، ولم أكن أستطيع الامتناع عن ذلك يا أيرين، فزدت القاعدة، جعلتها متسعة رحبة، ووضعت عليها قطاعاً من الأرض الملثوية المتصدّعة، وقد خرجت متراكمة من هذا الصدع جماعة من الرجال والنساء لها وجوه حيوانات مبهمة، الرجال والنساء... كما عرفت حقيقتهم فى الحياة.

أيرين : (فى شكٍّ مكتوم) ولكن المرأة الشابة تقف وسط هذا الحشد متألقة فرحة بالنور؟.. ألا أقف كذلك يا أرنولد؟

الأستاذ روبك : (في مواربة) ليس فى الوسط تماماً، إذ كان على سوء الحظ أن أرجع هذا التمثال إلى الخلف قليلاً، تحرياً للأثر العام كما تعرفين، وإلا طغى على الجميع أكثر مما ينبغى.

أيرين : ولكن الفرع بالنور ما زال يشع من وجهى؟
الأستاذ روبك : نعم، يشع يا أيرين... من ناحية، ربما كان أخف قليلاً.. كما تتطلب فكرتى الجديدة.

أيرين : (تنهض فى هدوء) هذه الصورة تعبّر عن الحياة كما تراها الآن يا أرنولد.

الأستاذ روبك : نعم، أظنها كذلك.

أيرين : وكنت مضطراً فى هذه الصورة إلى إرجاعى إلى الخلف وإلى تخفيف الإضاءة عنى قليلاً... كى أصبح قطعة خلفية... أو ظهارة فى مجموعة. (تخرج سكينها).

الأستاذ روبك : ليست قطعة خلفية، غاية ما يمكن قوله إنها ليست فى المقدمة تماماً، أو شيئاً من هذا القبيل.

أيرين : (همس فى خشونة) ها قد حكمت بالهلاك على نفسك. (ترفع يدها لتضربه)

الأستاذ روبك : (يلتفت ناظرًا إليها) الهلاك؟

أيرين : (تحفى الحنجر بسرعة وتقول كأنما داهمها الألم) لقد كانت روحى بأكملها... وأنت وأنا... نحن، نحن، نحن وطفلك، كنا فى هذا التمثال الفريد.

الأستاذ روبك : (فى شوق وهو يرفع قبعته ويجفف نقط العرق إلى تجمعت على جبهته) نعم، ولكن دعينى كذلك أخبرك كيف مثلت نفسى فى هذه المجموعة، فى الجزء الأمامى، إلى جانب ينبوع.. مثل هذا ينبوع.. يجلس رجل مثقل بالذنوب، لا يعرف كيف يتحرر تمامًا من هذه الأرض، وقد سميته الندم على حياة الإفراط، وكان يغمس أصابعه فى الماء الجارى.. لينظفها. ولكنه يتألم ويتعذب بفكرة أنه، لن ينجح أبداً، أبداً فى ذلك، وأنه لن ينال أبداً، مهما امتد به الأمد، الحرية والحياة الجديدة، وأنه سيظل إلى الأبد سجين جحيمه.

أيرين : (بشدة وبرود) شاعر!

الأستاذ روبك : شاعر؟ لماذا؟

أيرين : لأنك بليد الأعصاب، مؤك الغفران لكل ما ارتكبت من الخطايا بالنية أو بالفعل، لقد قتلت روحى... ولذا صورت نفسك نادماً مقراً بذنوبك كارهاً للخطيئة.. (تبسم).. وتعتقد أنك بذلك قد تطهرت.

الأستاذ روبك : (متحدياً) إنى فنان يا أيرين، ولن يخجلنى أن تبدو نفسى فى مظهر من ضعف الإرادة، لأنى ولدت لكى أكون فناناً، أتفهمين؟ ولن أكون شيئاً آخر مهما فعلت.

أيرين : (تتظر إليه وعلى فمها ابتسامة خبيثة خفية، وتقول فى لطف ونعومة) إنك شاعر يا أرنولد (تربت على شعره بلطف) أيها العزيز العظيم، أيها الرجل الطفل.. أمن الممكن أنك لم تستطع إدراك ذلك؟

الأستاذ روبك : (فى غضب) لماذا تكثرين من نعتى بالشاعر؟

أيرين : (وقد بدا الشر فى عينيها) لأن فى هذه الكلمة شيئاً من العذر لك يا صديقى. شيئاً يوحى بغفران الخطايا.. والتغاضى عن ضعف الإرادة (تغير نغمة صوتها فجأة) ولكنى أنا - إذ ذاك - كنت كائناتاً إنسانياً! وكانت لى أيضاً حياة لأحيائها.. وغرض

إنسانى لأثمه، وكل هذا تركته، ولتعلم ذلك...
قذفت به كله بعيداً، لأكون أمةً لك. أوه، كان ذلك
قتلاً لنفسى... خطيئة مميتة ضد نفسى! (فى شبه
همس) ولن أغفر لنفسى هذه الخطيئة (تجلس
بالقرب منه على حافة الينبوع وهى ترقبه مراقبة
دقيقة غير منظورة، ثم تترع من الأشجار التى حولها
بعض الأزهار فى شبه شرود، ثم تضبط عواطفها
ضبطاً ظاهراً) كان واجباً علىّ أن أخرج لهذا العالم
أطفالاً.. أطفالاً عديدين، أطفالاً حقيقيين..، ليسوا
كهؤلاء الأطفال الموضوعين فى أقبية القبور. هذه
كانت وظيفتى، وما كان لى أن أخدمك أيها الـ...
شاعر.

الأستاذ روبك : (بهيم فى التفكير) ولكنها كانت أياماً جميلة يا
أيرين، أياماً جميلة رائعة، كما أسترجعها الآن.
أيرين : (تنظر إليه وعلى وجهها تعبير لطيف) أتذكر تلك
الكلمة الصغيرة التى قلتها... عندما انتهيت...
انتهيت منى ومن طفلنا؟ (تومئ إليه برأسها) أتذكر
هذه الكلمة الصغيرة يا أرنولد؟

الأستاذ روبك : (ينظر إليها في تساؤل) أقلتُ وقتذاك كلمة صغيرة
لا زلت تذكرينها؟

أيرين : نعم، هذا ما حدث، ألا تستطيع أن تذكرها؟
الأستاذ روبك : (يهزُّ رأسه) لا، لا أستطيع أن أتذكرها، ليس في
هذه اللحظة على أي حال.

أيرين : أخذت يديَّ الاثنتين وضغطتهما في حرارة، بينما
وقفت أنا منتظرة وقد حبست أنفاسي، ثم قلت لى
«والآن يا أيرين، إنى أشكرك من كل قلبي، فقد
كانت هذه الفترة قصة استطراذية هامة لا
تقدَّر بثمن».

الأستاذ روبك : (ينظر إليها في شك) أقلتُ «قصة استطراذية»؟
فإنى لم أعتد استعمال هذه الكلمة.

أيرين : نعم، قلت ذلك.

الأستاذ روبك : (متظاهراً بالفرح) حسن، حسن. إنها كانت على أية
حال قصة استطراذية حقاً.

أيرين : (بجفاف) عندما سمعت هذه الكلمة تركتك.

الأستاذ روبك : إنك دائماً يا أيرين تنظرين إلى الأشياء من ناحيتها
المؤلمة.

أبرين : (تمسح جبهتها بيدها) ربما كنت محققاً، دعنا إذن نبعد عنا كل هذه الأمور التي تؤلم القلب (تنزع أوراق زهرة جبلية وترميها في ينبوع) انظري يا أرنولد، ها هي ذى طيورنا تسبح.

الأستاذ روبك : أى نوع من الطيور هي؟

أبرين : ألا ترى؟ إنها طيور البشاروش بالطبع، أليست وردية اللون؟

الأستاذ روبك : ولكن البشاروش لا يعوم، إنما يخوض الماء فقط.

أبرين : ليست إذن طيور البشاروش، بل طيور النورس.

الأستاذ روبك : نعم، ربما كانت طيور النورس ذات المناقير الحمراء (يتزع أوراقاً خضراء عريضة، ويرميها في ينبوع) ها قد أرسلت الآن سفنى وراءها.

أبرين : ولكن حذار أن يكون على ظهرها صيادون.

الأستاذ روبك : لا، لن يكون عليها صيادون (بيتسم لها) ألا تذكرين ذلك الصيف الذى اعتدنا أن نجلس فيه جلستنا هذه خارج كوخ الفلاح الصغير على حافة بحيرة تونتز؟

أبرين : (تخني رأسها) فى أمسيات السبت، نعم. عندما كنا ننتهى من عملنا الأسبوعى.

الأستاذ روبك : ثم نستقل القطار فى طريقنا إلى البحيرة؛ لننظر
هناك طوال يوم الأحد.

أيرين : (تبدو فى عينيها نظرة بغضٍ شريفة) لقد كانت قصة
استطردادية يا أرنولد.

الأستاذ روبك : (وكأنه لم يسمع) وكنت إذ ذاك أيضًا ترسلين
طيورًا لتعوم فى الماء، كانت زنابق مائبة تلك
التي...

أيرين : كانت بجعات بيضاء.

الأستاذ روبك : أذكر، بجعات، نعم، وإنى لأذكر أننى ربطت مرة
ورقة شجر متغضنة بإحدى البجعات قيّدت كأنها
أوراق شجر رأس الحمام الشائك...

أيرين : ثم تحولت إلى قارب من زهر اللونجرين... قد
ربطت فيه البجعة.

الأستاذ روبك : كم كنت شغوفة بهذه اللعبة يا أيرين.

أيرين : لقد لعبناها مرارًا كثيرة بعد ذلك.

الأستاذ روبك : كل سبت، كما أتذكر... طوال الصيف.

أيرين : كنت تقول إنى البجعة التى تقود قاربك.

الأستاذ روبك : هل كنت أقول ذلك؟ نعم، ربما كنت قلته. (منغمساً في اللعبة) انظري الآن كيف تعوم طيور النورس مع التيار!

أيرين : (تضحك) وقد جنحت كل قواربك نحو الشاطئ.
الأستاذ روبك : (يرمي أوراقاً أخرى في الينبوع) عندي كثير من القوارب الاحتياطية. (يتبع الأوراق بنظراته وهو يُلقى غيرها في الجدول ثم يقول بعد فترة صمت) أيرين... لقد اشتريت كوخ الفلاح الصغير المجاور لبحيرة تونتر.

أيرين : هل اشتريته؟ لقد كنت تُكثِر من القول إنك ستشتريه إذا استطعت دفع ثمنه.

الأستاذ روبك : وقد جاء اليوم الذي استطعت أن أدفع فيه ثمنه بسهولة، فاشتريته.

أيرين : (تنظر إليه نظرة جانبية) وهل تعيش الآن إذن في منزلنا القديم؟

الأستاذ روبك : لا، فقد هدمته منذ زمن طويل وبنيت مكانه داراً خلوية كبيرة جميلة مريحة، تحيطها الحدائق، وهناك ن... (يتوقف ويصحح ما يقول) أعيش في الصيف عادة.

أيرين : (تتمالك نفسها) إذن فأنت و... والمرأة الأخرى
تعيشان فيها الآن؟

الأستاذ روبك : (في شبه تحدّ)، نعم، عندما لا نسافر أنا وزوجتي...
كما فعلنا هذا العام.

أيرين : (تنظر أمامها إلى الأفق البعيد) كانت الحياة جميلة،
جميلة على ضفاف بحيرة تونتز.

الأستاذ روبك : (وكأنما يرى أشباح الماضي) ومع ذلك يا أيرين...

أيرين : (تتمم ما يفكر فيه) ومع ذلك تركنا هذه الحياة تفرّجاً
منأً بكل ما فيها من جمال.

الأستاذ روبك : (بنعومة وسرعة) هل جاءت التوبة متأخرة الآن؟

أيرين : (لا تجيب وتجلس صامتة لحظة ثم تشير إلى
المرتفعات) انظر هناك يا أرنولد... ها هي ذى
الشمس تغرب فوق القمم، انظر كيف تتوهج
الأشعة الحمراء فوق التلال المعشوشبة هناك.

الأستاذ روبك : (ينظر حيث تشير) منذ زمن طويل لم أر غروب
الشمس فوق الجبال.

أيرين : وشروقها؟

الأستاذ روبك : أظننى لم أر قط شروق الشمس.

أيرين : (تبتسم وكأنما تاهت في الذكريات) رأيت أنا مرة
شروقاً جميلاً رائعاً.

الأستاذ روبك : حقاً؟ وأين كان ذلك؟

أيرين : فى أعلى، فى أعلى نقطة من قمة جبل عال... لقد
غررت بى حتى صعدت هناك حيث وعدتني أن
ترينى كل ما فى العالم من عظمة وبهاء، إذا أنا...
(تسكت فجأة).

الأستاذ روبك : إذا أنت... ماذا؟

أيرين : فعلت ما قلته لى... فذهبت معك إلى المرتفعات
حيث ركعت على ركبتى وعبدتك وخدمتك.
(تصمت لحظة ثم تقول فى نعومة) إذ ذاك رأيت
الشروق.

الأستاذ روبك : (يغير مجرى الحديث) ألا تحبين أن تأتى لتعيشى
معنا فى تلك الدار الخلوية هناك؟

أيرين : (تنظر إليه فى احتقار) معك... ومع المرأة الأخرى؟

الأستاذ روبك : (فى إلحاح) معى... كما كنا فى أيام الخلق، فإنك
تستطيعين إخراج كل ما هو مغلق فى، ألا تحسّين
بذلك فى أعماق قلبك يا أيرين؟

أيرين : (هز رأسها) لم يعد المفتاح الذى تحتاجه معى يا
أرنولد.

الأستاذ روبك : بل لديك المفتاح! أنت، وأنت وحدك التى تملكينه!
(متوسلاً) ساعدينى، ساعدينى على أن أحيا حياتى
مرة أخرى!

أيرين : (لا تتحرك كما كانت قبلاً) أحلام فارغة! أحلام
فجة... ميةة. فلا بعث للحياة التى عشناها أنت
وأنا.

الأستاذ روبك : (يسكنها بجفاف) إذن دعينا نستمر فى اللعب.

أيرين : نعم، اللعب، اللعب... ولا شىء غير اللعب!

(يأخذان فى قذف أوراق الشجر وأوراق
الورد فى الينوع حيث تعوم مع التيار من الخلف
عند الناحية اليسرى يصعد أولفهايم ومايا فى ثياب
الصيد، يتبعهما الخادم حاملاً سلاسل الكلاب،
فيذهب بها إلى اليمين حيث يختفى)

الأستاذ روبك : (يراهما) آه! ها هى ذى مايا الصغيرة تخرج مع
صائد الدببة.

أيرين : امرأتك؟ نعم.

الأستاذ روبك : أو امرأة الآخر .

مايا : (تنظر حولها في أثناء عبورها المرتفع فتري الاثنين

جالسين إلى الينبوع فتصيح) ليلة سعيدة يا أستاذ!

احلم بي؛ فإنى ذاهبة الآن إلى مغامراتى!

الأستاذ روبك : (يصيح) وما الغرض من هذه المغامرة يا ترى؟

مايا : (تقترب) إنى ذاهبة لأحيا حياتى كما يحيا

الآخرون .

الأستاذ روبك : (بسخرية) آها! إذن ستفعلين أنت أيضاً ذلك يا

صغيرتى مايا؟

مايا : نعم، وقد نظمت شعراً فى ذلك يُغنى هكذا

(تغنى فى نصر).

أنا حرة..، أنا حرة، أنا حرة..

حياتى لن تطيق السجن بعد اليوم فى عمره

أنا كالطير رفاقاً، سأحيا مثله حرة

ذلك لأنى أعتقد أنى استيقظت الآن... أخيراً.

الأستاذ روبك : يبدو ذلك .

مايا : (تأخذ نفساً عميقاً) أوه، كم يحس الإنسان بالفرح

السماوى عندما يستيقظ!

الأستاذ روبك : ليلة سعيدة أيتها العروس مايا... وحظًا سعيدًا
لـ...

أولفهايم : (يصيح في صوت الأمر) شوشو! انتهوا بحق
الشیطان من تمنياتكم المعسولة هذه، ألا ترون أننا
ذاهبان للصيد...

الأستاذ روبك : وماذا عساك تحضرين لى عند عودتك من الصيد
يا مايا؟

مايا : سيكون لك أحد الطيور الجارحة لتصنع له تمثالاً،
سأرسل لك واحداً بسرعة.

الأستاذ روبك : (يضحك فى سخرية ومرارة) نعم، نعم، إنك تفعلين
كل شيء بسرعة... دون أن تعرفى ماذا تفعلين...
هذا دائماً كان دأبك.

مايا : (تلقي برأسها إلى الورااء) أوه، كل ما أطلبه أن تدعنى
أعتى بنفسى فى المستقبل، وأتمنى لك إن! (تحنى
رأسها ثم تضحك فى خبث) ليلة سعيدة... ليلة
صيف هادئة سعيدة فوق المرتفع!

الأستاذ روبك : (فى مزاح) شكرًا! وكل الحظ السيئ الذى فى العالم
لك ولصيدك!

أولفهايم : (يزأر بالضحك) والآن ها هي ذى أمنية تستحق أن
تُلَبَّى!

مايا : (تضحك) شكراً، شكراً، شكراً يا أستاذ!
(يكونان قد تركا الجزء الظاهر من المرتفع إلى
الشجيرات اليمنى فيسيران خلالها)

الأستاذ روبك : (بعد فترة صمت) ليلة صيف فوق المرتفع! نعم
هذه هي الحياة!

أيرين : (فجأة وقد بدا في عينيها تعبير وحشى) ألا تقضى
ليلة صيف فوق المرتفع... معى؟

الأستاذ روبك : (يفتح ذراعيه) نعم، نعم... هيا!

أيرين : سيدى ومولاى المعبود!

الأستاذ روبك : أوه، يا أيرين!

أيرين : (بصوت خشن وهى تبتسم وتتحسس صدرها) لن

تكون قصة استطرادية... (هههه بسرعة) شو! لا

تنظر حولك يا أرنولد!

الأستاذ روبك : (فى همس أيضاً) ماذا هناك؟

أيرين : وجه يحملق فىّ.

الأستاذ روبك : (ينظر حوله دون إرادة) أين؟ (فى خوف) آه!

(يبدو جزء من وجه الراهبة بين الشجيرات

اليسرى وهى تثبت أنظارها على أيرين ولا تحوّلها

عنها)

أيرين : (تنهض وتقول فى نعومة) إذن علينا أن نفرّق؟ لا،

عليك أن تبقى جالسًا، أسمع؟ يجب ألا تذهب

معى. (تنحنى ناحيته وهمس) حتى نلتقى ثانية،

الليلة، فوق المرتفع.

الأستاذ روبك : وستأتين يا أيرين!

أيرين : نعم، سأتى ولا ريب، انتظرنى هنا.

الأستاذ روبك : (يعيد كالحالم) ليلة صيف فوق المرتفع، معك،

معك. (تلتقى عيناه بعينها) أوه، يا أيرين... هذه

هى الحياة التى يجب أن نحيها، وهى التى فرطنا

فيها، نحن الاثنين.

أيرين : إنّا لا نرى الأشياء التى لا يمكن أن تعوّض إلا

عندما... (تسكت).

الأستاذ روبك : (ينظر إليها فى تساؤل) عندما...؟

مايا : عندما نبعث نحن الموتى.

الأستاذ روبك : (يهزُّ رأسه فى حزن) ما الذى نراه حقيقة إذ ذاك؟

أيرين : نرى أننا لم نعش أبداً.

(تذهب نحو المنحدر وتبدأ في النزول
فتفسح الراهبة طريقاً لها ثم تتبعها، بينما يظل
الأستاذ روبك دون حراك إلى جانب الينبوع)

مايا : (يسمع صوت غنائها المنتصر بين الآكام)

أنا حرة، أنا حرة، أنا حرة

حياتي لن تطيق السجن بعد اليوم في عمره

أنا كالطير رفاقاً، سأحيا مثله حرة

«ستار»

الفصل الثالث

المنظر:

(جانب من جوانب جبل مشرف على البحر، في الخلف قطع عمودي، إلى اليمين قمم مغطاة بالثلوج يخفى الضباب بعض أجزائها. إلى اليسار كوخ مقام على صخرة تحت الجبل وقد كاد يتهاوى. الصباح المبكر وقد بدأ الفجر يطلع ولكن الشمس لم تظهر بعد.

تنزل مايا من الصخرة اليسرى في خجل وضيق، ويتبعها أولفهايم بين الغضب والضحك فيقبض على كمها بشدة)

مايا : (تحاول أن تتخلص منه) دعنى! قلت لك دعنى!

أولفهايم : صه صه! هل بدأت تعضين الآن؟ إنك أشد نهشا من الثعالب.

مايا : (تضربه على يده) قلت لك دعنى! وكن هادئا!

أولفهايم : لا، وعلى اللعنة إن فعلت!

مايا : لن أسير معك إذن خطوة أخرى، أسمع؟... ولا خطوة واحدة!

أولفهايم : هو هو! كيف يمكنك الفرار منى، هنا، فى هذا

الجانب الموحش من الجبل؟

مايا : سأقفز فى هذه الوهدة إن احتاج الأمر.

أولفهايم : لتختاط أعضاءك وتتحطم وتصنعى من نفسك

طعاما للكلاب! لقمة سائغة! (يتركها) كما تريد،

اقفزى إلى الهاوية إن أردت، وستكون سقطة

طائشة، فليس للنزول من هنا إلا طريق ضيق،

وحتى هذا الطريق يكاد السير فيه يكون مستحيلا.

مايا : (تنفض التراب بيدها عن ذيل ثوبها، وتنظر إليه

نظرة غاضبة) حسن، إنك زميل صيد لطيف!

أولفهايم : بل قولى إنى رياضى.

مايا : أوه، أتسمى ذلك رياضة إن؟ تكلم!

أولفهايم : نعم، إنى أستبيح لنفسى هذه الحرية، فإن هذا هو

نوع الرياضة الذى أفضله.

مايا : (ترمى برأسها إلى الورااء) حسن، وهذا هو أنت!

(بعد فترة صمت تنظر إليه متفحصة) لماذا تركت

الكلاب سائبة فى المرتفع هناك؟

أولفهايم : (يغمز بعينه ويتسمم) حتى تصطاد هي الأخرى
كما تريد، ألا ترين ذلك؟

مايا : ليس فيما قلته كلمة صدق واحدة! فلم يكن إطلاقك
الكلاب من أجل الكلاب ذاتها.

أولفهايم : (ما يزال مبتسما) حسن، خبريني إذن لماذا
أطلقتها؟

مايا : أطلقتها لأنك تريد التخلص من لارز، فقد طلبت
منه أن يذهب خلفها ويحضرها، وفي الوقت
نفسه... أوه، ما أبدع تصرفك هذا؟

أولفهايم : فى الوقت نفسه؟

مايا : (تسكته بجفاف) لا يهم!

أولفهايم : (فى صوت الواثق) لن يجد لارز الكلاب، ويمكنك
أن تقضى على ذلك، ولن يعود بها إلا بعد أن
ننتهى!

مايا : (تنظر إليه بغضب) نعم، ربما لا يستطيع.

أولفهايم : (يقبض على ذراعيها) لأن لارز يعرف... طرقى
فى الرياضة، أتفهمين؟

مايا : (تفلت منه وتنظر إليه كأنما تقيسه بنظرها) أتعرف

ماذا تشبه يا مستر أولفهايم؟

أولفهايم : من المحتمل أننى أشبه نفسى كما أظن.

مايا : نعم، إنك صادق كل الصدق فى ذلك، لأنك

الصورة الحية من فونا إله الغابات الرومانى.

أولفهايم : إله الغابات؟

مايا : نعم، تماما كإله الغابات.

أولفهايم : إله الغابات؟! أليس ذلك نوعا من الوحوش؟ أم إنه

نوع من شياطين الغابات كما تسمينه؟

مايا : ليس إلا المخلوق الذى هو أنت، مخلوق له لحيه

وساقا عنزة، نعم، ولإله الغابات قرون أيضا.

أولفهايم : هكذا، هكذا!... وهل له قرون أيضا؟

مايا : نعم، قرنان كثيبان، كقرنيك تماما.

أولفهايم : وهل استطعت رؤية قرني الصغيرين الضعيفين؟

مايا : نعم، يخيل إلى أنى أراهما بوضوح تام.

أولفهايم : (يخرج سلسلة الكلاب من جيبه) يحسن أن أقيدك

إذن.

مايا : أجننت جنونا، طبقا؟ تقيدنى؟

أولفهايم : إذا كنت شيطاناً فلاكن شيطاناً! وهذه هى الطريقة!
تستطيعين رؤية القرون، أليس كذلك؟

مايا : (تهدئه) مهلاً، مهلاً، مهلاً! حاول أن تتصرف بلطف يا مستر أولفهايم. (تغير الموضوع) ولكن ماذا كان مآل قلعة الصيد التى تملكها، والتى افتخرت بها كثيراً؟ لقد قلت إنها قريبة من هذا المكان.

أولفهايم : (يشير إلى الكوخ وهو يهز إصبعة) ها هى ذى أمام ناظريك تماماً.

مايا : (تنظر إليه) حظيرة الخنازير القديمة هذه؟!

أولفهايم : (يضحك لنفسه) لقد آوت أكثر من ابنة ملك، أوكد لك.

مايا : إذن فهنا جاء إلى ابنة الملك فى هيئة دب ذلك الرجل المخيف الذى أخبرتنى عنه؟

أولفهايم : نعم، يا زميلة الصيد الجميلة، هذا هو المكان. (يشير إليها كأنه يدعوها) إذا تكرمت بالدخول.

مايا : والويل لى لو وضعت قدمى مرة فيها، الويل لى.

أولفهايم : أوه، من الممكن أن ينعم اثنان فيها بطيب المنام ليلة بطولها من ليالى الصيف، أو صيفا بطوله إن لزم الأمر!

مايا : شكرا! ولكن ذلك يتطلب من الإنسان أن يكون ذا ذوق جميل جدا. (بضيق) وأنا أصبحت متعبة منك ومن رحلة الصيد، وسأهبط الآن إلى الفندق.. قبل أن يستيقظ نزلأؤه.

أولفهايم : وهل فكرت في طريقة الهبوط من هنا؟

مايا : هذا عمك أنت، فلا بد، على ما أظن، أن يكون هناك طريق ما للهبوط.

أولفهايم : (يشير إلى الخلف) أوه، بالطبع! هناك شبه طريق، يهبط مع هذا الجرف.

مايا : أترى الآن، بقليل من النية الحسنة...

أولفهايم : ولكن حاولي إن جرؤت على النزول منه.

مايا : (في شك) أتظنني لا أستطيع؟

أولفهايم : أبدا لن تستطيعي، إن لم تدعيني أساعدك.

مايا : (في قلق) تعال إذن وساعدني! وهل هناك غرض آخر لوجودك هنا؟

أولفهايم : أتمانعين في أن أحملك على ظهري؟

مايا : ما هذا الكلام الفارغ؟!

أولفهايم : ... أو أن أحملك بين ذراعيّ؟

مايا : ألا تكف عن هذا الهذيان؟

أولفهايم : (في غيظ مكتوم) عثرت مرة بفتاة صغيرة...

فرفعتها من وسط الأوحال وحملتها بين ذراعيّ،
وحملتها قريبا من قلبي، وكنت سأحملها هكذا
طوال العمر... حتى لا تصطدم قدماها مصادفة
بأحد الأحجار، إذ كان حذاؤها عندما وجدتها
خفيفا رقيقا.

مايا : ومع ذلك رفعتها من الأرض وحملتها قريبا من
قلبك.

أولفهايم : التقطتها من البالوعات وحملتها في رفق إلى أعلى
ما أستطيع. (في ضحكة كالزئير) أتعرفين ماذا
كانت جائزتي؟

مايا : كلا، ماذا كانت جائزتك.

أولفهايم : (ينظر إليها مبتسماً وهو يحني رأسه) كانت القرون
جائزتي! القرون التي استطعت رؤيتها واضحة كل
الوضوح، أليست هذه قصة فكاھية يا سيدتي يا
قاتلة الدبية؟

مايا : أوه، نعم، إن فيها من الفكاهة الكافية! ولكنى أعرف قصة أخرى أكثر فكاها منها.

أولفهايم : وما هي؟

مايا : سأقصها عليك، يحكى أن فتاة غبية كانت تعيش مع والديها، فى بيت أختت عليه المتربة والفقير، ثم ظهر وسط كل هذا الفقر سيد رفيع قوى، وأخذ الفتاة بين ذراعيه، كما فعلت... ثم رحل معها بعيدا، بعيدا جدا.

أولفهايم : أكانت تتحرق شوقا إلى الذهاب معه؟

مايا : نعم، لأنها - كما أخبرتك - كانت غبية.

أولفهايم : لا ريب أنه كان شخصا ذكيا جميلا.

مايا : لم يكن رائعا فى جماله، ولكنه ادعى أنه سيأخذها إلى قمة أعلى جبل بين الجبال، حيث لا يغيب النور وضوء الشمس.

أولفهايم : أكان هذا الرجل إذن من سكان الجبال؟ أليس كذلك؟

مايا : نعم، كان كذلك، من وجهة نظره هو.

أولفهايم : وعندئذ صعد مع الفتاة؟

مايا : (تميل رأسها إلى الجانب) لعلك تظنه صعد بها بلطف! أوه، كلا! لقد غرر بها إلى قفص بارد قدر حيث كان يخيل إليها أنه خلو من ضوء الشمس ومن الهواء، وهناك، لم يكن حول الجدران إلا أشباح أناس ضخمة، أشباح متحجرة مموهة بالذهب.

أولفهايم : لياخذنى الشيطان، ولكنها نالت ما تستحقه تماما.

مايا : نعم، ولكن ألا تظن أنها مع ذلك قصة مغرقة فى الفكاهة؟

أولفهايم : (ينظر إليها لحظة) اسمعنى الآن يا زميلة الصيد الطيبة...

مايا : حسن، قل ما تريد.

أولفهايم : ألا يمكننا أن نصل ما بقى من حياتنا الممزقتين؟

مايا : أيرغب صاحب السيادة فى أن يصبح رفاء ملابس؟

أولفهايم : نعم، هذا ما أريد، ألا يجب علينا نحن الاثنتين أن

نضم الخرق هنا وهناك إلى بعضها، لتكون منها شيئا يشبه الحياة الإنسانية؟

مايا : وعندما تتمزق تماما هذه الخرق البالية... ماذا يحدث؟

أولفهايم : (يشير في عنف) إذ ذاك نقف في حرية وهدوء... امرأة ورجلا، كما نحن الآن بالفعل؟

مايا : (تضحك) نعم، أنت بساقيك هاتين اللتين تشبهان ساقى عنزة!

أولفهايم : وأنت بـ... حسن، لنترك هذا.

مايا : نعم، تعال... ودعنا نمر، فوق الصخور.

أولفهايم : قفى؟ إلى أين يا زميلتى؟

مايا : سأنزل إلى الفندق بالطبع.

أولفهايم : وبعد ذلك؟

مايا : وبعد ذلك نفترق في أدب مع تبادل الشكر على هذه الرفقة الطيبة.

أولفهايم : يمكننا أن نفترق نحن الاثنين؟ اتظنيننا نستطيع؟

مايا : نعم، فأنت، كما تعرف، لم تتجح في ربط أسبابي بأسبابك.

أولفهايم : عندى قلعة أقدمها إليك.

مايا : (تشير إلى الكوخ) أهي قلعة مثل هذه القلعة؟

- أولفهايم : إنها لم تتهدم بعد.
- مايا : وربما ستقدم لى أيضا كل ما فى العالم من عظمة
وبهاء؟
- أولفهايم : قلعة قلتُ لكِ.
- مايا : شكرا، فقد جربت القلاع تجربة كافية.
- أولفهايم : ... تحيط بها أرض واسعة للصيد، تمتد أميالا
وأميالا.
- مايا : أفى القلعة أيضا أعمال فنية؟
- أولفهايم : (ببطء) هم، كلا... ليس فيها حقًا أعمال فنية،
ولكن...
- مايا : (فى فرح) آه! هذا أمر طيب على كل حال!
- أولفهايم : أتذهبين معى إذن... إلى أبعد وأطول ما أريد؟
- مايا : هناك فريسة أليفة من الطيور تراقبنى.
- أولفهايم : (بوحشية) سنصيب جناحها برصاصنا يا مايا!
- مايا : (تنظر إليه لحظة ثم تقول فى عزم) تعال إذن
واحملنى إلى أسفل الجبل.
- أولفهايم : (يلف وسطها بذراعه) آن أوان ذلك! فالضباب
فوقنا!

مايا : أفى طريق النزول خطر كبير؟

أولفهايم : ضباب الجبل أكثر خطورة.

(تتركة وتذهب إلى الحافة وتنظر إلى أسفل ثم

تراجع بسرعة)

أولفهايم : (يذهب إليها ضاحكا) ماذا؟ هل أصابك الدوار

من النظر إلى أسفل؟

مايا : (بضعف) نعم، هذا أيضا، ولكن اذهب وانظر

هناك، وستجد هذين الاثنيين صاعدين إلينا...

أولفهايم : (يذهب وينظر من الحافة) ليس إلا الفريسة...

وسيدته الغريبة.

مايا : ألا يمكن أن نمر بهما... دون أن يريانا؟

أولفهايم : محال! فالمر ضيق جدا، وليس هناك من طريق

غيره.

مايا : (تشجع) لا بأس لا بأس... لنواجههما إذن!

أولفهايم : إنك تتكلمين كما لو كنت قاتلة دبية حقيقية أيتها

الزميلة!

(يظهر الأستاذ روبك وأيرين عند الحافة

الخلفية، وقد وضع روبك جاكته على كتفيه، بينما

أَلقتَ أيرين معظفاً من الفرو دون عناية على ثوبها
ولبست فوق رأسها غطاءً من الصوف الناعم)

الأستاذ روبك : (لا يظهر إلا نصفه) حسن يا مايا، لقد التقينا إذن
نحن الاثنين مرة أخرى؟

مايا : (تتظاهر بالبرود) إني في خدمتك، ألا تصعد؟
(يصعد الأستاذ روبك ويمد يده لأيرين
فتصعد هي الأخرى)

الأستاذ روبك : (لمايا ببرود) إذن فقد كنت فوق الجبل طوال
الليل... كما كنا؟

مايا : نعم... كنت أصطاد، فقد أعطيتني إننا بذلك، ألا
تذكر؟

أولفهايم : (يشير إلى أسفل) هل صعدت من هذا الطريق؟
الأستاذ روبك : كما رأيت.

أولفهايم : والسيدة الغريبة أيضاً؟

الأستاذ روبك : نعم، بالطبع (ينظر إلى مايا) وقد قررنا أنا والسيدة
الغريبة ألا نتفرق بنا السبل بعد اليوم.

أولفهايم : ألا تعرف إذن أن الطريق الذي أتيت منه محفوف
بالأخطار المميتة؟

الأستاذ روبك : ومع ذلك فكرنا فى أن نتسلقه، فلم يكن يبدو على كثير من الصعوبة فى البداية.

أولفهايم : نعم، لا شىء يبدو صعبا فى البداية، ولكنك وصلت الآن إلى مكان صعب حيث لا تستطيع التقدم أو الرجوع، وإذ ذاك تظل أيها الأستاذ ثابتا فى مكانك! نحن الصيادين نسمى ذلك وثاق الجبل.

الأستاذ روبك : (يبتسم وينظر إليه) هل أفهم هذه الكلمات على أنها تتبؤات أوحى إليك بها يا مستر أولفهايم؟

أولفهايم : معاذ الله أن أمثل دور الموحى إليه! (فى إلهام وهو يشير إلى المرتفعات العليا) ولكن، ألا ترى أن العاصفة فوقنا؟ ألا تسمع صرير الريح؟

الأستاذ روبك : (يسمع) تبدو كمقدمات يوم البعث.

أولفهايم : إنها صرير الريح فوق القمم يا رجل! ألا ترى كيف تسير السحب وتتحدّر هابطة؟ إنها سرعان ما تحيط بنا وكأنها الأكفان!

أيرين : (فى خوف وارتجاف) أعرف هذه الأكفان!

مايا : (تسحب أولفهايم بعيدا) دعنا نسرع بالنزول.

أولفهايم : (للأستاذ روبك) لن أستطيع مساعدة أكثر من واحد، فاحتم بالكوخ وقت العاصفة، وسأرسل إليكما من يعودون بكما.

أيرين : (في خوف) يعودون بنا! لا، لا!

أولفهايم : (بصوت خشن) ليأخذوكما بالقوة إن احتاج الأمر، فالمسألة هنا مسألة حياة أو موت، وقد عرفتما الأمر الآن. (لمايا) هيا بنا، لا تخافى، ضعى ثقتك فى زميلك، وأسلميه زمام أمرك.

مايا : (تتعلق به) أوه، وكيف، لا أفرح وأغنى إذا نزلت وليس فى جسمى جرح واحد!؟

أولفهايم : (يبدأ فى النزول وهو ينادى الآخرين) ستبقيان فى الكوخ إذن حتى يأتى الرجال بحبالهم ليعودوا بكما. (يحمل مايا ويترل من الحافة فى سرعة وحذر)

أيرين : (تنظر إلى الأستاذ روبك وقد بدا الخوف فى عينيها) أسمع ذلك يا أرنولد؟ سيأتى الرجال ليعودوا بى! رجال كثيرون سيأتون...

الأستاذ روبك : لا تفزعى يا أيرين!

أيرين : (في فرع متزايد) وهى، المرأة ذات الثوب الأسود، ستأتى أيضا، إنها لا بد قد افتقدتتى منذ زمن طويل، وإذ ذاك ستقبض علىّ يا أرنولد! وستضطرنى إلى لبس قميص المجانين. أوه، إنه معها فى صندوقها، وقد رأيتّه بعينى هاتين.

الأستاذ روبك : لن يجسر أحد على لمسك.

أيرين : (بضحكة وحشية) أوه، كلا، فأنا نفسى لدى الوسيلة التى تحمىنى من ذلك.

الأستاذ روبك : أى وسيلة تعنين؟

أيرين : (تخرج الخنجر) هذا.

الأستاذ روبك : (يحاول أخذه) أمعك سكين؟

أيرين : دائما، دائما... ليلا ونهارا... وفى الفراش أيضا!

الأستاذ روبك : أعطنى هذه السكين يا أيرين!

أيرين : (تخفيها) لن تأخذها، فربما وجدت لها نفعاً أنا نفسى.

الأستاذ روبك : أى نفع تجدينه لها هنا؟

أيرين : (تثبت أنظارها عليه) كنت أعدها لك يا أرنولد.

الأستاذ روبك : أنا!

أيرين : عندما كنا جالسين على شاطئ بحيرة تونتز فى
الليلة الماضية...

الأستاذ روبك : على شاطئ بحيرة؟

أيرين : خارج كوخ الفلاح، وكنا نلعب بالبجع وأزهار
الزنبق المائية.

الأستاذ روبك : ماذا إذن ماذا بعد ذلك؟

أيرين : ... وعندما سمعتك تقول بهذا البرود القاتل إننى لم
أكن فى حياتك سوى قصة...

الأستاذ روبك : إنك أنتِ لا أنا التى قلت ذلك يا أيرين!

أيرين : (مستمرة) إذ ذاك أخرجت خنجرى، وكنت أريد أن
أغيبه فى ظهرك.

الأستاذ روبك : (فى إبهام) ولماذا أمسكتِ عن ذلك؟

أيرين : لأنه خطر لى فى الحال، وقد تملكنى الفزع، أنك
ميت... منذ عهد بعيد.

الأستاذ روبك : ميت؟

أيرين : ميت، ميت مثلى تماما، كنا نجلس على شاطئ
بحيرة تونتز، نحن الجسدين الباردين من الطين،
وكنا نلعب سوياً.

- الأستاذ روبك : أنا لا أسمى ذلك موتاً، ولكنك لا تفهميننى.
- أيرين : أين إذن تلك الرغبة المحرقة التى كنت تحاربها وتجاهدها عندما كنت أفق أمامك حرة كالمرأة التى بعثت من الموت؟
- الأستاذ روبك : لا شك أن حبنا لم يمت يا أيرين.
- أيرين : إن الحب المتصل بالحياة الأرضية، الحياة الأرضية الجميلة العجيبة، الحياة الأرضية الغامضة، هذا الحب قد مات فى قلبينا.
- الأستاذ روبك : (بانفعال) ولكن أتعرفين أن هذا الحب بالذات، ما زال يحترق ويغلى فى أحشائى كما لم يكن يغلى من قبل؟
- أيرين : وأنا؟ أنسيت من أكون الآن؟
- الأستاذ روبك : كوني من تكونين أو ما تكونين، فلن أهتم بذلك! فلست عندي إلا تلك المرأة التى أراها عندما أحلم بك.
- أيرين : قد وقفت على منصة النماذج، عارية، وأظهرت نفسى لمئات الرجال، بعدك.
- الأستاذ روبك : إنه أنا الذى دفعك إلى ذلك، كنت إذ ذاك أعمى، أنا الذى رفعت تمثال الطين الميت فوق سعادة الحياة، والحب.

أيرين : (ترخي نظرها) لقد فات الأوان، وضاعت الفرصة!
الأستاذ روبك : كل ما حدث في هذه الفترة لم يخفضك في نظري .
قيد شعرة.

أيرين : (ترفع رأسها) ولا في نظري أنا!
الأستاذ روبك : حسن، ماذا إذن! نحن إذن أحرار، وما زالت أمامنا
فسحة من العمر لنحيا حياتنا يا أيرين.

أيرين : (تنظر إليه بحزن) لقد ماتت في الرغبة في الحياة يا
أرنولد، فما قد بعثت وبحثت عنك حتى وجدتك،
وإذ ذاك رأيت أنك أنت والحياة كليكما ميتان، كما
كنت أرقد أنا ميتة.

الأستاذ روبك : ما أكثر شرودك! فما هي الحياة فينا ومن حولنا
تختلج وتضطرب كما لم تكن من قبل!

أيرين : (تبتسم وتهمز رأسها) المرأة الشابة في تمثالك «يوم
البعث» تستطيع أن ترى الحياة كلها ترقد على
قاعدتها.

الأستاذ روبك : (يطوقها بذراعيه في قوة) إذن دعى اثنين من الموتى،
دعينا نحن الاثنين - نحيا حياتنا مرة لنتمتع بكل ما
فيها، قبل أن ننزل إلى قبورنا مرة أخرى!

- أيرين : (تصرخ) أرنولد!
- الأستاذ روبك : ولكن ليس هنا فى هذا الجو القائم! ليس هنا حيث
يخفق حولنا هذا الكفن المبتل القبيح!
- أيرين : (فى انفعال شديد) لا، لا... إلى أعلى حيث النور،
وحيث المجد الزاهى كله! إلى أعلى، إلى قمة
الموعد!
- الأستاذ روبك : وهناك نقيم احتفالا بزواجنا يا أيرين... أوه
يا حبيبتي!
- أيرين : (بفخر) حيث تشرق علينا الشمس بلا حجاب
يا أرنولد.
- الأستاذ روبك : ستشرق علينا كل قوى الضياء، وكل قوى الظلام
أيضا. (يقبض على يدها) هل تتبعينى إذن؟ أوه، يا
عروسى الظريفة.
- أيرين : (وكأنما تبدلت صورتها) أتبعك بحرية وسرور، يا
سيدى ومولاى!
- الأستاذ روبك : (يسحبها معه) علينا أن نخترق الضباب أولاً يا
أيرين، ثم...

أيرين : نعم، خلال الضباب كله، ثم نتوجه بعد ذلك على الفور إلى قمة البرج الذى يلمع تحت أشعة الشمس.

(تتجمع سحب الضباب فوق المنظر، يصعد الأستاذ روبك وأيرين وقد تماسكا بأيديهما خلال الثلوج المتجمعة فى الناحية اليمنى، وفى الحال تخفيهما السحب المنخفضة، هبات العواصف اللافحة تنوح وتصفر فى الجو. تظهر الراهبة عند الصخرة إلى اليسار، تقف وتنظر حوالىها فى صمت باحثة)

(يمكن سماع صوت مايا المنتصر وهى تغنى من الأعماق)

مايا : أنا حرة، أنا حرة، أنا حرة

حياتى لن تطيق السجن بعد اليوم فى غمرة
أنا كالطير رفاقاً، سأحيا مثله حرة

(يسمع فجأة من فوق الثلوج المتجمعة صوت كالرعد، وتترلق هذه الثلوج وتسقط فى سرعة كبيرة. يمكن رؤية خيال غامض للأستاذ روبك وأيرين وهما يسقطان مع الثلوج ويقعان تحتها فتغطيهما).

الراهبة : (تصرخ وهي تمد يديها نحوها وتصيح) أيرين!
(تقف لحظة صامتة ثم ترسم علامة الصليب في
الفضاء وتقول) السلام لكما!
(ما زال صوت مايا الظافر يسمع من
الأعماق)

«ستار»

چون جابرييل بورکمان

ترجمة: محمود سلمى أحمد

مراجعة: على أدهم

شخصيات المسرحية

- * جون جابرييل بوركمان: مدير بنك سابقاً.
- * السيدة جنهيلد بوركمان: زوجته.
- * إرهارت بوركمان: ابنهما، طالب.
- * الأتسة ألارانتيم: أخت السيدة بوركمان التوأم.
- * السيدة فانى ويلتن.
- * ويلهام فولدول: كاتب صغير فى مكتب حكومى.
- * فريدا فولدول: ابنته.
- * خادمنا السيدة بوركمان.

(تجرى حوادث الرواية فى إحدى أمسيات الشتاء
فى منزل أسرة رانثيم بالقرب من كريستيانيا).

الفصل الأول

المنظر:

(غرفة استقبال مسننر بوركمان.

الغرفة مؤثثة بأثاث من طراز قديم، حالاً
رونقه.

في الخلف باب جرار مفتوح يوصل إلى
شرفة مقفلة ذات نوافذ وباب زجاجي ترى خلاله
منظر الحديقة وقت الشفق والثلوج تتساقط.

إلى اليمين باب يوصل إلى الصالة وفي الجزء
الأمامي من الجانب الأيمن موقد حديدي كبير من
طراز قديم مشعلة فيه النيران.

في الجانب الأيسر إلى الخلف باب صغير
ذو مصراع واحد. وفي نفس الناحية إلى الأمام
نافذة تغطيها ستائر سميقة.

بين الباب والنافذة أريكة من شعر الخيل
وأمامها منضدة مغطاة بمفرش وعليها مصباح له
كمة (أباجورة) وبجوار الموقد كرسي ذو مساند
عالي الظهر.

تجلس السيدة جنهيلد بوركمان على الأريكة وهي منصرفة إلى أشغال الإبرة، وهي سيدة عجوز ذات مظهر متميز بارد وأخلاق صارمة ووجه جامد، شعرها يغلب عليه البياض، ويداها الرقيقتان ناصعتان، وهي تلبس ثوباً سميكاً من الحرير الغامق الذي كان يوماً جميلاً ولكنه الآن قديم رث نوعاً ما، وتضع على كتفها شالا من الصوف.

تجلس بعض الوقت معتدلة متصلبةً منصرفة إلى أشغال الإبرة - ثم يسمع صوت أجراس زحافة مارة.

السيدة بوركمان : (تسمع وقد لمعت عيناها سروراً ثم تقول في حماسة) إرهارت! أخيراً!

(تنهض وتريح الستارة قليلاً لتنظر إلى الخارج، ثم تجلس ثانية على الأريكة متخاذلة، وتستمر في عملها، وبعد قليل تدخل الخادمة من الصالة حاملة بطاقة زيارة على صينية صغيرة)

السيدة بوركمان : (بسرعة) هل جاء السيد إرهارت أخيراً؟

الخادم : كلا يا سيدتي ولكن هناك سيدة.

السيدة بوركمان : (تضع أشغال الإبرة جانباً) أوه، السيدة ويلتون.
أظن...

الخدّام : (تقترب) كلا، إنها سيّدة غريبة...

السيدة بوركمان : (تأخذ البطاقة) فلنر... (تقرأها ثم تنهض مسرعة
وتنظر إلى الفتاة، متفحصة) أواثقّة أنت أن هذه
لى؟

الخدّام : نعم، فهمت أنها لك يا سيدتى.

السيدة بوركمان : أقالّت إنها تريد مقابلة السيدة بوركمان؟

الخدّام : نعم، هذا ما قالته.

السيدة بوركمان : (تقول فجأة في عزم) حسن، قولى لها إذن إنى
هنا.

(تفتح الخادم الباب للسيدة الغريبة ثم
تنصرف فتدخل الأنسة ألالا رانثيم التى تشبه
أختها، إلا أن وجهها يعبر عن الألم أكثر مما يعبر
عن الجمود ومازالت فيه وآثار جمال رائع قديم،
كما يدل على قوة الشخصية، شعُرها الغزير
الأبيض ممشط إلى الخلف فى تموجات طبيعية،
تلبس ملابس من القطيفة السوداء تتكون من

ثوب وقبعة ومعطف به خطوط من الفرو. تقف
الأختان صامتتين مدة وكل منهما تنظر إلى
الأخرى يامعان، وقد وضح أن كل واحدة تنتظر
الأخرى لتبدأ الكلام)

ألا راتثييم : (ما زالت واقفة قرب الباب) رؤيتك إياي تدهشك
يا جنهيد!؟

السيدة بوركمان : (تقف منتصبة بلا حراك بين الأريكة والمنضدة
وقد وضعت أطراف أصابعها على المفروش) ألم
ترتكبي خطأ؟ إن المحضر يسكن الجناح الجانبي
كما تعرفين.

ألا راتثييم : ما جئت اليوم لأرى السيد.

السيدة بوركمان : إذن فأنا التي تريدنيها؟

ألا راتثييم : نعم، فلي معك حديث قصير.

السيدة بوركمان : (تتقدم إلى منتصف الحجرة) حسن، اجلسي إذن.

ألا راتثييم : شكرا لك، ولكنني أستطيع الوقوف فى الوقت
الحاضر.

السيدة بوركمان : كما تشائين ولكن على الأقل فكى أزرار معطفك.

ألا راتثييم : (تفك أزرار المعطف) نعم، فالحرارة هنا شديدة.

السيدة بوركمان : إنى أشعر بالبرد على الدوام.
ألاراثييم : (تنظر إليها وقد وضعت يديها على ظهر الكرسي
ذى المساند) لقد مضت ثمانى سنوات منذ آخر
لقاء لنا يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : (برود) منذ تحادثنا معاً على كل حال.
ألاراثييم : نعم، منذ تحادثنا معاً، فأظنك كنت تريننى من
حين إلى حين، عندما كنت أحضر فى زيارتى
السنوية للسيد.

السيدة بوركمان : رأيتك مرة أو مرتين.
ألاراثييم : وقد لاحظتك أنا أيضاً مرة أو مرتين، هناك عند
النافذة.

السيدة بوركمان : إذن لا بد أنك رأيتنى خلال الستائر، فنظرك
حاد. (بصوتٍ خشنٍ جارح) ولكن آخر مرة
تحادثنا فيها، كانت هنا فى هذه الحجرة.

ألاراثييم : (محاولة إيقافها) نعم، نعم، أعرف ذلك يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : فى الأسبوع السابق، السابق لإطلاق سراحه.

ألاراثييم : (تراجع) أوه، لا تتحدثى عن ذلك.

السيدة بوركمان : (بشات ولكن بصوت خافت) كان ذلك فى الأسبوع الذى سبق، سبق نيل حريته.

ألاراثييم : (مؤنبة) أوه، نعم، نعم، نعم! أبداً لن أنسى ذلك الوقت! ولكن ما أفضع التفكير فيه! ولو لاسترجاعه لحظة واحدة... أوه!

السيدة بوركمان : (واجمة) ومع ذلك فأنا لا أستطيع التفكير فى أمر سواه! (فى عنف وهى تعتصر يديها) كلا، لن أستطيع فهم ذلك! أبداً لن أستطيع! ليس فى استطاعتى أن أفهم كيف أن شيئاً مثل هذا، شيئاً بهذه الفظاعة يحل بأسرة واحدة! ثم... تكون هذه الأسرة هى أسرتنا! أسرتنا العريقة! تصورى كيف نختار نحن من بين الجميع!

ألاراثييم : أوه، يا جنهيد.. هناك أسر كثيرة، كثيرة جداً غير أسرتنا أصابها نفس السهم.

السيدة بوركمان : أوه، نعم، ولكن هذه الأسر الأخرى لا تهمنى كثيراً فلم يكن الأمر لديهم متعلقاً إلا بمبلغ قليل، أو بعض الأوراق، أما بالنسبة لنا! بالنسبة لى! ثم بالنسبة لإرهارت! طفلى الصغير... كما كان

إذ ذاك! (في انفعال يتزايد) فهو العار الذى لطفنا
نحن البريئين! والهوان! الكريه الفظيع! ثم الدمار
الشامل أيضاً!

أللاراتثيم : (بحذر) خبرينى يا جنهيد، كيف احتمال هو
الأمر؟

السيدة بوركمان : أتعنين إرهارت؟

أللاراتثيم : لا، بل أعنيه هو نفسه. كيف احتمله؟

السيدة بوركمان : (باحترار) أتحييننى أسأل يوماً عن ذلك؟

أللاراتثيم : تسألين؟ لستُ ولا شك، فى حاجة إلى السؤال.

السيدة بوركمان : (تنظر إليها فى دهشة) لا أظنك تحسبن أن لى به

أى علاقة، أو أننى قابلته قط أو حتى لمحتة؟!

أللاراتثيم : لا يمكن أن يصل الأمر إلى هذا الحد!

السيدة بوركمان : الرجل الذى كان فى السجن، والذى قضى فى

السجن خمس سنوات. (تغطى وجهها بيديها) أوه،

يا لهذا الخزى المذل! (فى عنف يتزايد) وبعد ذلك

التفكير فى كل ما يحمله اسم جون جابرييل

بوركمان من معان! كلا، كلا، كلاً، أبداً لن

أستطيع رؤيته ثانية! أبداً!

- ألا راتثيم : (تنظر إليها لحظة) ما أفسى قلبك يا جنهيلد.
السيدة بوركمان : عليه، نعم.
- ألا راتثيم : وهو مع ذلك زوجك.
السيدة بوركمان : ألم يقل فى المحكمة إنى أنا التى بدأت خرابه؟
وإننى كنت أبذر المال بلا مبالاة؟
- ألا راتثيم : (مستدرجة) ولكن، أليس فى ذلك شىء من
الصحة؟
- السيدة بوركمان : ولكنه هو نفسه الذى دفعنى إلى ذلك! هو الذى أصر
على أن نعيش عيشة الإسراف الخرقاء هذه.
- ألا راتثيم : نعم هذا ما أعلمه، ولكن هذا بالضبط ما كان يجب
عليك أن تعارضيه فيه، وقد وضح أنك لم تفعلى..
- السيدة بوركمان : وأنى لى أن أعرف أن ما أعطانيه من نقود
لأبذرها ليست ملكاً له؟ ثم إنه هو أيضاً كان
مسرفاً، مسرفاً أضعاف أسرافى.
- ألا راتثيم : (بهدهوء) على العموم، أظن أنه كان مضطراً إنى
ذلك بحكم مركزه... إلى حدّ ما على كل حال.
- السيدة بوركمان : (باحترار) نعم، كانت دائماً نفس الجملة... يجب
أن «نظهر بمظهر عظيم»، وقد «ظهر بمظهر

عظيم» لغرض ما ! كان من عادته أن يركب
عربة تجرها أربعة جياد كأنما هو ملك، وكان
يجد من الناس من ينحنون له وينكسون رءوسهم
كما يفعلون مع الملك (تضحك) وكانوا دائماً
ينادونه باسمه الأول، فى كل أنحاء المنطقة.
كأنما أصبح الملك نفسه «جون جابرييل»،
«جون جابرييل»، كل إنسان يعرف كم كان
«جون جابرييل» عظيماً!

ألا راتثييم : (بحرارة وتأكيد) وقد كان رجلاً عظيماً إذ ذاك.
السيدة بوركمان : نعم، كانت كل المظاهر تؤيد ذلك، ولكنه ما
حدثنى قط عن مركزه الحقيقى، ولا بكلمة
واحدة... وما أشار قط إلى موارده التى حصل
منها على ثروته.

ألا راتثييم : طبعاً، طبعاً، حتى الناس الآخرون ما كانوا
يحلّمون بمعرفة هذه الموارد.
السيدة بوركمان : لست أهتم بالآخرين من الناس، ولكن كان من
واجبه أن يصدقنى القول، وهذا ما لم يفعله قط!
بل ظل يكذب على، يكذب، كذباً كريهاً.

ألاراثييم : (تقاطعها) لا تقولى ذلك يا جنهيد، ربما كان يخفى هذه الأشياء، ولكنى واثقة من أنه ما كان يكذب.

السيدة بوركمان : لا بأس، لا بأس، سمى ذلك ما شئت من الأسماء، فلن يتغير من الأمر شيء، ثم تحطم كل شيء... تحطم عن آخره.

ألاراثييم : (لنفسها) نعم، كل شيء تحطم، بالنسبة له، وللآخرين.

السيدة بوركمان : (تعتدل فى جلستها، وتقول فى وعيد) ولكن أخبرك الآن يا أللا أننى لم أياس بعد، وسأصلح ما فسد من أمرى، ولتضعى ذلك فى ذهنك!

ألاراثييم : (فى لهفة) تصلحين من أمرى! ماذا تعنين بذلك؟
السيدة بوركمان : أستعيد اسمى وشرفى وثروتى! أصلح حياتى المحطمة. هذا ما أعنيه! ودعيني أخبرك أن هناك من حفظته لذلك، شخصا سيزيل كل لطفة تركها الآخر.

ألاراثييم : جنهيد، جنهيد!

السيدة بوركمان : (في انفعال متزايد) قلت لك إن هناك من سينتقم

لى! شخص سيصلح ما لحقنى من زلات أبيه!

ألا راتثيم : تعنين إرهارت.

السيدة بوركمان : نعم، إرهارت، ابنى الوحيد! سيصلح الأسرة

والمنزل والاسم، وكل ما يمكن إصلاحه...

وربما أشياء أخرى أيضاً.

ألا راتثيم : وكيف تحسبينه يفعل ذلك؟

السيدة بوركمان : يجب أن يفعل ذلك كأحسن ما يكون، لا أدرى

كيف، ولكنى أعرف أنه يجب عليه أن يفعل ذلك

وسيفعله. (تنظر إليها متفحصة) قولى الحق يا

ألا، أليس ذلك فى الحقيقة هو ما خطر ببالك

أنت أيضاً منذ كان طفلاً؟

ألا راتثيم : لا أستطيع قول ذلك بالضبط.

السيدة بوركمان : كلا؟ إذن لماذا عنيت به عندما هبت العاصفة

المخربة على... على هذا المنزل؟

ألا راتثيم : لأنك ما كنت تستطيعين أنت نفسك يا جنهيد فى

ذلك الوقت العناية به.

السيدة بوركمان : لا، لا، ما كنت أستطيع، أما أبوه... فقد كان لديه
عذر حقيقي كاف، إذ كان هناك تحت الحفظ.

أللاراثييم : (في سخط) أوه، كيف تستطيعين قول مثل ذلك
الكلام! أنت!؟

السيدة بوركمان : (في حقد ظاهر) وكيف قررت أنت أن تعملي
على الاحتفاظ بأبن من يدعى... جون جابرييل
كأنما هو ابنك أنت!؟ تأخذين الطفل بعيدا عني،
وترحلين معه إلى منزلك، وتحفظين به عاما
بعد عام حتى كاد الطفل يصبح شابًا (تنظر إليها
في ريبة) ماذا كان الدافع الحقيقي لك يا أللا؟ لماذا
احتفظت به عندك؟

أللاراثييم : لقد أحببته كل الحب...

السيدة بوركمان : أكثر مما أحبه أنا؟ أنا أمه؟

أللاراثييم : (في مواربة) لست أعرف عن ذلك شيئًا، ثم إن
إرهارت كان إذ ذاك كما تعلمين طفلا رقيقا.

السيدة بوركمان : إرهارت؟ رقيق!؟

أللاراثييم : نعم، هذا ما ظننته... في ذلك الوقت على أي
حال، وأنت تعلمين أن جو الشاطئ الغربي أكثر
اعتدالا من هنا.

السيدة بوركمان : (تبتسم فى مرارة) هم... حقا؟ (محاولة إنهاء الموضوع) نعم، لقد فعلت الكثير حقا لإرهارت (تغير نغمة صوتها) حسن، كان فى إمكانك ولا ريب تقديم كل هذه الخدمات. (تبتسم) كنت مجودة كل الجد يا أألا، إذ عملت على الاحتفاظ بجميع أموالك.

ألا راتثييم : (فى ألم) أوكد لك أنى لم أقم بأى عمل فى ذلك السبيل، بل إنى لم تكن لدى أية فكرة عن أن التأمينات الخاصة بى لم تمس... إلا بعد مرور وقت طويل، طويل.

السيدة بوركمان : على العموم أنا لا أفهم شيئا فى مثل هذه الأمور! ولم أقل إلا أنك مجودة. (تنظر إليها متسائلة) ولكن عندما قررت بمحض إرادتك أن تقومى بتعليم إرهارت بالنيابة عنى، ماذا كان الدافع الأساسى لك؟

ألا راتثييم : (تحمق فىها) الدافع لى؟
السيدة بوركمان : نعم، لا بد وأن لك دافعا أيا كان. ماذا كنت تريد فعله معه؟ أعنى ماذا كنت تريد أن تفعل به؟

أللا راتثيم : (ببطء) أردت أن أمهد الطريق لإرهارت ليحيا حياة سعيدة.

السيدة بوركمان : (باحترار) يوه، إن مَنْ كانوا فى مثل موقفنا لديهم ما يفكرون فيه غير السعادة.

أللا راتثيم : ماذا إذن؟

السيدة بوركمان : (فى ثبات وجد) يجب على إرهارت قبل أى شىء آخر أن يهيب نفسه مركزاً كبيراً، يكفى لمحو كل أثر من ذلك العار الذى لطح به أبوه اسمى واسم ابنى.

أللا راتثيم : (متسائلة) خبرينى يا جنهيد، أهذا بالذات هو ما يريد إرهارت من حياته؟

السيدة بوركمان : (تراجع قليلاً) نعم، هذا ما أرجوه!

أللا راتثيم : أليس ذلك أقرب إلى أن يكون ما تطلبينه أنت نفسك منه؟

السيدة بوركمان : (بحفاف) إن مطالبنا أنا وإرهارت دائماً واحدة.

أللا راتثيم : (فى حزن وبطء) أنت إذن واثقة من ابنك يا جنهيد تمام الثقة؟

السيدة بوركمان : (في نصر خفي) نعم، تمام الثقة، وشكرا لله،
تأكدى من ذلك!

ألاراثييم : أظن أنك - ولا شك في ذلك - سعيدة، على
الرغم من كل شيء آخر.

السيدة بوركمان : نعم إنى لسعيدة... لهذا السبب فقط، ولكن بعد
ذلك وفى كل لحظة تندفع إلى الأفكار الأخرى
وكأنها العاصفة.

ألاراثييم : (تتغير نبرات صوتها) خبرينى، وليكن ذلك فى
الحال، فهذا فى الحقيقة ما جئت لاجله.

السيدة بوركمان : ماذا؟

ألاراثييم : إنه أمر رأيت من الواجب أن أتحدث إليك فيه.
خبرينى، ألا يعيش إرهارت هنا مع... معكما.

السيدة بوركمان : (بخشونة) لن يستطيع إرهارت العيش هنا معى،
فهو مضطر لسكنى المدينة.

ألاراثييم : وهذا ما أخبرنى به فى خطاباته.

السيدة بوركمان : إنه مضطر لذلك بسبب دراسته، ولكنه يأتى إلى
كل ليلة لبقى معى برهة قصيرة.

ألاراثييم : حسن، هل لى أن أراه إذن؟ هل أستطيع أن أحادثه على الفور؟

السيدة بوركمان : إنه لم يأت بعد، ولكنى أنتظر وصوله بين لحظة وأخرى.

ألاراثييم : كيف يا جنهيد؟ لا شك أنه وصل، ففى إمكاني سماع صوت خطواته فى الطابق العلوى.

السيدة بوركمان : (تنظر إلى أعلى نظرة سريعة) هناك فى القاعة الطويلة؟

ألاراثييم : نعم، فقد سمعته يسير ذهاباً وجيئة فى القاعة منذ حضرت.

السيدة بوركمان : (تحول نظرها عنها) إنه ليس إرهارت يا أللا.

ألاراثييم : (فى دهشة) ليس إرهارت؟ (فى تكهن) من يكون إذن؟

السيدة بوركمان : إنه هو.

ألاراثييم : (بهدوء وهى تغالب ألمها) بوركمان؟ جون جابرييل بوركمان؟

السيدة بوركمان : إنه يسير هكذا ذهاباً وجيئة، من أقصى القاعة إلى أقصاها، من الصباح حتى المساء، يوماً بعد يوم.

- ألاراثييم : سمعت شيئاً كهذا.
- السيدة بوركمان : أظن أن الناس يجدون الكثير الذى يروونه عنا،
ولا ريب فى ذلك.
- ألاراثييم : حدثنى إرهارت فى خطاباته عن ذلك، قال إن
والده يقضى أغلب أوقاته فى الطابق العلوى،
وحيداً... وأنتك تبقين وحيدة هنا.
- السيدة بوركمان : نعم، هذا ما سرنا عليه يا أللا منذ أفرجوا عنه
وأرسلوه إلىّ فى المنزل، كل هذه السنوات
الثمانى الطوال.
- ألاراثييم : ما كنت أعتقد قط أن من الممكن حدوث ذلك،
فهو أمر يبدو مستحيلاً!
- السيدة بوركمان : (تحنى رأسها موافقة) إنه كذلك، ولا يمكن أن
يكون غير ذلك.
- ألاراثييم : (تنظر إليها) لا بد أنها حياة فظيعة يا جنهيد.
- السيدة بوركمان : بل أسوأ من فظيعة، إنها حياة لا تطاق.
- ألاراثييم : نعم، لا بد أنها كذلك.
- السيدة بوركمان : أن تسمعى دائماً خطواته فى الطابق العلوى، من
الصباح المبكر حتى ساعة متأخرة من الليل، فى

هذا المنزل الذى تسمع فيه الأصوات بغاية
الوضوح!

ألارانتشيم : نعم، ما أغرب وضوح الصوت هنا.
السيدة بوركمان : أحس غالباً وكأن ذنباً مريضاً يقطع قفصه مجيئاً
وذهاباً فى الصالة، فوق رأسى تماماً (تسمع ثم
تغمس) أنصتى! ألا تسمعين؟ إلى الخلف وإلى
الأمام، جيئةً وذهاباً، يسير الذئب.

ألارانتشيم : (فى محاولة) ألا يمكن حدوث أى تغيير يا جنهيد؟
السيدة بوركمان : (بإشارة رادعة) إنه لم يحاول أن يخطو خطوةً
واحدةً صغيرة ليغير من الموقف.

ألارانتشيم : ألم تقومى أنتِ إذن بالخطوة الأولى؟
السيدة بوركمان : (فى حنق) أنا؟! بعد كل ما ارتكبه فى حقى من
أخطاء؟! كلا، وشكراً لك! أفضل أن يظل الذئب
فى تجواله هناك.

ألارانتشيم : إن حرارة هذه الحجرة أكثر مما احتمله،
فلتسحى لى بخلع معطفى وقبعتى.
السيدة بوركمان : نعم، لقد طلبت منك ذلك.

(تخلع ألارانتشيم قبعتها ومعطفها وتضعها
على مقعد بجوار الباب الموصل إلى الصالة)

- ألا رانثييم : ألم يحدث أن قابلته قط خارج المنزل؟
- السيدة بوركمان : (تضحك بمرارة) تعنين فى المجتمعات؟
- ألا رانثييم : أعنى عندما يخرج ليتمشى فى الغابات أو...
- السيدة بوركمان : إنه لا يخرج أبدا.
- ألا رانثييم : حتى ولا وقت الغروب؟
- السيدة بوركمان : أبداً.
- ألا رانثييم : (متأثرة) ألم يستطع إقناع نفسه بالخروج؟
- السيدة بوركمان : أظن ذلك، فمعطفه الكبير وقبعته معلقان فى الخزانة، الخزانة التى فى الصالة، كما تعلمين.
- ألا رانثييم : (لنفسها) الخزانة التى اعتدنا الاختفاء فيها ونحن صغار.
- السيدة بوركمان : (تحنى رأسها موافقة) وبين الحين والحين... فى ساعة متأخرة من الليل، كنت أسمع وهو ينزل من الطابق العلوى كأنما يريد الخروج، ولكنه كان دائماً يتوقف فى منتصف الطريق وهو يهبط الدرج، ثم يعود ثانية... قاصداً القاعة مباشرة.
- ألا رانثييم : (بهدهوء) ألا يزوره أحد من أصدقائه الأقدمين؟
- السيدة بوركمان : ليس له أصدقاء قداماء.

ألاراثييم : كان له الكثيرون... وقتًا ما.
السيدة بوركمان : هم! لقد تذرع بخير الطرق للتخلص منهم، فقد
كان صديقًا عزيزًا لأصدقائه، كان كذلك جون
جابريل.

ألاراثييم : أوه، نعم، هذا حق يا جنهيد.
السيدة بوركمان : (بعنف) لن يغير ذلك من الأمر شيئًا، وإنما فى
عرفى لحقارة ودناءة ووضاعة وصغارٌ أن
يحبسوه هو سبب آلامهم، لأنه أضاع عليهم
القليل من المال، فهم لم يفقدوا إلا المال، ولا
شئء غيره.

ألاراثييم : (لا تجيبها) إذن فهو يعيش فى الطابق العلوى
منفردًا، وحيدًا وحدة تامة.

السيدة بوركمان : نعم، هو كذلك فى الواقع، وقد أخبرونى أن
عجوزًا من مستخدميه أو الكتبة أو شئء من هذا
القبيل يأتى لزيارته بين الحين والحين.

ألاراثييم : آه. حقا؟ لا شك أن اسمه فولدول، فأنا أعلم أنهما
كانا صديقين من عهد الشباب.

السيدة بوركمان : نعم، أعتقد أنهما كانا كذلك، ولكنى لا أعرف
عنه شيئاً، فلم يكن من زوارنا... يوم كان لنا
زوار.

أللارانتثيم : إذن فهو يزور بوركمان الآن؟

السيدة بوركمان : نعم، إنه يتنازل ويزوره، ولكنه لا يزوره بالطبع
إلا تحت ستار الظلام.

أللارانتثيم : هذا الرجل فولدول، إنه أحد الذين فقدوا أموالهم
عندما أفلس البنك.

السيدة بوركمان : (بلا عناية) نعم، أظننى سمعت أنه فقد بعض
المال، ولكن لا شك أنه كان مبلغاً ضئيلاً جداً.

أللارانتثيم : (بتأكيد خفيف) إنه كان كل ما يملك.

السيدة بوركمان : (تبتسم) أوه، إذن فما كان يملكه كان مبلغاً
ضئيلاً... لا يمكن التحدث عنه.

أللارانتثيم : ولم يتحدث عنه، أعنى فولدول، أثناء التحقيق.

السيدة بوركمان : على كل حال، أؤكد لك أن إرهارت قد عوّضه
التعويض الكافى عن ذلك المبلغ الضئيل الذى
فقدته.

أللاراتثيم : (بدهشة) إرهارت؟! كيف أمكن إرهارت أن يفعل ذلك؟

السيدة بوركمان : إنه يميل نوعاً إلى ابنة فولدول الصغرى، فعلمها أشياء كثيرة وساعدها على أن تطرق الطريق الموصل إلى العمل، وستستطيع يوماً أن تكفى نفسها بنفسها، وأظن أن هذا أكثر مما كان يمكن أن يفعله أبوها لها.

أللاراتثيم : نعم، فإني أظن أن أباه لا تساعده حالته المالية على فعل الكثير.

السيدة بوركمان : ثم ساعدها إرهارت على تعلم الموسيقى، وقد تقدمت كثيراً حتى إنه أصبح فى استطاعتها الآن أن تصعد إلى... إليه فى الطابق العلوى لتعزف له بعض الأذوار.

أللاراتثيم : ما زال إذن شغوفاً بالموسيقى؟

السيدة بوركمان : أوه، نعم، أظنه شغوفا بها، وعنده بالطبع البيانو الذى أرسلته إلينا... عندما كانت عودته منتظرة.

أللاراتثيم : وهى تعزف له عليه؟

السيدة بوركمان : نعم بين الحين والحين... فى بعض الأمسيات، وهذا أيضاً من تدبير إرهارت.

ألا راتثيم : وهل تضطر الفتاة المسكينة إلى قطع كل هذا الطريق من المدينة إلى هنا ثم العودة ثانية؟

السيدة بوركمان : لا، إنها ليست مضطرة إلى ذلك، فقد رتب إرهارت الأمر، وأسكنها عند سيدة تعيش بالقرب منا... سيدة تدعى السيدة ويلتن.

ألا راتثيم : (باهتمام) السيدة ويلتن؟

السيدة بوركمان : امرأة واسعة الغنى، لا تعرفينها.

ألا راتثيم : لقد سمعت باسمها، السيدة فانى ويلتن، أليس كذلك؟

السيدة بوركمان : نعم، هى تماماً.

ألا راتثيم : قد ذكرها إرهارت مرات عديدة، أتسكن هنا الآن؟

السيدة بوركمان : نعم قد أجرت فيلا هنا، وتركت المدينة من زمن.

ألا راتثيم : (بشئء من التردد الخفيف) يقال إنها طلقت من زوجها.

السيدة بوركمان : لقد مات زوجها منذ سنوات عديدة.

ألا راتثيم : نعم، ولكنهما كانا مطلقين، فقد حصل على الطلاق.

السيدة بوركمان : لقد هجرها، نعم هجرها، وإنى لو اتقنت أن الخطأ ليس خطأها.

ألا راتثيم : تعرفينها معرفة وثيقة يا جنهيد؟

السيدة بوركمان : أوه، نعم، معرفة وثيقة جداً، فإنها تسكن على مقربة منا، وتزورنا بين الحين والحين.

ألا راتثيم : وهل تحبينها؟

السيدة بوركمان : إن ذكاءها غير عادي، وحكمها واضح صوابه.

ألا راتثيم : تعنين حكمها على الناس؟

السيدة بوركمان : نعم، وبخاصة على الناس، لقد درست إرهارت دراسة محققة، حللت أخلاقه تحليلاً دقيقاً...

وفهمت روحه فهماً تاماً، وكانت النتيجة أنها

تعبده، ولم يكن في وسعها أن تفعل غير ذلك.

ألا راتثيم : (بقليل من الدهاء) لعلها إذن عرفت إرهارت أكثر مما عرفتك.

السيدة بوركمان : نعم فقد كان إرهارت يزورها كثيراً في المدينة قبل أن تنتقل للسكنى هنا.

ألا راتثييم : (بدون تفكير) وعلى الرغم من ذلك تركت المدينة؟

السيدة بوركمان : (تراجع في دهشة، وتنظر إليها مدققة) وعلى الرغم من ذلك، ماذا تعنين؟

ألا راتثييم : (في مواربة) أوه، لا شيء على التحديد.

السيدة بوركمان : لقد قلتها بطريقة غريبة. إنك تعنين شيئاً بذلك يا ألا؟!

ألا راتثييم : (تواجهها بنظراتها) نعم، هذا حقيقي يا جنهيلد، فإن هناك ما أعنيه بذلك.

السيدة بوركمان : حسن، قوليه إذن.

ألا راتثييم : دعيني أخبرك أولاً أن لى أنا أيضاً بعض الحق على إرهارت، ألا تظنين ذلك؟

السيدة بوركمان : (تنظر حواليتها في الحجرة) لا شك، بعد كل ذلك المال الذى أنفقته عليه.

ألا راتثييم : أوه، ليس لهذا السبب يا جنهيلد ولكن لأنى أحبه.

السيدة بوركمان : (تبتسم في احتقار) ابنى؟ أهذا محتمل؟ أنت؟ رغم كل شيء؟

أللاراتثيم : نعم، ممكن... رغم كل شىء، وهو حقيقى أيشأ،

إنى أحب إرهارة، كأقوى ما أشعر به من حب

نحو أى إنسان... الآن... فى سنى حياتى هذه.

السيدة بوركمان : لا بأس، لا بأس، لنفرض إنك تحبينه... ماذا

بعد؟

أللاراتثيم : إذ ذاك أضطرب إذ أرى شىئا يهدده.

السيدة بوركمان : يهدد إرهارة؟ كيف؟ ماذا يمكن أن يهدده؟ أو

من ذا الذى يهدده؟

أللاراتثيم : أنت أولاً... بطريقتك.

السيدة بوركمان : (بعنف) أنا!؟

أللاراتثيم : وثانيا أخشى أن تكون هذه السيدة ولتن أيشأ.

السيدة بوركمان : (تنظر إليها لحظة وقد عقدت الدهشة لسانها)

وتظنين مثل هذه الظنون بإرهارة؟ ابنى الوحيد!

هو الذى عليه واجبٌ مقدسٌ عظيم يجب أن يتمه!

أللاراتثيم : (بخفة) أوه، واجبه المقدس!

السيدة بوركمان : (بغيط) كيف تجربئين على قول ذلك بلهجة

الازدراء هكذا؟

- ألا راتثيم : أتظنين أن شابًا في عمر إرهارت مملوءًا صحةً ومرحًا... أتظنينه سيضحى بنفسه من أجل، من أجل «واجب مقدس»؟
- السيدة بوركمان : (في حزم وتأکید) سيفعل إرهارت.. إني على ثقة من ذلك.
- ألا راتثيم : (هز رأسها) إنك لا تتقين بهذا ولا تؤمنين به يا جنهيد.
- السيدة بوركمان : أنا لا أومن به!
- ألا راتثيم : ليس إلا حلمًا خلقته لنفسك، لأنك لو لم تتشبثي بمثل هذا الحلم لتملكك اليأس التام.
- السيدة بوركمان : نعم، لا شك أن اليأس يتملكني. (بعنف) وأظن أن هذا ما تودين رؤيته يا ألا.
- ألا راتثيم : (ترفع رأسها) نعم، أفضل أن أرى ذلك من أن أراك تصلحين من شأنك على حساب إرهارت.
- السيدة بوركمان : (متوعدة) أتريدين الواقعة بيننا؟ بين أم وابنها؟ أنت؟
- ألا راتثيم : إنما أريد أن أحرره من قوتك... من إرادتك... من سلطتك الغاشمة.

- السيدة بوركمان : (في انتصار) لقد فات الأوان! لقد أمسكته فى شباكك كل هذه الأعوام... حتى بلغ الخامسة عشرة، ولكنى الآن أسترجعته. أترين!؟
- ألاراثييم : إذن سأسترده منك ثانية. (بصوت خشنٍ شبه هامس) لقد كانت بيننا من قبل يا جنهيدل حرب حياة أو موت، من أجل روح رجل.
- السيدة بوركمان : (تنظر إليها منتصرة) نعم وقد انتصرت عليك.
- ألاراثييم : (تبتسم في احتقار) أما زلت تظنين أن النصر يساوى ما أجتتيه.
- السيدة بوركمان : (في وجوم) كلا، والله يعلم أنك على صواب فى ذلك.
- ألاراثييم : لا حاجة بك إلى التطلع هذه المرة أيضًا إلى نصر يساوى ما يمكن اجتناؤه منه.
- السيدة بوركمان : ولكنى هذه المرة أحارب فى سبيل تأكيد سلطة الأم على ابنها.
- ألاراثييم : كلا، إنما تريدان التسلط عليه.
- السيدة بوركمان : وأنت؟
- ألاراثييم : (في حرارة) أريد مودته... روحه... كل قلبه.

- السيدة بوركمان : (ثائرة) هذا ما لن تتاليه طول حياتك.
- أللا راتثيم : (محدقة فيها) وهل دبرت الأمر لذلك؟
- السيدة بوركمان : (مبتسمة) نعم، سمحت لنفسى بذلك. ألم تلاحظى شيئاً فى رسائله؟
- أللا راتثيم : (تحفض رأسها عدة مرات ببطء) نعم لقد لاحظت لى صورتك... صورتك الكاملة... فى كل رسائله الأخيرة.
- السيدة بوركمان : (فى إثارة) لقد انتهزت كل الفرص الممكنة فى هذه السنوات الثمانى، ولم أغفل عنه لحظة. أفهمت؟
- أللا راتثيم : (تضبط زمام نفسها) ماذا قلت لإرهارت عنى؟
- السيدة بوركمان : أوه، نعم... يمكننى أن أخبرك بكل ما قلته.
- أللا راتثيم : إذن، أرجوك أن تتكلمى.
- السيدة بوركمان : ما قلتُ له إلا الصدق.
- أللا راتثيم : إنى منصتة.
- السيدة بوركمان : كل يوم من أيام حياته كنتُ مثابرةً على جعله لا ينسى أبداً أنك أنت التى ندين لها بالمستوى الذى نعيش عليه... بل بالحياة على الإطلاق.

ألا راتثييم : أهذا كل شىء؟
السيدة بوركمان : أوه، هذا هو نوع الكلام الذى يؤلم، وإنى لأحس
بألمه فى قلبى.

ألا راتثييم : ولكن هذا فعلاً ما يعلمه إرهارت.
السيدة بوركمان : عندما عاد إلىّ كان يحسب أن الدافع لك على
ذلك كله ليس إلا طيبة القلب. (تنظر إليها فى
خبت) ولكنه ما عاد يعتقد بذلك الآن يا ألالا.

ألا راتثييم : ماذا يعتقد الآن إذن؟
السيدة بوركمان : إنه يعرف الآن الحقيقة، فقد سألته عما يظنه
السبب فى عدم زيارة خالته ألالا لنا هنا.
ألا راتثييم : (مقاطعة) إنه يعرف تماماً الأسباب التى تدعونى
لذلك!

السيدة بوركمان : وهو يعرف هذه الأسباب الآن أفضل من ذى
قبل، لقد جعلته يعتقد أن ذلك لتخفى الخجل عنى
و... وعن ذلك الذى فى الطابق العلوى.

ألا راتثييم : وهذا هو الحق.
السيدة بوركمان : لم يعد إرهارت يصدق ذلك الآن.
ألا راتثييم : ماذا أدخلت فى رأسه؟

السيدة بوركمان : إنه يعلم الآن الحقيقة، وهو أنك ما امتنعت عن زيارتنا إلا لخطك منا... واحتقارك لنا. وهل تستطيعين التظاهر بعكس ذلك؟ ألم ترتبى الأمر مرة على أن تبعديه عنى إلى الأبد؟ تذكرى يا أّلا فما أحسبك تتسين.

أّلا راتثيم : (بحركة إنكار) كان ذلك وقت اشتداد الفضيحة، عندما كانت القضية أمام المحكمة، ولكن ما عادت لى مثل هذه التدبيرات الآن.

السيدة بوركمان : ولن يضيرنا لو أن عندك هذه التدبيرات، وإلا فماذا يكون من أمر الواجب الملقى على عاتقه؟ كلا، وشكرا لك، فإننى أنا التى يحتاج إليها إرهارت... لا أنت. ولذلك يجب أن يكون فى نظرك كأنما هو ميت، وأن تكونى فى نظره كذلك.

أّلا راتثيم : (برود وعزم) سنرى، فإنى الآن سأبقى هنا.

السيدة بوركمان : (تحملق فيها) هنا؟ فى هذا المنزل؟

أّلا راتثيم : نعم، هنا.

السيدة بوركمان : هنا، معنا؟ تبقيين طول الليل؟

- ألا راتثييم : بل سأبقى ما بقى لى من أيام لو احتاج الأمر.
- السيدة بوركمان : (تمالكك نفسها) لا بأس يا ألاء، فالبيت بيتك.
- ألا راتثييم : أوه، كلام فارغ.
- السيدة بوركمان : كل شىء ملكك، إنك تملكين الكرسي الذى أجلس عليه، والفراش الذى أنام وأتقلب عليه، حتى الطعام الذى نأكله نشتره بمالك.
- ألا راتثييم : أنت تعلمين أن الأمور ما كان يمكن أن ترتب على وجه آخر، فبوركمان لا يستطيع أن يمتلك شيئاً باسمه؛ وإلا جاء أحد الدائنين وأخذه منه.
- السيدة بوركمان : نعم، أعرف ذلك، يجب علينا أن نعيش عالية على رحمتك وإحسانك.
- ألا راتثييم : (برود) لن أستطيع منعك من النظر إلى الأمر على هذه الصورة يا جنهيد.
- السيدة بوركمان : كلا لن تستطيعى، متى تريدين رحيلنا؟
- ألا راتثييم : (تنظر إليها) ترحلين؟
- السيدة بوركمان : (بانفعال شديد) نعم، فلست أظنك تحسبيني أستطيع العيش معك تحت سقف واحد! ولتعلمى إننى أفضل العيش فى أحد الملاجئ أو التشرّد فى الطرقات.

- ألا رائثيــــــــــــــــم : حسن، دعيني آخذ إرهارت معى إذن.
السيدة بوركمان : إرهارت؟ ابني الوحيد؟ طفلى؟
ألا رائثيــــــــــــــــم : نعم، إذ ذاك سأعود فوراً إلى منزلى.
السيدة بوركمان : (بعد أن تفكر قليلاً تقول بعزم) سيختار إرهارت
بنفسه بيننا.
ألا رائثيــــــــــــــــم : (تنظر إليها فى شك وتردد) هو يختار؟ أتجسرين
على تلك المخاطرة يا جنهيد؟
السيدة بوركمان : (بضحكة قاسية) هل أجسر؟ أن أدع ابني يختار
بين أمه وبينك؟ نعم، إنى أجسر بالطبع!
ألا رائثيــــــــــــــــم : (تسمع) هل هناك أحد قادم؟ أظننى سمعت.
السيدة بوركمان : هو إرهارت إذن

(طرفةٌ حادةٌ على الباب الموصل إلى الصالة
يفتح بعدها مباشرة، وتدخل السيدة ويلتن فى
ملابس السهرة وقد وضعت فوقها معطفها، تتبعها
الخدام وقد بان عليها الجزع، لأنها لم تجد الوقت
الكافى لتعلن قدمها، يظل الباب نصف مفتوح،
والسيدة ويلتن امرأة فى الثلاثين من عمرها نامية
الجسم أخاذة الجمال، ذات شفاه عريضة حمراء
ضاحكة وعيون لا معة وشعر غزير أسود).

السيدة ويلتن : مساء الخير يا عزيزتى السيدة بوركمان!
السيدة بوركمان : (أقرب إلى البرود) مساء الخير يا سيدة ويلتن.
(مخاطبة الخادمة وهى تشير إلى الشرفة) خذى
ذلك المصباح الموجود هناك وأشعليه.
السيدة ويلتن : (ترى اللأ رانثيم) أوه، أرجو المعذرة... فإن
عندك زائرة.

السيدة بوركمان : ليس إلا شقيقتى، التى حضرت توأ من...
(يفتح إرهارت بوركمان الباب نصف
المفتوح على مصراعيه ويدخل مندفعاً، وهو شاب
لامع العينين ضاحكهما، قد بدا شاربه فى النمو
ويلبس ملابس أنيقة)

إرهارت : (يقف على عتبة الباب وقد فاض به السرور)
ماذا أرى؟! خالتى ألا هنا؟ (يندفع إليها ويقبض
على يديها) خالتى، خالتى! أمممكن هذا؟ أنت
هنا؟

أللاراثيم : (تلف يديها حول عنقه) إرهارت، يا بنى العزيز،
العزيز! ماذا؟، لقد نموت كثيراً! أوه، ما أسعدنى
إذ أراك ثانية!

السيدة بوركمان : (بجدة) ما معنى هذا يا إرهارت؟ أكنت مختبئاً
فى الصالة؟

السيدة ويلتن : (بسرعة) إرهارت... السيد بوركمان جاء معى.

السيدة بوركمان : (تنظر إليه فى شدة) حقا يا إرهارت! لم تحضر
إلى أمك أولاً.

إرهـارت : لقد مررت على السيدة ويلتن للحظة قصيرة...
لا، ستدعى فريدا الصغيرة.

السيدة بوركمان : أهذه الأنسة فولدول معك أيضاً؟

السيدة ويلتن : نعم، وقد تركناها فى الصالة.

إرهـارت : (مخاطباً شخصاً فى الخارج) يمكنك الصعود إلى
الطابق العلوى يا فريدا.

(لحظة صمت، الأ رانشيم تلاحظ إرهارت

فى حيرته ونفاد صبره وقد بان على وجهه البرود

والعصبية، تدخل الخادم حاملة المصباح المشتعل

فتضعه فى الشرفة ثم تخرج مغلقة الباب وراءها)

السيدة بوركمان : (بأدب زائف) حسن يا أستاذة ويلتن، إذا كنتِ

ستمنحنيننا السرور بالسهر معنا الليلة فعلاً...

السيدة ويلتن : شكراً جزيلاً يا سيدتى العزيزة، ولكنى فى الحق لن أستطيع، فلدينا دعوة أخرى، نحن ذاهبان إلى آل هنكل.

السيدة بوركمان : (تحملق فيها) نحن؟ ماذا تعنين بكلمة نحن هذه؟
السيدة ويلتن : (ضاحكة) أوه، كان يجب أن أقول أنا، ولكنى كُففت من سيدات المنزل أن أحضر معى السيد بوركمان... إذا اتفق ورأيته.

السيدة بوركمان : وقد اتفق أن رأيته فعلاً، كما هو واضح...
السيدة ويلتن : نعم، لحسن الحظ، فقد كان من التوفيق أن يمر بمنزلى... لاستدعاء فريدا.

السيدة بوركمان : (بجفاف) ولكنى لم أكن أعلم يا إرهارة أنك على معرفة بهذه الأسرة... أسرة هانكل!
إرهارة : (بضيق صدر) لا، لست أعرفهم تماماً.

(ثم يضيف فى نفاذ صبر) إنك تعلمين يا أمى خيراً من أى إنسان آخر من أعرف من الناس ومن لا أعرف...

السيدة ويلتن : أوه، لا أهمية لذلك، فإنك ما إن تدخل منزلهم حتى تحس بالراحة والرضا، إنهم أناسٌ مرحون بكرمون الضيف، ثم إن المنزل ممتلىء بالفتيات.

السيدة بوركمان : (في تأكيد) إذا كان لي أن أحكم بمعرفتي لابنـي
يا سيدة ويلتن فإنـي أرى أنهم مجموعة لا تصلح
له.

السيدة ويلتن : يا للعجب يا سيدتي العزيزة، إنه شاب صغير
كما تعلمين!

السيدة بوركمان : نعم، لحسن الحظ إنه صغير، فإن المطلوب أن
يكون صغيراً.

إرهـارت : (يكشف عن نفاذ صبره) كفى، كفى، كفى يا
أمى، فمن الواضح أنني لن أذهب هذا المساء
إلى منزل آل هنكل، لأنى سأبقى بالطبع معك
ومع خالتي أـلا.

السيدة بوركمان : كنت أعلم أنك ستفعل ذلك يا عزيزى إرهـارت.
ألـاراتشيم : كلا يا إرهـارت، لن أدعك تبقى في البيت من
أجلى.

إرهـارت : كلا، بالطبع، لن أفكر في الذهاب يا خالتي
العزيزة. (ينظر إلى السيدة ويلتن في شك) ولكن
كيف نتصرف في الأمر؟ هل أستطيع التخلـص
من هذه الدعوة؟ فإنك وافقت على الدعوة نيابة
عنى، أليس كذلك؟

السيدة ويلتن : (بمروح) ما هذا الكلام الفارغ؟! لا تستطيع التخلّص من الدعوة؟! عندما أدخل القاعة المرحّة وحيدة مهجورة... تصور ذلك! عندئذٍ سأرفض الدعوة نيابة عنك.

إرهـارت : (متردداً) حسن، إذا كنت حقيقة تعتقدين أنى أستطيع التخلّص...

السيدة ويلتن : (تبعّد الموضوع بخفّة) لقد تعودت دائماً على أن أقبّل وأرفض فى نفس الوقت... لحسابى الخاص، وأنت بالطبع لا يمكنك الخروج وترك خالتك التى حضرت تواءاً.. يا للعار يا سيد إرهارت... أتكون هذه معاملة الابن البار؟

السيدة بوركمان : (فى غضب) الابن؟

السيدة ويلتن : فلنقل الابن المتبنى إذن يا سيدة بوركمان.

السيدة بوركمان : نعم، كان يجب أن تقولى ذلك.

السيدة ويلتن : أوه، يخيل إلىّ أننا غالباً ما تكون أكثر تقديرًا لجميل مرببتنا منا لأمننا الحقيقية.

السيدة بوركمان : أرايك هذا نتيجة تجربة؟

السيدة ويلتن : أخشى أن أقول إنى لا أعرف عن أمى إلا القليل، ولكن ربما لو كان لى مربية طيبة لما أصبحت على هذه ال... الرداءة كما يقول الناس عنى... حسن، إذن ستبقى فى البيت فى هدوء شأن الأولاد المهذبين لتشرب الشاى مع ماما والخالة (للسيدتين) وداعًا، استودعك الله يا سيدة بوركمان! استودعك الله يا أنسة رانثيم.

(تحى السيدتان رأسيهما فى صمت بينما تتجه السيدة ويلتن إلى الباب)

إرهارت : (يتبعها) ألا يجب على أن أصحبك جزءًا من الطريق؟

السيدة ويلتن : (عند الباب تدفعه إلى الداخل) لن تسير معى خطوة واحدة، فإنى دائماً معتادة السير وحدى. (تقف على عتبة الباب وتنظر إليه وهى تحى رأسها) ولكن احترس يا سيد بوركمان... إنى أحذرك!

إرهارت : مم تحذريننى؟

السيدة ويلتن : (في مرج). بالطبع، عندما أسير في الطريق -
وحيدة مهجورة كما سبق أن قلت - فإنني
سأحاول أن أسحرك.

إرهارة : (ضاحكاً) أوه، حقا، هل تعاودين هذه المحاولة
مرة أخرى؟

السيدة ويلتن : (بين الجد والهزل) نعم، لا أطلب منك إلا أن
تكون حلوا! كلما أمعنت في السير سأقول لنفسى
- مركزة كل إرادتى - سأقول: «السيد إرهارة
بوركمان، خذ قبعتك في الحال!».

السيدة بوركمان : أو تعتقدين أنه سيأخذها؟

السيدة ويلتن : (ضاحكة) يا للعجب، طبعاً، سيخطف قبعته على
الفور، وعندئذ سأقول: «كن مطيعاً والبس
معطفك الآن يا إرهارة بوركمان! والبس
خفيك! تأكد أنك لم تنسَ الخفين! ثم اتبعنى! أفعَل
ما أمرك به، ما أمرك به، ما أمرك به!».

إرهارة : (بمرح مصطنع) أوه، يمكنك الاعتماد على ذلك.

السيدة ويلتن : (ترفع سباتها) ليلة سعيدة!

(تضحك وتحنى رأسها للسيدتين محيية ثم

تغلق الباب خلفها)

- السيدة بوركمان : أهي قادرة حقاً على مثل هذه الأعمال؟
- إرهـارت : أوه، بالطبع لا، كيف يخطر ذلك على ذهنك؟
- إنما تقول ذلك على سبيل الفكاهة. (منها الموضوع). ولكن دعونا من موضوع السيدة ويلتن. (يجبر حالته ألالا رانثيم على الجلوس على الكرسي ذى المساند القريب من الموقد، ثم يقف وينظر إليها) من كان يظن أن تقطعي كل هذه المسافة يا خالتي ألالا! وفي الشتاء أيضاً!
- ألالا رانثيم : وجدت أنني مضطرة إلى ذلك يا إرهـارت.
- إرهـارت : حقاً؟ ولماذا؟
- ألالا رانثيم : كنت مضطرة إلى الحضور إلى المدينة على كل حال لأعرض نفسي على الأطباء.
- إرهـارت : أوه، إني سعيد لذلك!
- ألالا رانثيم : (مبتسمة) أأنت سعيد لذلك؟
- إرهـارت : أعنى إني سعيد لأنك قررت ذلك أخيراً.
- السيدة بوركمان : (ببرود وهي جالسة على الأريكة) أأنت مريضة يا ألالا؟

ألارانتثيم : (تنظر إليها بشدة) أنت تعلمين تمام العلم أنني مريضة.

السيدة بوركمان : كنت أعلم أنك ضعيفة، وأنت ظلمت كذلك سنوات.

إرهـارت : قلت لك قبل أن أغادرك إنه يجب عليك استشارة طبيب.

ألارانتثيم : ليس بين الأطباء المجاورين لى من أثق فيه، بالإضافة إلى أنى لم أكن أحس بالمرض إذ ذاك بهذه الشدة.

إرهـارت : أحالتك ازدادت سوءًا يا خالتي؟

ألارانتثيم : نعم يا بنى العزيز، لقد ازدادت حالتى سوءًا.

إرهـارت : ولكن ليس فى الأمر خطورة؟

ألارانتثيم : هذا يتوقف على الطريقة التى تنتظر بها إلى المرض.

إرهـارت : (فى تأكيد) حسن، إذن، سأخبرك بما يجب عمله

يا خالتي أللا، لا تفكرى أبدا فى العودة إلى

منزلك فى الوقت الحاضر.

ألارانتثيم : لا، لم أفكر فى ذلك.

إرهـارت : يجب أن تبقى بالمدينة، لأنك هنا تستطيعين اختيار أحسن الأطباء.

ألا راتثيم : هذا ما فكرت فيه عندما تركت البيت.

إرهـارت : إذن يجب أن تتأكدى من الحصول على بيت لطيف تعيشين فيه، بيت يضم حجرات هادئة مريحة...

ألا راتثيم : لقد ذهبت هذا الصباح إلى بيتى القديم الذى تعودت الحياة فيه...

إرهـارت : أوه، هذا حسن، فقد كنت مرتاحة فيه.

ألا راتثيم : نعم، ولكنى لن أبقى هناك على كل حال.

إرهـارت : حقاً؟ ولم لا؟

ألا راتثيم : لقد غيرت رأى بعد الوصول هنا.

إرهـارت : (فى دهشة) حقاً؟ أغيرت رأيك؟

السيدة بوركمان : (وهى تعمل فى أشغال الابرة دون أن ترفع عينيها)

خالتك ستبقى هنا، فى منزلها الذى تملكه يا إرهـارت.

إرهـارت : (ينظر إليهما على التعاقب) هنا معنا؟! معنا؟؟

أهذا صحيح يا خالتي؟

ألاراثييم : نعم، هذا ما قررت عمله.
السيدة بوركمان : (كما كانت قبل) أنت تعلم أن خالتك تملك كل
شئ هنا.

ألاراثييم : لقد قررت أن أبقى هنا يا إرهارت. الآن... فى
الوقت الحاضر، سأعد لى شقة صغيرة فى
الجناح الذى يقيم فيه السيد.

إرهارت : أه، هذه فكرة طيبة، ففى الجناح حجرات كثيرة.
(وفى مرح مفاجئ) ولكن، بالمناسبة يا خالتي،
ألسمت متعبة جدا بعد هذه الرحلة؟

ألاراثييم : أوه، نعم، جد متعبة.

إرهارت : حسن، إذن، أظن أنه يجب أن تأوى إلى فراشك
مبكرة.

ألاراثييم : (تنظر إليه مبتسمة) وهذا ما نويته.

إرهارت : (بحماسة) وبعد ذلك نستطيع غدا... أو فى أى
يوم آخر بالطبع... أن نتحدث حديثًا طويلاً فى
مختلف الموضوعات، نتحدث فى كل شئ على
العموم أنت وأمى وأنا، أليست هذه خطة طيبة يا
خالتي ألالا...

السيدة بوركمان : (في غضب مفاجئ ناهضة من الأريكة) إرهارت،
إني أرى أنك تريد أن تتركني وتخرج...

إرهـارت : (يفجأ) ماذا تعنين بذلك؟

السيدة بوركمان : إنك ذاهب إلى... إلى آل هنكل.

إرهـارت : (من غير قصد) أوه، هذا! (يستجمع نفسه)

ولكنك لا تريدني أن أجلس هنا لأبقى خالتي

مستيقظة إلى منتصف الليل؟ تذكرى أنها مريضة

يا أمى.

السيدة بوركمان : إنك ذاهب إلى آل هنكل يا إرهارت.

إرهـارت : (في نفاذ صبر) فى الحقيقة يا أمى، أنا لا أستطيع

التحلل من هذا الموعد، ما رأيك يا خالتي؟

ألا راتثيـم : أحب أن تتصرف بحرية كاملة يا إرهارت.

السيدة بوركمان : (تذهب إليها متوعدة) إنك تريدني إيعاده عنى!

ألا راتثيـم : (تنهض) نعم، وباليتى أستطيع يا جنهيد!

(تسمع موسيقى من الطابع العلوى)

إرهـارت : (يتلوى كأنما يؤلمه شىء) أوه، لا طاقة لى

باحتمال هذا! (ينظر حوله) أين وضعت قبعتى؟

أتعلمين ماذا تعزف فى الدور العلوى؟

- ألا راتثيم : كلا، ماذا تعزف؟
- إرهـارت : إنه اللحن الجنازى... رقصة الموت! ألا تعلمين
رقصة الموت يا خالتي؟
- ألا راتثيم : (تبتسم فى حزن) ليس بعد يا إرهـارت.
- إرهـارت : (للسيدة بوركمان) أمى، أرجوك وأتوسل
إليك... دعيني أذهب!
- السيدة بوركمان : (تنظر إليه بشدة) بعيدا عن أمك؟ أهذا ما تريد
أن تفعله؟
- إرهـارت : سأعود ثانية بالطبع... ربما غدا.
- السيدة بوركمان : (فى حركة عاطفية) إنك تريد الابتعاد عنى!
لتذهب إلى هؤلاء الغرباء! مع.. مع.. كلا، إنى
لا أستطيع حتى التفكير فى ذلك!
- إرهـارت : هناك أضواء متألقة، ووجوه سعيدة شابة، وهناك
موسيقى يا أمى!.
- السيدة بوركمان : (تشير إلى أعلى) وهنا أيضا موسيقى يا إرهـارت.
- إرهـارت : نعم، ولكن هذه الموسيقى هى التى تدفعنى
للخروج من المنزل.
- ألا راتثيم : أتكره لأبيك أن ينسى همومه لحظة!

إرهـارت : كـلا، لست أكره له ذلك، إنى سعيد جداً... سعيد
جدا لانه ينسى همومه... بشرط ألا اضطر أنا
للسماع.

السيدة بوركمان : (تنظر إليه في جد) كن قويا يا إرهارت! كن قويا
يا بنى، لا تنس أن عليك واجبا مقدسا.

إرهـارت : أوه، يا أمى... جنينى هذه العبارات! فلم أولد
لأكون صاحب رسالة مقدسة... أتمنى لك ليلة
سعيدة يا خالتى العزيزة! ليلة سعيدة يا أمى!

(يخرج مسرعاً إلى الصالة)

السيدة بوركمان : (بعد فترة صمت قصيرة) لم تحتاجى إلى وقت
طويل لاستعادته إليك يا أლა على كل حال.

ألا رانثيم : أتمنى أن أتطيع تصديق ذلك.

السيدة بوركمان : ولكنك سترين أنه لن يُسمح لك بالاحتفاظ به
طويلاً.

ألا رانثيم : لن يُسمح لى؟ تعنين أنك لن تسمحي لى؟

السيدة بوركمان : أنا أو... هى، المرأة الأخرى.

ألا رانثيم : ما دام الأمر كذلك فإنى أفضلها عليك.

السيدة بوركمان : (تحنى رأسها موافقة في بطاء) هذا شىء أفهمه،

فإني أقول نفس الشيء، أتمنى أن تأخذه هي مني
على أن تأخذه أنت.

أللا راتثيم : مهما حدث له في النهاية.

السيدة بوركمان : لا أهمية كبيرة لذلك، هذا ما أقوله.

أللا راتثيم : (تحمل معطفها وقبعتها على ذراعها) للمرة الأولى
في حياتنا نحن التوأمن نتفق على رأى واحد،
أتمنى لك ليلة سعيدة يا جنهيلد.

(تخرج من الباب المؤدى إلى الصالة - يعلو

صوت الموسيقى في الطابق العلوى)

السيدة بوركمان : (تقف بلا حراك لحظة، ثم تجفل فجأة في اشمزاز ثم
تمس كأنها على غير رغبتها) ها هو ذا عواء
الذئب يعود ثانية، الذئب المريض (تقف بلا
حراك، ثم تلقى بنفسها على الأرض وهى تتلوى
من الألم هامسة) إرهارت! إرهارت... كن
مخلصاً لى! أوه، عد إلى المنزل لتقف إلى جانب
أمك! فلن أستطيع احتمال هذه الحياة أكثر من
ذلك!

«ستار»

الفصل الثانى

المنظر:

(الصالة الكبرى في الدور العلوى من منزل
أللا رانثيم، الجدران مغطاة بستائر وسجاجيد
مرسوم عليها مناظر القنص، والرعاة والراعيات،
ولكن ألوانها حائلة.

إلى اليسار باب ذو مصراعين وفي المقدمة
اليسرى بيانو، فى الركن الأيسر إلى الخلف باب
مغطى بستارة دون إطار. فى وسط الباب الأيمن
مكتب ضخم من البلوط المحفور، فى الحجرة كثير
من الكتب والأوراق.

فى المقدمة اليمنى أريكة ومنضدة أمامها
عدد من الكراسى، الأثاث من الطراز
الإمبراطورى القديم. على المكتب والمنضدة
مصابيح مشتعلة.

جون جابرييل بوركمان يقف إلى جانب
البيانو واضعاً يديه خلف ظهره، مستمعاً إلى الجزء
الأخير من رقصة الموت التى تعزفها فريدا
فولدول.

وبوركمان رجل متوسط القامة متين
التركيب قوى الجسم قارب الستين من عمره،
مظهره متميز وتقاطيعه حادة وعيناه ثابتان وشعر
رأسه ولحيته المجمع الرمادى يغلب عليه البياض،
وهو يلبس حُلَّة سوداء من طراز قديم نوعاً وربطة
عنق بيضاء.

أما فريدا فولدول فهي فتاة جميلة شاحبة
الوجه، فى الخامسة عشرة من عمرها. على وجهها
تعبير يجمع بين الصرامة والتعب، ملابسها رخيصة
خفيفة الألوان)

(لحظة صمت بعد انتهاء الموسيقى)

- بوركمـان : أتستطيعين أن تخمنى متى استمعت إلى مثل هذه
الألحان لأول مرة؟
- فـريدا : (تنظر إليه) كلا يا سيد بوركمان.
- بوركمـان : كان ذلك فى جوف المناجم.
- فـريدا : (غير فاهمة) حقاً؟ فى جوف المناجم؟
- بوركمـان : أبى كان عاملاً فى المناجم كما تعلمين، أو لعلك
لا تعلمين؟

فـرـيـدا : كلا يا سيد بوركمان.

بوركمان : أنا ابن أحد عمال المناجم، وقد كان من عادة أبي أن يأخذنى معه أحيانا إلى جوف المنجم. إن المعادن تغنى هناك.

فـرـيـدا : حقا؟ أتغنى؟

بوركمان : (يخنى رأسه موافقا) عندما تتخلص من قيدها، إن ضربات المطارق التى تخلصها ليست إلا أجراس نصف الليل التى تدق احتفالا بحريتها، ولهذا تغنى... على طريقتها... سرورا.

فـرـيـدا : ولماذا تفعل ذلك يا سيد بوركمان؟

بوركمان : لأنها تريد أن تصعد إلى الضوء وتخدم الإنسان. (يقطع الصالة ذهابا وجيئة ويدها دائما خلف ظهره).

فـرـيـدا : (تجلس صامتة فترة قصيرة ثم تنظر فى ساعتها وتقف) أرجو المعذرة يا سيد بوركمان، أخشى أن أكون مضطرا إلى الانصراف.

بوركمان : (يقف أمامها) أذاهبة أنت فى الحال؟

- فـريـدا : (تضع قطع الموسيقى فى حقيبتها) حقيقة يجب أن أذهب. (فى تأثير واضح) عندى موعد هذه الليلة.
- بوركمـان : لحفل؟
- فـريـدا : نعم.
- بوركمـان : وهل ستعزفين أمام الناس؟
- فـريـدا : (تعض شفيتها) كلا، ولكنى على الأقل سأعزف لهم أثناء الرقص.
- بوركمـان : للرقص فقط؟
- فـريـدا : نعم، فالعشاء يعقبه حفل راقص.
- بوركمـان : (يقف وينظر إليها) أتحبين عزف الألمان الراقصة؟ أعنى فى الحفلات؟
- فـريـدا : (تلبس معطفها وقبعتها) نعم، عندما يتفق معى، فإنى أكسب بعض المال من هذا الطريق.
- بوركمـان : (فى اهتمام) أهذه هى الفكرة الرئيسية التى تشغل ذهنك وأنت تعزفين للراقصين؟
- فـريـدا : لا، فعادة ما أفكر فى أنه من أصعب الأمور ألا أشارك أنا نفسى فى الرقص.

بوركمان : (يخني رأسه موافقاً) هذا بالضبط ما كنت أريد معرفته. (يتحرك في الغرفة في قلق) نعم، نعم، نعم، إن أصعب شيء على النفس ألا تستطيعي الاشتراك في الرقص. (يقف) ولكن هناك أمراً يا فريدا يساعدك على تحمل ذلك...

فريدا : (تنظر إليه في تساؤل) وما هذا يا مستر بوركمان؟

بوركمان : معرفتك أن إحساسك بالموسيقى عشرة أضعاف إحساس جميع أولئك الراقصين.

فريدا : (تبتسم في خجل) أوه، ولكن ذلك كله أمر غير مؤكد.

بوركمان : (يشير إليها بسبابته محذراً) إياك أن ينتابك جنون الشك في نفسك!

فريدا : ولكن ما دام الأمر غير معروف لأحد...

بوركمان : ما دمت أنت نفسك تعرفينه فهذا يكفي. وأين ستذهبين للعزف الليلية؟

فريدا : عند آل هنكل.

بوركمان : (بنظرة سريعة حادة إليها) أقلت آل هنكل؟

- فـريـدا : نعم.
- بوركمـان : (بابتسامة ساخرة) أقيم هذا الرجل حفلات؟ أيجد من الناس من يزوره؟
- فـريـدا : نعم، لقد قالت مسز ويلتن إن كثيراً من الناس يزورونهم.
- بوركمـان : (بشدة) وأى صنف من الناس هؤلاء؟ يمكنك أن تخبريني؟
- فـريـدا : (بقليل من العصبية) كلا، فإني فى الحقيقة لا أعرف، بل نعم، فقد عرفت بالمناسبة أن السيد بوركمـان الصغير سيكون هناك الليلة.
- بوركمـان : (يتراجع مأخوذاً) إرهارت؟ ابني؟
- فـريـدا : نعم، إنه ذاهب عندهم.
- بوركمـان : وكيف عرفت؟
- فـريـدا : لقد قال هو نفسه ذلك... منذ ساعة مضت.
- بوركمـان : هل حضر هنا اليوم؟
- فـريـدا : نعم، فقد أمضى طيلة بعد الظهر فى منزل السيدة ويلتن.

بوركمان : (متسائلاً) أتعلمين إن كان قد حضر إلى هذا المنزل أيضاً؟ أعنى هل زار أحداً فى الطابق الأول؟

فريدا : نعم لقد جاء لزيارة السيدة بوركمان.

بوركمان : (بمرارة) آها... كان يجب أن أعلم ذلك.

فريدا : وأظن أن سيدة قريبة أيضاً كانت تزورها.

بوركمان : حقاً؟ أكانت هناك زائرة؟ أوه، نعم، فإني أظن أن الناس يأتون بين الحين والحين لزيارة السيدة بوركمان.

فريدا : أطلب من السيد بوركمان الصغير إذا ما قابلته الليلة أن يزورك أنت أيضاً؟

بوركمان : (بخشونة) لن تفعلنى شيئاً كهذا... فلست أريد ذلك مهما كانت الأسباب، من يريد زيارتى فليأت بمحض إرادته، ولكنى لن أطلب من أحد زيارتى.

فريدا : أوه، حسن جداً، لن أقول شيئاً إذن، أتمنى لك ليلة سعيدة يا سيد بوركمان.

بوركمان : (يسير جيئةً وذهاباً وهو يهمهم) مساء الخير.

فريدا : ألدك مانع إن كنت أنزل من السلم الحلزوني؟
فهو أقصر طريق.

بوركمان : أوه، لا مانع مطلقاً، استعملى أى سلم تريدين،
فلا شأن لى، أتمنى لك ليلة سعيدة!

فريدا : مساء الخير يا سيد بوركمان.

(تخرج من الباب الصغير المغطى فى الركن الأيسر. يتوه فى أفكاره فيذهب إلى البيانو ويهيم بغلقه ثم يغير رأيه وينظر حوله فى الحجرة الكبيرة الخالية، ثم يبدأ فى ذرعها من البيانو إلى الركن الأيمن ذهاباً وجيئة فى عصبية وإصرار، وأخيراً يذهب إلى المكتب ويتسمع تجاه الباب ذى المصراعين فيسحب بسرعة مرآة يد ينظر فيها وينظم ربطة عنقه .

طرفة على الباب يسمعها بوركمان وينظر بسرعة تجاه الباب ولكنه يظل صامتاً، بعد فترة قصيرة سمع طرفة أقوى).

بوركمان : (يقف بجوار المكتب وقد استند عليه بيده اليسرى بينما وضع يده اليمنى فى صدر سترته) ادخل!

(يدخل ولهم فولدول الحجرة بمدوء، وهو
رجل منهمك منحني الجسم عيناه زرقاوان
لطيفتان وشعره طويل خفيف رمادى يتدلى على
ياقة سترته، يحمل تحت ذراعه محفظة أوراق وقبعة
لينة من اللباد ويلبس نظارات كبيرة إطارها من
العظم يرفعها إلى جبهته).

بوركمان : (يغير من موقفه وينظر إلى فولدول وعلى وجهه
تعبير يجمع بين خيبة الأمل والسرور) أوه، أليس
من أحد غيرك؟

فولدول : مساء الخير يا جون جابرييل، نعم، أنت ترى أنه
أنا.

بوركمان : (بنظرة صارمة) لا مناص أن أقول إنك فى
الحقيقة زائر متأخر.

فولدول : نعم ولكنك تعلم أن الطريق طويل بعض الشيء،
خاصة إذا كد الإنسان ماشيا على قدميه ليقطعه.

بوركمان : ولكن لماذا تمشى دائما يا ولهم والترام يمر أمام
بيتك؟

فـولدول : من الخير للإنسان أن يمشى، خاصة وأنه يوفر

بنسين فى كل مرة. بالمناسبة ألم تحضر فريدا

للغزف لك فى الأيام الأخيرة؟

بوركمان : لقد خرجت منذ دقيقة واحدة، ألم تقابلها فى

الخارج؟

فـولدول : كلا، فلم يقع نظرى عليها منذ وقت طويل، منذ

ذهبت للسكنى عند من تدعى السيدة ويلتن.

بوركمان : (يجلس على الأريكة وهو يشير إلى كرسى) أجلس

ياولهم.

فـولدول : (يجلس على حافة كرسى) شكراً جزيلاً. (ينظر

إليه وقد بدت الكآبة على وجهه) إنك لا تدرى

مبلغ الوحدة التى أحس بها منذ غادرتى فريدا.

بوركمان : أوه، خفف عن نفسك... فقد غادرك قبلها

كثيرات.

فـولدول : نعم، يعلم الله أنه قد غادرنى الكثيرات، خمس من

بناتى، ولكن فريدا هى الوحيدة التى كانت

تفهمنى. (يهزُّ رأسه بحزن) لم يكن الأخرىات

يفهمنى إطلاقاً.

بوركمـان : (بكآبة وقد حدد نظره أمامه وأخذ يدق بأصابعه على المنضدة) نعم، هذا هو لبُّ الموضوع، إنها اللعنة التي قُدِّر لنا نحن العباقرة المختارين من الناس أن نتحملها، فإن القطيع العادي، المتوسطين من الرجال والنساء... لا يفهموننا يا ولهلم.

فـولدول : (في خضوع) لو أن الأمر اقتصر على عدم الفهم... فإن الإنسان بقليل من الصبر يستطيع أن ينتظر بعض الوقت. (وقد اختنق صوته بالدموع) ولكن هناك ما هو أمرٌ.

بوركمـان : (بحدة) ليس هناك ما هو أمرٌ.

فـولدول : بل هناك يا جون جابرييل، لقد تشاجرت فى المنزل الليلة... قبل أن أخرج مباشرة.

بوركمـان : حقا؟ ولماذا؟

فـولدول : (ثائراً) إنهم فى بيتى... يحتقروننى.

بوركمـان : (بجنق) يحتقرونك!؟

فـولدول : (يمسح دموعه) لقد كنت أعرف ذلك منذ زمن طويل، ولكن الليلة وضح الأمر وضوحاً تاماً.

بوركمـان : (بعد فترة صمت قصيرة) أخشى أن أقول إن زواجك كان قرارًا أحمق.

فـولدول : لم يكن لى فى الواقع أى اختيار فى الموضوع، خاصة وأن الإنسان يحتاج إلى من يصحبه فى أيامه الأخيرة، ولما كنت فى ذلك الوقت محطماً.. مفلسًا إفلاسًا تامًا...

بوركمـان : (يقف ثائرًا فى غضب) أتعينى بذلك؟ أهو توبيخ لى؟

فـولدول : كلا، كلا، بحق الإله يا جون جابرييل!

بوركمـان : نعم، إنك تفكر فى كارثة البنك، وإنى لعلى يقين فى ذلك!

فـولدول : (مهدئًا) ولكنى لا ألومك لما حدث! حرام!

بوركمـان : (مهممًا وهو يجلس) حسن، هذا كلام طيب على أى حال.

فـولدول : ومع ذلك، لا تظن أنى أشكو من زوجتى، حقيقة هى غير مهذبة، مسكينة، ولكنها على كل حال زوجة طيبة، إنهم أولادى.

بوركمـان : هذا ما ظننته.

فولدول : لأن الأولاد... وقد زادت كثافتهم، ينتظرون

نوعًا من الراحة في حياتهم أكثر مما أتيحه لهم.

بوركمان : (ينظر إليه في عطف) ولهذا يحتقرك أولادك يا ولهم؟

فولدول : (يهز كتفيه) أنت تعلم أنى لم أنجح فى حياتى

نجاحًا يذكر... ولا يمكن نكران ذلك.

بوركمان : (يقترّب ويضع يده على ذراعه) ألا يعلمون إذن

أنك كتبت فى شبابك مأساة مسرحية؟

فولدول : بلى، بالطبع يعلمون ذلك، ولكن يبدو أن ذلك لا

يترك أثرًا فى نفوسهم.

بوركمان : إنهم إذن لا يفهمون فى الأدب، فإن مسرحيتك

جيدة، وإنى مقتنع بذلك تمامًا.

فولدول : (فى سرور) نعم، ألا تظن أن فيها بعض المناظر

الجيدة يا جون جابرييل؟ يا إلهى، لو استطعت

فقط تقديمها على المسرح! (يفتح حافظة أوراقه

ويبدأ فى لهفة فى البحث فى محتوياتها) انظر، دعنى

أريك بعض ما قمت به من تغيير فى موقف أو

موقفين.

بوركمان : أهى معك؟

فولدول : نعم، فكرت فى إحضارها، فقد مضى وقت طويل منذ قرأتها لك، فظننت أنه قد يسرك أن أقرأ لك منها فصلاً أو فصلين.

بوركمان : (يقف ويشير بيده نفيًا) لا، لا، فليكن ذلك فى وقت آخر.

فولدول : فليكن، كما تشاء. (يذرع بوركمان الغرفة، بينما يضع فولدول الأوراق فى الحافظة).

بوركمان : (يقف أمامه) لقد كنت على حق تمامًا فيما قالته الآن بخصوص عدم توفيقك فى عملك، ولكنى أعدك يا ولهم أنه عندما تدق ساعة خلاصى وعودتى إلى سابق عهدى.

فولدول : (يحاول القيام) أوه، شكرًا، شكرًا!

بوركمان : (يحرك يده) لا، اجلس أرجوك. (فى انفعال يتزايد) عندما تدق ساعة عودتى إلى سابق عهدى... عندما يتأكدون أنهم لن يستطيعوا المضى بدونى... عندما يحضرون إلى هنا فى هذه القاعة، ويزحفون إلى موطئ قدمى متوسلين

أن أعود إلى قيادة زمام البنك! البنك الجديد الذى
أسسوه ولم يستطيعوا إدارته...

(يقف بجوار المكتب كما كان يقف قبل دخول
فولدول ضاربًا بكفه على صدره) سأكون واقفًا
هنا لاستقبالهم! وسيعرف الجميع فى كل مكان
فى القطر أى شروط وضعها جون جابرييل
بوركمان قبل أن... (يسكت فجأة ويحملك فى
فولدول) إن نظراتك تتطرق بالشك! لعلك لا
تصدق أنهم سيحضرون! لعلك لا تصدق أنهم
يجب أن يحضروا يومًا ما، يجب، يجب. ألا
تصدق ذلك؟

فولدول : يعلم الله أنى أصدق يا جون جابرييل.

بوركمان : (يجلس ثانية على الأريكة) إنى أصدق ذلك تمام
التصديق، وإنى لمقتنع تمامًا... وعارف بأنهم
سيحضرون، لو لم أكن متأكدًا من ذلك لأطلقت
على رأسى الرصاص منذ زمن طويل.

فولدول : (قلقًا) أوه، كلا، بحق الإله!

بوركمـان : (بفخر) ولكنهم سيحضرون! سيحضرون ولا شك فى ذلك! وسترى! إنى أنتظرهم فى أى يوم، فى أى لحظة، ولهذا ترى أننى على تمام الأهبة فى أى وقت لاستقبالهم.

فـولدول : (يتهدد) لو أنهم يحضرون سريعاً؟

بوركمـان : (قلقاً) نعم، فالوقت يطير، والسنون تهرب منّا، والحياة... آه، لا، لا أجسر على التفكير فى ذلك! (ينظر إليه) أتعرف كيف أشعر فى بعض الأوقات؟

فـولدول : كيف؟

بوركمـان : أحس كأنى نابليون وقد بُترَ أحد أعضائه فى أولى معاركه.

فـولدول : (يضع يده على حافظته) عندى هذا الإحساس أنا أيضاً.

بوركمـان : أوه، نعم، ولكن ذلك على نطاق أصغر بالطبع.

فـولدول : (مهدوء) إن عالمى الشعرى الصغير ثمين جداً بالنسبة لى يا جون جابرييل.

بوركمـان : (بجدة) نعم، ولكن فكر فى، أنا الذى كان فى استطاعتى أن أجمع ملايين! أنا الذى كنت أتحكم فى كل هذه المناجم! وهذه العروق المعدنية الجديدة التى لا عدد لها! ومساقط المياه! والمحاجر! وخطوط التجارة، والبواخر التى تجوب الدنيا الفسيحة كلها! لقد كنت أنظم هذا كله... أنا وحدى!

فـولدول : نعم، أعرف، أعرف، لم يكن هناك ما تحجم عنه فى هذا العالم.

بوركمـان : (بعصر يديه إحداهما بالأخرى) والآن، أضطر إلى الجلوس هنا كالنسر الجريح أنظر إلى الآخرين وهم يسبقوننى ويأخذون منى كل شىء قطعة قطعة.

فـولدول : هذا حظى أنا أيضا.

بوركمـان : (غير ملتفت إليه) فكر فقط فى ذلك فى أنى كنت أقرب ما أكون إلى الهدف! لو كنت قد أعطيت أسبوعًا واحدًا فقط أنظم فيه أمرى! لكنك غطيت جميع الودائع وأعدت جميع التأمينات التى

تصرفت فيها بجرأة إلى مكانها، كم شركة
عظيمة كان بينها وبين النجاح شعرة، لو حدث
ذلك لما ضاع لأحد نصف بنس.

فـولـدول : نعم، نعم، كنت قد وضعت قدمك على حافة
النجاح.

بوركمـان : (في ثورة مكتومة) وعندئذ تغلبت على الخيانة!
في نفس هذه اللحظة الحرجة! (ينظر إليه) أتعرف
ما هي أكثر جرائم الإنسان سفالة؟

فـولـدول : كلا، خيّرني.

بوركمـان : إنها ليست جريمة القتل، وليست السرقة أو
السطو على المنازل، أو حتى القسم الكاذب، لأن
هذه الجرائم كلها يرتكبها الناس مع من
يكرهونهم، أو من لا يباليونهم أو يهتمون بهم.

فـولـدول : وما أفضح الجرائم إذن يا جون جابرييل؟

بوركمـان : (في تأكيد) أسفل الجرائم هي تلك التي يخون
فيها الصديق ثقة صديقه.

فـولـدول : (في بعض الشك) نعم، ولكنك تعرف...

بوركمان : (في غضب وثورة) ماذا أنت قائل؟ إنى أرى ذلك واضحاً في وجهك، ولكن دون جدوى، كل من كانت لهم تأمينات في البنك كانوا سيستردونها... إلى آخر بنس. كلا، سأخبرك بأبشع الجرائم، إنها تلك التى يستغل فيها الرجل خطابات صديقه، فينشر على الملأ ما كان سرّاً خاصاً به وحده، سرّاً كهمة فى حجرة خالية مظلمة مغلقة الأبواب. إن من يفعل ذلك لهو فاسد وضار إلى آخر درجة، وقد وصل بأخلاقه إلى غاية ما يمكن أن يصل إليه من الخبيث، ومثل هذا الصديق كان صديقى... وهو الذى حطمنى.

فولدول : فى استطاعتى أن أخص من تعنى...

بوركمان : لم أتردد لحظة فى أن أطلعته على كل ما خفى ودق من أمرى، وعندئذ، عندما حلت اللحظة المناسبة سدد إلى الأسلحة التى وضعتها أنا نفسى فى يديه.

فولدول : لم أستطع أبداً فهم السبب الذى... بالطبع تهامس الناس بمختلف الإشاعات فى ذلك الوقت.

بوركمـان : وما كانت هذه الهمسات؟ خبّرني، فأنت تعلم أنني لا أدرى شيئاً، لأنى اضطررت إلى المضى فوراً إلى... إلى عزلتى... بم كان يهمس الناس يا ولهم؟

فـولدول : كانوا يقولون إنك كنت تطمع فى أن تكون وزيراً.

بوركمـان : لقد عرض على منصب الوزارة ولكنى رفضته.

فـولدول : لم تكن إذن تقف فى طريقه فى هذا الأمر؟

بوركمـان : أوه، كلا، لم يكن ذلك سبب خيانتة لى.

فـولدول : أنا إذن لا أفهم حقيقة الأمر.

بوركمـان : سأخبرك به على أى حال يا ولهم.

فـولدول : قلى لى.

بوركمـان : كان... فى الحقيقة كان فى الأمر امرأة...

فـولدول : فى الأمر امرأة؟ ولكن يا جون جابرييل...

بوركمـان : (يقاطعه) كفى كفى... دعنا نسكت عن هذه

الحكايات القديمة السخيفة، وعلى كل لم يصل

أحدنا إلى مركز الوزارة، لا هو ولا أنا.

فـولدول : ولكن نجمه ارتفع فى أنحاء الدنيا.

- بوركمـان : وسقطت أنا فى الهاوية.
- فـولدول : أوه، يا لها من مأساة مروعة.
- بوركمـان : (يهز رأسه فى موافقة) مروعة كمأساتك، هذا ما أظنه إذا ما فكرت فيها.
- فـولدول : (ببساطة) نعم، من ناحية أنها مروعة.
- بوركمـان : (يضحك فى هدوء) ولكن إذا نظرت إليها من زاوية أخرى وجدتها فى الحقيقة كأنما هى ملهاة.
- فـولدول : ملهاة؟ قصة حياتك؟
- بوركمـان : نعم، يبدو أنها تتجه إلى ذلك، فما سأخبرك به...
- فـولدول : ماذا؟
- بوركمـان : سبق أن قلت إنك لم تقابل فريدا فى أثناء قدومك.
- فـولدول : نعم.
- بوركمـان : فى هذه اللحظة ونحن جالسان هنا، تعزف هى ألحان الفالز لضيوف ذلك الرجل الذى خاننى وحطمنى.
- فـولدول : ليس عندى أدنى فكرة عن ذلك.
- بوركمـان : نعم لقد أخذت نوتاتها الموسيقية وذهبت من عندى رأسًا إلى... إلى المنزل الكبير.

- فـولـدول : (معتدراً) لكن، أنت تعلم، الطفلة المسكينة.
- بوركمـان : وهل تستطيع أن تخمن لمن ستعزف... مع غيره
من الحضرين؟
- فـولـدول : كلا.
- بوركمـان : لابنى.
- فـولـدول : ماذا؟
- بوركمـان : ما تظن فى ذلك يا ولهم؟ ابنى هناك فى حلبة
الرقص هذا المساء... ألسـت على حق إذ أسـمى
الأمر ملهـاء؟
- فـولـدول : ولكن تأكد فى هذه الحالة أنه لا يعرف شيئاً عن
الموضوع.
- بوركمـان : ما الذى لا يعرفه؟
- فـولـدول : تأكد أنه لا يعرف كيف أنه... هذا الرجل...
- بوركمـان : لا تحجم عن ذكر اسمه، فإنى أستطيع أن أتحمـل
سماعه الآن.
- فـولـدول : أنا واثق من أن ابنك لا يعلم الظروف يا جون
جابريل.

بوركمـان : (فى وجوم، يجلس ويدق على المنضدة) بل هو يعلم، إنى على ثقة من ذلك كنتى بجلوسى هنا.

فـولدول : كيف يمكن إذن أن يكون ضيفاً فى هذا البيت؟

بوركمـان : (بهز رأسه) لعل ابنى لا يرى الأمور كما أراها، بل إنى أقسم أنه فى صف أعدائى! لا شك أنه يظن - كما يظن الناس جميعاً - أن هنكل حين خاننى لم يفعل إلا واجبه الكريه.

فـولدول : ولكن يا صديقى العزيز، من تظنه جعله يرى الأمور هكذا؟

بوركمـان : من؟ نسيت من الذى رباه؟ ألم تربه خالته منذ كان فى سن السادسة أو السابعة، ثم تولت أمه تربيته فى هذه السنين الأخيرة؟

فـولدول : فى اعتقادى أنك تظلمهم بهذا الكلام...

بوركمـان : (يستشيط غضبا) أنا لم أظلم فى حياتى قط! كلاتهما سممت أفكاره من ناحيتى، وإنى لأؤكد ذلك!..

فـولدول : طيب، طيب، طيب، إنى أظنهما فعلتا.

بوركمـان : (في حق) يا لهؤلاء النساء! إنهن يحطمن حياتنا
ويقوضنها! إنهن يقمن بدور الشيطان في تحطيم
مستقبلنا... وتقدمنا في سبيل النجاح.

فـولدول : ليس كلهن!

بوركمـان : حقا؟ أنتستطيع أن تذكر لي امرأة واحدة تصلح
لشئ ما؟

فـولدول : كلا، وهذه هي المشكلة، فإن القليلات اللاتي
أعرفهن لا يصلحن لشئ.

بوركمـان : (بلهجة احتقار) حسن، إذن، ما فائدة ذلك؟ ما نفع
هؤلاء النساء الموجودات... ما دمت لن تعرفهن
أبدا؟

فـولدول : (بحرارة) بل هناك فائدة في ذلك يا جون
جابريل، وإني لأؤكد هذا، فإنها فكرة مباركة
خييرة أن نعلم أن هناك في هذا العالم في مكان ما
بعيد كل البعد... توجد على كل حال امرأة
حقيقية.

بوركمـان : (يتململ في مجلسه على الأريكة) أوه، جنبني هذا
الهرء الشعري.

فـولـدول : (ينظر إليه وقد جُرحت كرامته جرحاً عميقاً)
أُسمى إيماني المقدس هراء شعرياً؟.

بوركمـان : (بخشونة) نعم، أسمىه كذلك! فإن هذا هو الذى
منعك دائماً من النجاح فى الحياة. لو أنك طردت
هذه الأفكار من رأسك، لكان هناك أمل فى
استطاعتي مساعدتك فى الحياة، مساعدتك على
النهوض من كبوتك.

فـولـدول : (يغلى من الداخل) أوه، لن تستطيع ذلك.

بوركمـان : بل أستطيع، عندما أستعيد مكانتي ثانية.

فـولـدول : لن يحدث هذا قريباً.

بوركمـان : (فى عنف) لعلك تحسب أن هذا اليوم لن يأتى؟
أجبنى!

فـولـدول : لست أدرى كيف أجيب.

بوركمـان : (يقف ويقول فى برود وترفع، وهو يشير بيده إلى
الباب) إذن، لا فائدة لى منك بعد الآن.

فـولـدول : (يحملق فيه وهو جالس) لا فائدة.

بوركمـان : ما دمت لا تظن أن الريح ستتحول معى.

- فولدول** : كيف أعتقد ذلك إذا قسته بعقلي؟ يجب أولاً أن تسترد اعتبارك قانونياً.
- بوركمـان** : أستمـر! أستمـر!
- فولدول** : حقيقة إنى لم أستمـر فى تعليمى، ولكن ما قرأته من القانون يكفى لأن أعرف أن... .
- بوركمـان** : (بسرعة) تعنى أن ذلك مستحيل؟
- فولدول** : ليس هناك سوابق لذلك.
- بوركمـان** : الرجال الممتازون لا تطبق عليهم السوابق.
- فولدول** : القانون لا يعرف الامتيازات.
- بوركمـان** : (فى خشونة وتأكيد) إنك لست شاعراً يا ولهم.
- فولدول** : (يضع يديه على صدره دون وعى) أتقول هذا وأنت جاد؟
- بوركمـان** : (يترك الموضوع بدون إجابة) إننا نضيع وقتنا معاً، من الخير أن تمتنع عن زيارتى.
- فولدول** : أنت إذن تريدنى أن أترك حقيقة؟
- بوركمـان** : (دون أن ينظر إليه) لم يعد لى فائدة فيك.
- فولدول** : (بنعومة وهو يحمل حقيته) لا، لا، لا، لا أجلس على قول ذلك.

- بوركمـان : لقد كنت تكذب على طول هذا الوقت.
- فـولدول : (بهز رأسه) لم أكذب عليك قط يا جون جابرييل.
- بوركمـان : ألم تكن تجلس هنا لتبث في نفسى الأمل والثقة؟
ألم يكن ذلك كله كذبًا؟
- فـولدول : لم يكن كذبًا ما دمت تثق في موهبتى، ما دمت
تثق فيّ فأنا أثق فيك.
- بوركمـان : كنا إذن يخدع كل منا الآخر، بل كل منا يخدع
نفسه، نحن الاثنين.
- فـولدول : أو ليس هذا جوهر الصداقة يا جون جابرييل؟
- بوركمـان : (بيتسم في مرارة) نعم، صدقت في هذا، فالصداقة
تعنى... الخداع، لقد تعلمت هذا الدرس من قبل.
- فـولدول : (ينظر إليه) لست على شىء من الموهبة
الشعرية... وقد قلت لى رأيك هذا بخشونة.
- بوركمـان : (في لهجة أدق) أنت تعرف أنى لا أستطيع
الادعاء بأنى أفهم فى مثل هذه الموضوعات.
- فـولدول : لعلك تعرف أكثر مما تظن.
- بوركمـان : أنا؟
- فـولدول : (بنعومة) نعم أنت، وإنى لأخبرك أنى أنا نفسى

كثيراً ما ساورتني مثل هذه الشكوك، الشكوك

الفضيعة في أنى ربما أضعت حياتي في سبيل وهم.

بوركمـان : إذا فقدت الثقة في نفسك فأنت حقا في طريق
الهاوية.

فـولدول : وهذا هو السبب الذى جعلنى أحضر إليك
للاعتـماد على ثقـتك فى (بمسك قبـعته) ولكنك الآن
أصبحت غريباً عنى.

بوركمـان : وأنت كذلك بالنسبة لى.

فـولدول : مساء الخير يا جون جابرييل.

بوركمـان : مساء الخير يا ولهم.

(يخرج فولدول من الناحية اليسرى.

يظل بوركمان واقفاً لحظة وهو يحملق في

الباب المغلق، ويهتمُّ بالتحرك كأنما ينادى فولدول

ثم يغير رأيه، ويبدأ في ذرع الحجرة ويدهاه خلف

ظهره، ثم يقف بجوار المنضدة القريبة من الأريكة

ويطفئ المصباح فتصبح الحجرة نصف مظلمة،

وبعد لحظة قصيرة يسمع طرقاً على الباب المغطى

بالستارة)

بوركمان : (يفاجأ وهو عند المنضدة فيدور لمواجهة الباب ويقول بصوت عال) من الطارق؟
(لا تسمع إجابة ثم تسمع طرقة ثانية).

بوركمان : (دون حراك) من أنت؟ ادخل!
(تظهر في الباب ألالا رانثيم وهي تحمل شمعة مشعلة، وما زالت في ملابسها السوداء إلا أن معطفها ملقى على كتفها)

بوركمان : (يحملق فيها) من أنت؟ ماذا تريدين مني؟
ألالا رانثيم : (تغلق الباب وتتقدم داخل الحجرة) إنه أنا يا بوركمان.

بوركمان : (تضع الباب وتتقدم داخل الحجرة)
(يقف مذهولا وهو يحملق فيها بثبات ويقول في شبه همس) أنت.. أنت ألالا؟ أنت ألالا رانثيم؟

ألالا رانثيم : نعم، أنا عزيزتك ألالا كما اعتدت أن تنادينني في الأيام الماضية منذ سنوات عديدة... عديدة.

بوركمان : (بنفس اللهجة) نعم، إنك ألالا، أستطيع أن أراك الآن.

ألالا رانثيم : أستطيع التعرف على؟

- بوركمان : نعم، الآن بدأت أن...
 أלא رانثيم : لقد أثرت الأيام فيّ، وأصبحت في خريف العمر
 يا بوركمان، ألا ترى ذلك؟
 بوركمان : (بصوت مغتصب) يبدو أنك تغيرت كثيرا... عند
 النظرة الأولى.
 أלא رانثيم : لم تعد خصلات الشعر السوداء تغطي عنقي...
 الخصلات التي كنت تحب وقتاً ما أن تلتفها حول
 أصابعك...
 بوركمان : حقاً! لقد وضح الأمر الآن يا ألاء، لقد غيرت
 تسريحة شعرك.
 أלא رانثيم : (ببسملة حزينة) بالضبط، إن طريقة تسريح
 الشعر هي التي سببت هذا الاختلاف في
 المظهر.
 بوركمان : (مغيراً الموضوع) لم يكن عندي أدنى فكرة عن
 أنك في هذا الجزء من العالم.
 ألاء رانثيم : لقد وصلت توّاً.
 بوركمان : ما الذي دعاك إلى هذه الرحلة الطويلة الآن، في
 الشتاء؟

- أللا راتثيم : هذا ما ستسمعه الآن.
- بوركمان : أجننت لمقابلتي؟
- أللا راتثيم : أنت وغيرك، ولكي أخبرك عن الغرض من
حضورى يجب أن أعود إلى الماضى البعيد.
- بوركمان : يبدو عليك التعب.
- أللا راتثيم : نعم، أنا متعبة.
- بوركمان : ألا تجلسين؟ هنا على الأريكة!
- أللا راتثيم : نعم، شكراً لك، فإنى فى حاجة إلى الراحة...
(تقطع الغرفة إلى الناحية اليمنى وتجلس
على الطرف القريب من الأريكة، بينما يقف
بوركمان بجوار المنضدة ناظراً إليها وقد وضع
يديه خلف ظهره، فترة صمت قصيرة)
- أللا راتثيم : يخيل إلىّ أنه مرت أجيال طويلة لا نهاية لها منذ
التقينا آخر مرة وجها لوجه يا بوركمان.
- بوركمان : (بوجوم) إنه زمن طويل... طويل، وقد حدثت
منذ ذلك الوقت أحداث فظيعة.
- أللا راتثيم : لقد مرت حياة كاملة... حياة مضيعة.
- بوركمان : (ينظر إليها باهتمام) مضيعة!؟

- ألا رانثيم : نعم، قلت مضیعة... بالنسبة لکلینا.
- بورکمان : (فی نعمة باردة) لا أظن حتى الآن أن حیاتی مضیعة.
- ألا رانثيم : وماذا عن حیاتی أنا؟
- بورکمان : لا تلومی فی ذلك إلا نفسك یا أלא.
- ألا رانثيم : (تجفل) وتستطیع أن تقول ذلك؟
- بورکمان : كان فی استطاعتك أن تعيش فی سعادة بدونی.
- ألا رانثيم : أتعتقد ذلك؟
- بورکمان : إذا كنت قد قررت ذلك.
- ألا رانثيم : (بمرارة) أوه، نعم، فإنی أعلم تماماً أن شخصاً ما غیرك كان على أتم استعداد لیتزوجنی.
- بورکمان : ولكنك رفضته؟!
- ألا رانثيم : نعم، فعلت ذلك...
- بورکمان : لقد رفضته مرة بعد مرة، وسنة بعد أخرى...
- ألا رانثيم : (باحترار) أظنك تحسبني رفضت السعادة سنة بعد سنة؟
- بورکمان : كان من الممكن أن تكونی سعيدة تماماً معه، ثم كان من الممكن إذ ذاك أن تتقذینی.

ألا راتثيم : أنت؟

بوركمان : نعم، كان من الممكن أن تتقذيني يا ألالا.

ألا راتثيم : كيف؟

بوركمان : لقد ظن أنى السبب الحقيقى فى عنادك...

ورفضك الدائم، فصمم على الانتقام منى، وكان ذلك سهلاً جداً بالنسبة إليه، إذ كان يحتفظ بخطاباتى السرية الصريحة، فاستغلها، وبذلك قضى على... فى ذلك الوقت إن أردت الدقة، وهكذا ترين أنك السبب فيما حدث يا ألالا!

ألا راتثيم : أوه، حقاً يا بوركمان، إذا دققنا النظر فى المسألة

لوجدنا أنى مدينة لك بتعويض عما حدث...

بوركمان : هذا يتوقف على طريقة نظرك إلى المسألة، فأنا

أعلم تماماً كل ما فعلته من أجلنا، فقد اشتريت فى المزداد هذا المنزل وكل الممتلكات، ووضعت المنزل بكل ما فيه تحت تصرفى... وتصرف شقيقتك، كما أنك عنيت بإرهارت وتحملت نفقته من جميع الوجوه...

ألا راتثيم : لقد عنيتُ به طوال ما سُمح لى...

بوركمان : تعين سماح شقيقتك... إننى لم أتدخل أبداً فى هذه الأمور المنزلية، أعود فأقول إننى أعرف كل التضحيات التى قدمتها لى ولشقيقتك، ولكنك كنت فى مركز يسمح لك بذلك يا أئلا ويجب ألا تنسى أننى أنا الذى وضعتك فى هذا المركز.

أللا رانثيم : (فى غضب) إنك ترتكب خطأ كبيراً فى ذلك يا بوركمان! إن الحب الذى كان يملأ شغاف قلبى لإرهاوت... ولك أيضاً... هو الذى جعلنى أفعل ما فعلت...!

بوركمان : (مقاطعاً) يا عزيزتى أئلا دعينا من حديث العواطف وما أشبهه، إن ما أعنيه بالطبع هو أن السخاء الذى تصرفت به ليس إلا نتيجة للقوة التى وضعتها فى يديك...

أللا رانثيم : (تبتسم) هم... القوة فى يدي؟

بوركمان : (بحرارة) نعم، قلت القوة التى فى يديك! ففى الليلة التى اتخذت فيها قرارى النهائى فى المعركة... عندما لم يكن فى استطاعتى إعفاء صديق أو قريب، عندما كان على أن أمد يدي إلى... أعنى

عندما مددت يدي إلى الملايين من أموال التأمين
التي كانت أمانة لى... إذ ذاك أبقيت على
أموالك فلم آخذ مليماً واحداً منها، مع أنه كان فى
استطاعتى أن آخذها وأستغلها كما فعلت بأموال
الآخرين جميعاً!

ألا رانثيم : (برود وهدوء) هذا حق يا بوركمان.

بوركمان : نعم، هو كذلك، وذلك هو السبب فى أنهم عندما
جاءوا وأخذونى وجدوا أموالك فى خزانة البنك
كاملة لم تُمس.

ألا رانثيم : (تنظر إليه) لقد كنت أتساءل دوماً عن الأسباب
الحقيقية التى جعلتك تخفى أموالى، أموالى فقط
دون غيرها؟

بوركمان : أسبابى؟

ألا رانثيم : نعم أسبابك، خبرنى.

بوركمان : (بخشونة وازدراء) لعلك ظننت أنى فعلت ذلك
لأجد ما أستند عليه عندما تسوء الحال؟

ألا رانثيم : أوه، كلا، فىنى وثقة من أن ذلك لم يخطر ببالك
فى ذلك الحين...

بوركمـان : أبدا! فقد كنت واثقا تمام الوثوق من النصر...

ألا رانثيم : ما السبب إذن؟

بوركمـان : (يهز كتفه) الحق يقال يا ألاء، إنه ليس من

السهل أن يتذكر الإنسان دوافعه بعد عشرين عاماً، كل ما أعرفه أننى عندما بدأت وحدى فى صمت أمسك بخيوط المشروعات العظيمة التى كانت تطوف بذهنى كنت أحس بإحساس من يبدأ رحلة فى بالون، وكنت طوال ليالى الأرق أنفخ فى بالونى الجبار وأعد نفسى للتخليق بعيداً إلى مناطق خطيرة مجهولة.

ألا رانثيم : (مبتسمة) أنت، يا من لم يكن لديه أدنى شك فى

الانتصار؟

بوركمـان : (فى ضيق) هكذا خُلق الرجال يا ألاء، يشكون

ويؤمنون فى نفس الوقت (ينظر أمامه) وأظن أن هذا هو السبب الذى جعلنى لا آخذك أنت وأموالك معى فى البالون.

ألا رانثيم : (بلهفة) إنى أسألك لماذا؟ خبرنى لماذا!؟

بوركمـان : (دون أن ينظر إليها) إن الإنسان ليحجم عن
المخاطرة بأعز ما عنده فى مثل هذه الرحلة.

ألا رانثيم : لقد خاطرت بأعز ما عندك فى تلك الرحلة،
خاطرت بكل مستقبل حياتك.

بوركمـان : ليست الحياة دائماً هى أعز ما عند الإنسان...

ألا رانثيم : (مبهورة) أكان هذا شعورك فى ذلك الوقت؟

بوركمـان : أظننى أذكر شيئاً كهذا.

ألا رانثيم : كنتُ أعز شىء فى الدنيا عندك؟

بوركمـان : يبدو أننى أتذكر شيئاً من هذا القبيل.

ألا رانثيم : ومع ذلك مضت سنوات وسنوات منذ هجرتنى
وتزوجت... تزوجت أخرى!

بوركمـان : أتقولين هجرتك؟ يجب أن تعلمى تماماً أن هناك

دوافع غلياً... ثم كانت هناك دوافع أخرى

اضطرتنى لذلك، فبدون معاونته ما كنت

لأستطيع عمل شىء.

ألا رانثيم : (تتمالك نفسها) وعلى هذا هجرتنى بسبب...

دوافع غلياً؟

بوركمـان : ما كنت لأستطيع الوصول إلى شىء بدون مساعدته، وقد جعلك الثمن لمساعدته لى.

ألا رانثيم : وقد دفعت الثمن، دفعته كاملاً... دون مساومة.

بوركمـان : لم يكن لى اختيار، إما النجاح وإما الفشل.

ألا رانثيم : (فى صوت مرتعش وهى تنظر إليه)

أمكن أن يكون ما قلته لى صحيحاً... من أننى كنتُ أحبُّ شىء فى العالم إلى قلبك؟؟

ألا رانثيم : كنت كذلك وبعد ذلك... بزم من طويل، طويل.

ألا رانثيم : ولكنك مع ذلك قايضت على، عقدت صفقة مع

رجل آخر بعث فيها حبك، بعث حبي من أجل... من أجل الرئاسة.

بوركمـان : (بكآبة وهو يحنى رأسه) كانت تدفعنى رغبة جامحة يا ألا.

ألا رانثيم : (تنهض من الأريكة وهى ترتجف متأثرة بعواطفها) مجرم!

بوركمـان : (يجملق فيها ولكنه يضبط نفسه) سمعت هذه الكلمة من قبل.

ألا رانثيم : أوه، لا تتصور أننى أفكر فى أى جريمة ارتكبتها ضد القوانين الأرضية! أتظن أننى أهتم أقل اهتمام... باستغلالك هذه المستندات والضمانات أو أى اسم آخر أطلقته عليها؟! لو كان قد قدر لى أن أقف بجانبك عندما حلت الكارثة؟!!

بوركمان : (بشوق) ماذا كان يحدث يا ألا؟

ألا رانثيم : صدقنى، كنت تحملت بسرور كل ما يحلُّ بك، العار، والخراب... وكنت ساعدتك على أن تتحملها كلها... كلها!

بوركمان : أكنت تملكين الإرادة... والقوة؟

ألا رانثيم : الإرادة والقوة كليهما، لأننى ما كنت أعلم إذ ذاك شيئاً عن جريمتك الكبرى الفظيعة.

بوركمان : أية جريمة؟ عمَّ تتحدثين؟

ألا رانثيم : أتحدث عن الجريمة التى لا غفران لها.

بوركمان : (يحملق فيها) لا بدَّ أنك مجنونة.

ألا رانثيم : (تقترب منه) إنك قاتل! لقد ارتكبت الخطيئة الوحيدة المميّنة!

بوركمـان : (يتراجع نحو البيانو) إنك تهذين يا أُللا!
أُللا راتثيم : لقد قتلت في حب الحياة. (ما زالت بالقرب منه)
أُتدري ما معنى ذلك؟ لقد ذكر الكتاب المقدس
خطيئة غامضة لا غفران لها، ولم أكن أفهم ما
المقصود بذلك، ولكني فهمت الآن، فإن الخطيئة
الكبرى التي لا غفران لها هي أن تقتل حب
الحياة في قلب إنسان.

بوركمـان : وتقولين إنني فعلت ذلك؟

أُللا راتثيم : لقد فعلت ذلك، ولكني حتى هذه الليلة لم أكن أفهم
بوضوح ماذا حل حقيقة بي، فإني اعتبرت
هجرك لي وتحولك عني إلى جنهيد، اعتبرته
نوعًا من التقلب العادي من جهتك، ونتيجة لتأمر
من لا قلب له من ناحيتها، بل إنني كنت أحسبني
أحتقرك قليلاً على الرغم من كل شيء، ولكن
الآن وضح لي كل شيء، إنك هجرت المرأة
التي تحبها! هجرتني أنا، أنا، أنا! لقد قايمضت
عليّ من كانت أعز شيء لديك في العالم في
سبيل الربح، وهذه هي جريمة القتل المزدوجة
التي ارتكبتها! قتل روحك وروحي!

بوركمـان : (متمالكا نفسه فى بروء) لقف تعرفف الآن تمامـا على عافطفك المطفكـة فىكـ فـا أـلا، ومن الطبىعى، ولا رىب أن ففظرى إلى المسألة هـذه النظره، بالفطع، أنف امرأه، وعلى هـذا فـان قلبك هو الشىء الوحىء فى العالم الذى تعرفىنه أو ففهمىن به.

ألا رانفهم : نعم، نعم، هو كـذلك.

بوركمـان : إن قلبك هو الشىء الوحىء الموفوء فى نظرك.

ألا رانفهم : الشىء الوحىء! الشىء الوحىء! أنف صافق فى هـذا...

بوركمـان : ولكن فذكرى أننى رفل، لقف كنف كامرأه أعز شىء فى العالم عنءى، ولكن إذا لم فكن هـناك بف فـان أى امرأه فمكن أن فحلّ محلّ أفرى.

ألا رانفهم : (فنظر إلىه مبفسمه) أكانف هـذه فـجربفك الفى مررف بها عنءما اففءف فـنهلء زوفه لك؟

بوركمـان : كلا، ولكن الأهداف العظفمه الفى كنف أفطلع إلىها فى ففافى، ساعءفنى على أن أفحمل أى شىء ففى هـذا، كنف أرىء أن أففكم فى كل

منابع القوة فى هذه البلاد، كل الثروة المختبئة
فى الأرض والصخور والغابات والبحر... كنت
أريد أن أجمعها كلها فى يدي، وإن أجعل نفسى
سيدا لهذا كله، وعندئذٍ أستطيع أن أرتقى
بمستوى رفاهية الآلاف العديدة.

أللا راتثيم : (وقد سرحت مع الماضى) أعرف ذلك، يكفى أن
تذكر الليالى الطويلة التى قضيناها فى التحدث
عن مشروعاتك...

بوركمـان : نعم... فقد كنت أستطيع التحدث معك يا أللا.
أللا راتثيم : كنت أمزح معك مرة حول خططك، فسألتك
أكنت تريد أن توقف كل الأرواح النائمة فى
الينبوع؟

بوركمـان : (يحن رأسه موافقة) أذكر هذه العبارة، (بيطء) كل
الأرواح النائمة فى الينبوع.

أللا راتثيم : ولكنك لم تحمل الأمر على محمل المزاح، بل
قلت «نعم نعم يا أللا، هذا بالضبط ما أريده».

بوركمـان : وهذا ما كان يحدث، لو أنى فقط وضعت قدمى
فى الركاب... وكان هذا يتوقف على هذا الرجل

نفسه، فقد كان فى استطاعته أن يضمّن لى
رئاسة البنك... إذا كنت من جانبى...

ألاراثيم : نعم.. هكذا! إذا كنت من جانبك تقدم له فى مقابل
ذلك المرأة التى تحبها والتى تحبك حبًا ليس بعده
حب.

بوركمان : كنت أعرف حبه المضمّن لك، وأعلم أنه تحت
أى شرط آخر لن...

ألاراثيم : وهكذا عقدت الاتفاق!

بوركمان : (بعنف) نعم، فعلت ذلك يا أللا! فإن حب
السيطرة غلاب فى نفسى، أفهمت؟! ولهذا عقدت
الاتفاق، كنت مضطراً، وقد ساعدنى حتى
منتصف الطريق إلى القمة المنشودة التى كنت
أرغب فى الوصول إليها، ثم أخذت أصعد
وأصعد، سنة بعد أخرى وأنا أصعد...

ألاراثيم : وكنت أنا مع ذلك قد اختفيت من حياتك.

بوركمان : وبعد ذلك طوح بى فى الهاوية ثانية، وكان ذلك
بسببك يا أللا.

ألاراثيم : (بعد فترة صمت وتفكير) ألا تلاحظ يا بوركمان
أن هناك نوعاً من اللعنة حلّت بكل علاقتنا؟

بوركمـان : (ينظر إليها) لعنة؟

أللا رانثيم : نعم... ألا ترى ذلك؟

بوركمـان : (في قلق) نعم.. ولكن ما السبب؟ (في غضب)

أوه، يا أللا، لقد بدأت أتساءل عنم في جانب

الحق... أنت أم أنا؟

أللا رانثيم : إنك أنت الآثم، لقد قتلت كل مسرات الحياة في

نفسى.

بوركمـان : (بقلق) لا تقولى ذلك يا أللا!

أللا رانثيم : كل مسرات المرأة على أى حال، فمنذ اليوم

الذى بدأت فيه صورتك تتضاءل فى ذهنى وأنا

أعيش كأنما قد غشتى الظلمة، وخلال هذه

الأعوام كلها أصبحت محبة أى مخلوق حى...

تصعب علىّ شيئاً فشيئاً... حتى أصبحت

مستحيلة تماماً. لقد انزويت عن الناس

والحيوانات والنباتات، انزويت عنها جميعاً...

جميعاً ماعدا واحداً.

بوركمـان : أى واحد؟

أللا رانثيم : إرهارت بالطبع.

بوركمـان : إرهـارت؟

ألا رانثيـم : إرهـارت... ابنك يا بوركمـان.

بوركمـان : أكان حقيقة قريباً إلى قلبك؟

ألا رانثيـم : وهل هناك من سبب آخر يدفعني إلى ضمه إلى

وإبقائه عندي أطول مدة أستطيعها؟ هل من سبب

آخر؟

بوركمـان : كنت أظن الشفقة هي الدافع، كما كانت دافعك

إلى كل ما فعلته.

ألا رانثيـم : (في انفعال نفسي قوى) شفقة! هاها! لم أعرف

الشفقة قط منذ هجرتني، فقد كنت غير قادرة

على الإحساس بها، ولو أن طفلاً فقيراً جائعاً

دخل مطبخي وهو يرتجف باكياً وطلب مني

كسرة خبز لترك أمره للخدم دون أن أشعر بأى

رغبة فى ضم الطفل إلىّ أو إبقائه بجوار مدفنتي

لأحس بالسرور عندما أراه يأكل حتى يشبع،

ومع ذلك لم يكن هذا حالى عندما كنت صغيرة،

وإنى لأذكر ذلك بوضوح! إنه أنت الذى خلق

هذه الصحراء الخالية القاحلة فى داخلى...

وحولى أيضاً!

بوركمان : بالطبع فيما عدا ما يختص بإرهارت.
ألارانتيم : نعم.. فيما عدا ما يختص بابنك، ولكننى أصبحت
قاسية على كل كائن حى آخر، لقد سلبتتى
مسرات الأم وسعادتها فى الحياة كما سلبتتى
كذلك أحزان الأم ودموعها، ولعل ذلك أفدح ما
فقدته.

بوركمان : أتقولين ذلك يا ألأا؟
ألارانتيم : من يدرى؟ لعل ما كنت فى أشد الحاجة إليه هو
أحزان الأم ودموعها. (ما زال انفعالها النفسى
قويا) ولكنى فى ذلك الوقت لم أستطع أن أخضع
قلبى لتحمل خسارتى، وكان ذلك سبب ضمى
إرهارت إلىّ، وقد ربحتة لنفسى كُلية، كسبت
قلبه الطفل الحار الواثق... حتى... أوه!

بوركمان : حتى ماذا؟
ألارانتيم : حتى أخذته منى ثانية... أمه... أعنى أمه التى
ولدتته.

بوركمان : كان سيتركك على أى حال، فقد كان مضطراً
إلى الحضور إلى المدينة.

أللا رانثيم : (تعصر يديها) نعم، ولكننى لا أستطيع احتمال الوحدة... الفراغ! لا أستطيع احتمال فقدان محبة ابنك!

بوركمان : (فى عينيه تعبير شرير)
هم.. إنى لأشك فى فقدانك إياه يا أللا، فالقلوب لا يمكن أن تتحول بسهولة إلى شخص معين... فى الحجرة التى بالطابق الأول.

أللا رانثيم : لقد فقدت إرهارت هنا، وقد استعادته هى مرة ثانية، وإن لم تكن هى فقد كسبته أخرى، وهذا واضح وضوحاً تاماً فى الخطابات التى يرسلها إلىّ بين الحين والحين.

بوركمان : إذن فاسترداده هو سبب حضورك؟

أللا رانثيم : نعم، لو أن ذلك كان ممكناً!

بوركمان : هذا ممكن لو أنك صممت عليه، لأن لك الحق الأول والأقوى عليه.

أللا رانثيم : أوه، حقوق، حقوق! وما فائدة الحقوق؟ إن لم يكن لى بمحض إرادته فهو ليس لى على الإطلاق، وإنى لفى أشد الحاجة إليه! يجب أن يكون لى قلب ابنى كاملاً غير مقسم... الآن!

بوركمـان : يجب أن تتذكري أن إرهارت قارب العشرين من عمره، وأنك لا تكادين تستطيعين المطالبة بالاحتفاظ بقلبه غير مقسم لمدة طويلة، كما عبرت أنت.

ألا رانثيم : (بابتسامة كئيبة) لست فى حاجة إلى ذلك لمدة طويلة.

بوركمـان : حقاً؟ إنى لأذكر أنك عندما تريدين شيئاً فإنك تريدينه إلى آخر أيام حياتك.

ألا رانثيم : هذا صحيح، ولكن حاجتى هذه لن تدوم مدة طويلة.

بوركمـان : (مأخوذاً) ماذا تعنين بذلك؟

ألا رانثيم : أظنك تعلم أننى منذ سنوات فى حالة صحية سيئة؟

بوركمـان : حقاً؟

ألا رانثيم : ألا تعلم ذلك؟

بوركمـان : كلا، لا أستطيع القول بأنى أعلم.

ألا رانثيم : (تنظر إليه فى دهشة) ألم يخبرك إرهارت بذلك؟

بوركمـان : أنا فى الحقيقة لا أتذكر الآن.

- ألا رانثيم : لعله لم يذكرنى لك مطلقاً.
- بوركمان : أوه، بل إنى أعتقد أنه تحدث عنك، ولكن الحقيقة هى أننى قلما أراه، بل نادراً ما أراه؛ فهناك شخص فى الطابق الأول يبعده عنى، يبعده عنى... أتفهمين ذلك؟
- ألا رانثيم : أنت واثق من ذلك تماماً يا بوركمان؟
- بوركمان : نعم، تمام الثقة. (يغير نغمة صوته) إذن فقد كنت مريضة يا ألا؟
- ألا رانثيم : نعم، كنت مريضة، وقد ازدادت الحالة سوءاً هذا الخريف؛ مما اضطررنى إلى الحضور إلى المدينة طلباً لاستشارات طبية أفضل.
- بوركمان : وهل عرضت نفسك على الأطباء فعلاً؟
- ألا رانثيم : نعم، هذا الصباح.
- بوركمان : وماذا قالوا؟
- ألا رانثيم : أكدوا لى ما كنت أشك فيه طويلاً.
- بوركمان : خيراً.
- ألا رانثيم : (فى ثبات وهدوء) لن أشفى من مرضى أبداً يا بوركمان.

- بوركمـان** : أوه، يجب ألا تصدق ذلك يا أـلـا.
- أـلـا رانـثـيـم** : إنه مرض لا علاج له ولا شفاء منه، ولن يستطيع الأطباء عمل شيء للمصاب به، بل يتركونه ليصل إلى غايته، فهم لا يستطيعون وقفه، وغاية ما يستطيعونه أن يخففوا آلامه، وهذا على أى حال عمل لا بأس به.
- بوركمـان** : أوه، ولكنه سيحتاج إلى وقت طويل ليصل إلى غايته، أنا واثق من ذلك.
- أـلـا رانـثـيـم** : ربما عشت إلى آخر الشتاء، هذا ما قالوه.
- بوركمـان** : (بدون تفكير) أوه، لا بأس، فالشتاء طويل.
- أـلـا رانـثـيـم** : (بهدوء) طوله كاف بالنسبة لى على أى حال.
- بوركمـان** : (فى حرارة محاولا تغير الموضوع) ولكن ماذا جلب عليك هذا المرض؟ أنت يا من كنت تعيشين دائماً حياة صحية منظمة، ماذا يمكن أن يجلب إليك المرض؟
- أـلـا رانـثـيـم** : (تنظر إليه) يظن الأطباء أننى ربما مررت فى فترة من حياتى تحت ضغط عاطفى شديد.

بوركمان : (في غضب) عاطفى؟! أها، فهمت! تعنين أننى
السبب؟

ألا رانثيم : (في انفعال نفسى يتزايد)

لقد فات الوقت للحديث عن ذلك الآن! ولكن
يجب أن أسترد محبة طفلى قبل أن أذهب! فإن
مما يثير حزنى الشديد أن أفكر فى أننى سأخرج
من هذه التى يسمونها حياة... بعيدًا عن الشمس
والنور والهواء... دون أن أترك ورائى إنسانًا
واحدا يذكرنى، يذكرنى فى محبة وحزن، كما
يذكر الابن أمه التى فقدها.

بوركمان : (بعد فترة صمت قصيرة) خذيه يا ألا إن
استطعت كسبه.

ألا رانثيم : (في انتعاش) أتوافق على ذلك؟ أتستطيع؟

بوركمان : (في كآبة) نعم، وليس فى ذلك أية تضحية من
جانبى، فهو لم يكن لى على أى وجه.

ألا رانثيم : شكرًا لك، شكرًا لك على أى حال على
تضحيتك! ولكن هناك أمرًا آخر أرجوه منك...
إنه أمر عظيم لى يا بوركمان.

- بوركمان : حسن، وما هو؟
- ألا رانثيم : ربما تظن في الأمر طفولة من ناحيتي، فلن تفهم.
- بوركمان : هيا، أخبريني ما الأمر؟
- ألا رانثيم : عندما أموت، وسيكون ذلك وشيكًا، سأترك مبلغًا كبيرًا من المال.
- بوركمان : نعم، أظن ذلك.
- ألا رانثيم : وقد عزمت على أن أترك كل ما لي لإرهارت.
- بوركمان : لا بأس، فليس لك في الحقيقة من هو أقرب منه.
- ألا رانثيم : (بحرارة) نعم، حقا ليس لي من هو أقرب منه.
- بوركمان : لا أحد من أسرتك، فأنت الأخيرة.
- ألا رانثيم : (تحنى رأسها موافقة في بطاء) نعم، وهذا هو الأمر، عندما أموت سيموت معي اسم رانثيم، وهذه الفكرة تعذبني كثيرًا، إذ يمحي الإنسان من الوجود، ولا يبقى حتى ولا اسمه...
- بوركمان : (في غضب) آه، لقد بدأت أفهم ما ترمين إليه!
- ألا رانثيم : (في شغف) دع إرهارت يحمل اسمي بعدى!
- بوركمان : (ينظر إليها في غلظة) إنى أفهمك تمامًا، إنك تريدني إنقاذ ابني من حمل اسم أبيه، وهذا ما تعنيه.

ألا رانثيم : لا، لا، ليس هذا ما أعنيه! فإني أنا نفسي كنت أرجو أن أحمل اسمك معك في فخر وسرور! ولكن الأم التي وصلت إلى حافة الموت، إن لها في الاسم رباطاً قوياً أقوى مما تتصور أو تعتقد يا بوركمان.

بوركمان : (في برود وفخر) حسن، حسن يا ألاء، إني رجل في إمكانى حمل اسمى وحدى.

ألا رانثيم : (تقبض على يده وتضغطها) شكراً لك، شكراً لك! الآن تمت بيننا تسوية كاملة! نعم، نعم، فليكن الأمر على هذا الوجه! فقد قدمت كل ما تستطيعه من كفارة، لأنى عندما أترك هذه الدنيا سأترك ورائى إرهارة رانثيم!

(يدفع الباب المغطى بالاستارة فيفتح وترى السيدة بوركمان واقفة بالباب، وقد غطت رأسها بشال كبير)

السيدة بوركمان : (في اضطراب شديد) أبداً لن يحمل إرهارة هذا الاسم فى حياته.

ألا رانثيم : (تراجع) جنهيلد!

بوركمان : (في صوت خشن فيه تهديد) أنا لا أسمح لأحد أياً
كان بالصعود إلى حجرتي!

السيدة بوركمان : (تتقدم خطوة) أنا لا أسألك السماح لى.

بوركمان : (يتجه ناحيتها) ماذا تريد منى!؟

السيدة بوركمان : سأحارب بكل قوتى دفاعاً عنك، سأحميك من
قوى الشر.

أللا رانثيم : إن أسوأ «قوى الشر» فى داخل نفسك يا جنهيد!

السيدة بوركمان : (بخشونة) فليكن. (فى وعيد وقد مدت نحوها

ذراعها) ولكنى استمعى إلى قولى هذا، إنه

سيحمل اسم أبيه! وسيحمله عاليًا فى شرف مرة

أخرى، وسأكون أمه! أنا وحدى! وستكون محبة

ابنى لى، لى وليس لأحد آخر.

(تخرج من الباب المغطى بالستارة وتغلقه

وراءها)

أللا رانثيم : (مضطربة محطمة) بوركمان، ستتخطم حياة

إرهارت فى هذه العاصفة، يجب أن تتفاهم أنت

وجنهيد، يجب أن تنزل إليها فى الحال.

بوركمان : (ينظر إليها) ننزل؟ أتعنين أن أنزل أنا أيضاً؟

ألا رائثيم : أنا وأنت.

بوركمان : (يهز رأسه) صدقيني إن فيها صلابة، صلابة
كذلك المعدن الذي حلتُ يوماً بأن أستخرجه من
الصخور.

ألا رائثيم : جرب الآن إذن.

(بوركمان لا يجيب، ولكنه يقف ناظراً
إليها في شك)

«تار»

الفصل الثالث

المنظر:

(غرفة استقبال السيدة بوركمان، ما زال
المصباح مضاء على المنضدة القريبة من الأريكة،
ولكن الشرفة الخلفية مظلمة تمامًا، تدخل السيدة
بوركمان من باب الصالة، وما زال الشال فوق
رأسها وهي في اضطراب شديد، فذهب إلى
النافذة فتزيج الستارة قليلا وتنظر إلى الخارج ثم
تذهب لتجلس بجوار الموقد، ثم تنهض في الحال
وتذهب إلى حبل الجرس فتجذبه ثم تقف بجوار
الأريكة دقيقة فلما لم يحضر أحد تدق الجرس ثانية
بقوة.

تدخل الخادم في الحال باب الصالة، يبدو
عليها أثر النوم والغضب وقد لبست ملابسها
بسرعة)

السيدة بوركمان : (بفروغ صبر) ماذا حدث لك يا ميلينا؟ لقد دققت
الجرس مرتين.

الخادم : نعم يا سيدتى، لقد سمعتك.

السيدة بوركمان : ومع ذلك لم تحضرى؟

الخدّام : (في عبوس) أظن أنه كان من الواجب علىّ أن ألبس بعض ملابسى أولاً.

السيدة بوركمان : نعم، يجب أن تلبسى ملابسك كلها ثم تذهبي بسرعة للبحث عن ابني.

الخدّام : (تنظر إليها في دهشة) أتريدين مني أن أبحث عن السيد إرهارت؟

السيدة بوركمان : نعم، أخبريه أن يحضر إلى المنزل على الفور، فإنني أريد أن أتحدث إليه.

الخدّام : (في تدمر) إذن يحسن بي أن أذهب إلى جناح السيد لأنادي سائق العربية.

السيدة بوركمان : لماذا؟

الخدّام : لأطلب منه إعداد الزحافة، فالتلج المتساقط الليلة كثير جدا.

السيدة بوركمان : أوه، لا أهمية لذلك، كل ما أطلبه أن تسرعي بالذهاب فهو قريب منّا.

الخدّام : كيف يا سيدتي، لا يمكن أن يكون قريباً منّا.

السيدة بوركمان : بالطبع هو قريب، ألا تعرفين فيللا مستر هنكل؟

الخدّام : (بِحِث) أوّه، حقاً؟ هل مستر إرهارت هناك الليلة؟

السيدة بوركمان : (في ذهول) كيف؟ أين تفترضين وجوده إذن؟

الخدّام : (بابتسامة صغيرة) حسن، ظننته حيث يوجد عادة.

السيدة بوركمان : أى مكان تعنين؟

الخدّام : منزل تلك التى يدعونها السيدة ويلتن.

السيدة بوركمان : منزل السيدة ويلتن؟ إن ابنى لا يذهب هناك كثيراً.

الخدّام : (في صوت أشبه بالتمتمة) لقد سمعتهم يقولون إنه يذهب إلى منزلها كل يوم.

السيدة بوركمان : هذا كله كلام فارغ يا ميلينا، اذهبي تَوّاً إلى منزل السيدة هنكل وحاولي الإتيان به.

الخدّام : (وهي تلقى برأسها إلى الخلف) أوّه، حسن جدّاً، ها أنا ذاهبة

(عندما تم بالخروج من باب الصالة يفتح

الباب وتظهر على عتبه ألالا رانثيم ومستر بوركمان).

السيدة بوركمان : (تراجع خطوة وهي تترنح) ما معنى هذا؟

الخدّام : (فى فزاع تطوى يديها بدون شعور) احمنا يا رب!
السيدة بوركمان : (تمس للخدام) أخبريه أن يحضر فى الحال.
الخدّام : (فى همس) نعم يا سيدتى.

(تدخل ألالا رانثيم الحجرة يتبعها السيد بوركمان، بينما تمشى الخادم بجنبها من خلفهما، ثم تخرج وتغلق الباب خلفها. فترة صمت قصيرة).

السيدة بوركمان : (تمالك نفسها فتلفت إلى ألالا) ماذا يريد هنا فى حجرتى؟

ألالا رانثيم : إنه يريد أن يفاهم معك يا جنهيد.

السيدة بوركمان : لم يحاول ذلك من قبل قط.

ألالا رانثيم : إنه يحاول الليلة.

السيدة بوركمان : إن آخر مرة واجهنا فيها أحدنا الآخر... كانت فى قاعة المحكمة عندما دعونى لأقدم تقريراً.

بوركمان : (يقترّب) إنه أنا الذى سيقدم تقريراً عن نفسه فى هذه الليلة.

السيدة بوركمان : (تحملق فيه) أنت؟

بوركمان : ليس عما ارتكبته من خطأ، فالعالم كله يعرف ذلك.

السيدة بوركمان : (تتهجد في مرارة) نعم، هذا صحيح، العالم كله يعرف ذلك.

بوركمان : ولكن لا أحد يعرف لماذا فعلت ذلك، لماذا اضطررت إلى فعله، فالناس لا يفهمون أننى كنت مضطراً، لأننى أنا نفسى، لأننى جون جابرييل بوركمان، أنا نفسى وليس أحداً آخر، وهذا ما سأحاول أن أشرحه لك.

السيدة بوركمان : (هزُّ رأسها) لا فائدة، فالإغراء والتحريرىض لا يبرئان أحداً.

بوركمان : قد يُبرئ الإنسان أمام نفسه!

السيدة بوركمان : (فى إشارة اشمزاز) أوه، دعنا من ذلك! فقد فكرت فى هذا العمل الأسود الذى أقدمت عليه بما فيه الكفاية وأكثر.

بوركمان : وأنا أيضاً. كان لدى الوقت الكافى للتفكير فى ذلك فى زنزانتي - وفى غيرها من الأماكن - خلال هذه السنوات الخمس التى لم يكن يبدو لها نهاية، كما كان لا يزال لدى الوقت الفسبح خلال هذه الأعوام الثمانية التى قضيتها فى الصلاة

الكبرى. لقد أعدت مناقشة الموضوع كله،
 لنفسي، أعدت ذلك مرة بعد مرة، وكنت أقوم
 بدور موجّه الاتهام والمحامي والقاضى، وقد
 كنت أكبر إنصافاً من أى إنسان آخر... وهذا ما
 أجرؤ على قوله، لقد كنت أقطع القاعة جيئةً
 وذهاباً وأنا أقلب كل ما أقدمت عليه من عمل
 على جميع وجوهه. بحثت الموضوع من جميع
 جوانبه دون أى شفقة أو رحمة كأيّ محام
 للخصوم، وكان الحكم النهائي الذى كنت أصل
 إليه دائماً هو أن الشخص الذى أثمت فى حقه
 هو... أنا نفسى.

- السيدة بوركمان : وماذا عنى؟ وماذا عن ابنك؟
 بوركمان : أنت وهو ضمن ما أعنيه بقولى أنا نفسى.
 السيدة بوركمان : وماذا إذن عن المئات من الآخرين، من الناس
 الذين قيل إنك حطمتهم؟
 بوركمان : (أكثر عنفاً) كنت أملك القوة فى يدي! وكنت
 أحس بدعوة فى داخل نفسى لا يمكن مقاومتها!
 إن الملايين المحبوسة فى كل مكان من القطر،

عميق فى باطن الأرض. كانت تنادىنى بأعلى صوتها! تصيح بى أن أحررها! ولكن أحدًا غيرى لم يسمع صوتها، أنا وحدى الذى أعطاهما سمعه.

- السيدة بوركمان : نعم، ليوصم اسم بوركمان بالعار.
- بوركمان : لو كان لدى الآخرين ما لدى من القوة، ألا تظنين أنهم كانوا يتصرفون كما فعلت؟
- السيدة بوركمان : لا أحد، لا أحد غيرك كان يفعل ما فعلت.
- بوركمان : ربما، ولكن ذلك لأنهم لا يملكون ما أملك من ذكاء، ولو أنهم فعلوا ذلك ما كانوا يصلون إلى مقصدى، كان عملهم يختلف تمامًا عن عملى، بالاختصار لقد برأت نفسى.
- الارانتيم : (بهدوء وإعجاب) أوه، أتستطيع قول ذلك بهذه الثقة يا بوركمان؟
- بوركمان : (يحن رأسه موافقًا) برأت نفسى لهذا السبب، ولكن يبقى بعد ذلك الاتهام الضخم المحطم للنفس.
- السيدة بوركمان : وما هو؟

السيدة بوركمان : لقد اختفيت هناك فى الطابق الأعلى، وأضعت على نفسى ثمان سنوات ثمينة من عمرى! كان يجب علىّ منذ اليوم الأول من الإفراج عنى أن أنطلق فى العالم، أن أخرج إلى عالم الحقيقة الصلب الخالى من الأحلام! كان يجب أن أبدأ من أسفل السلم ثم أدفع نفسى إلى العلما مرة أخرى، أعلى مما كنت قبلاً، على الرغم مما حدث قبل ذلك.

السيدة بوركمان : أوه، كنت ستسير فى نفس الطريق الذى سرت فيه من قبل، صدقتى فى قولى هذا.

بوركمان : (يهزُّ رأسه وينظر إليها فى استعلاء) حقيقة إنه ليس من جديد فيما يحدث، ولكن ما يحدث لا يتكرر أيضاً، إن العين هى التى تبدل شكل العمل، فالعين الجديدة تبدل من شكل العمل القديم (ينهى كلامه) ولكنك لا تفهمين كلامى هذا.

السيدة بوركمان : (بحفااء) نعم، لا أفهمه.

بوركمان : آه، وهذه هى اللعنة التى حلّت بى؛ لم أجد شخصاً واحداً قط يفهمنى.

ألاراثيم : (تنظر إليه) ولا واحدا يا بوركمان؟
بوركمان : ماعدا واحداً، ربما، وكان ذلك منذ زمن بعيد، بعيد، فى تلك الأيام التى لم أكن أظن فيها أنى فى حاجة إلى من يفهمنى، ولكن منذ ذلك الوقت على أى حال لم أجد من يفهمنى! لم يكن من أحد يفهم رغباتى ويكون مستعداً لإيقاظى، لدق جرس الصباح لى، ليصيح بى أن أعود عملى الباسل، وليلح علىّ بأنى أفعل ما لا يمكن الصفح عنه.

السيدة بوركمان : (فى ضحكة ساخرة) أنت إذن مع كل ذلك فى حاجة إلى دافع خارجى؟
بوركمان : (فى غضب يتزايد) نعم، عندما أجمع العالم كله على أننى وقعت ولن أنهض ثانية، كانت تمر بى لحظات أصدق أنا نفسى ذلك. (يرفع رأسه) ولكن كانت تفتى الكامنة فى نفسى تعلو إذ ذاك منتصرة، وكان فى ذلك تبرئة لى.

السيدة بوركمان : (تنظر إليه فى جفاء) لماذا لم تحضر إلىّ ولا مرة واحدة لتسألنى عمّا تسميه تفاهماً؟

- بوركمان : وما فائدة حضوري إليك؟
- السيدة بوركمان : (في إشارة اشمئزاز) إنك لم تحب أحدًا غير نفسك، وهذا سر الأمر كله.
- بوركمان : (في فخر) لقد أحببت القوة.
- السيدة بوركمان : نعم؟ القوة؟
- بوركمان : القوة لأخلق حولى سعادة الناس فى أوسع مدى!
- السيدة بوركمان : لقد كانت لديك القوة وقتًا ما لتسعدنى، فهل حققت ذلك؟
- بوركمان : (دون أن ينظر إليها) لا بد عادة من شخص يغرق مع حطام السفينة.
- السيدة بوركمان : وابنك أنت؟ هل استخدمت قوتك، وهل عشت وعملت، لكى تحقق له السعادة؟
- بوركمان : أنا لا أعرفه.
- السيدة بوركمان : نعم، هذا صحيح، إنك لا تعرفه مجرد معرفة.
- بوركمان : (بجفاء) إنك، وأنتِ أمه، جعلتِ همك ذلك!
- السيدة بوركمان : (تنظر إليه فى تكبر) أوه، إنك لا تعرف ما وجهت اهتمامى إليه!
- بوركمان : أنت؟

السيدة بوركمان : نعم، أنا، أنا وحدى.

بوركمان : خبرينى إذن.

السيدة بوركمان : لقد وجهت اهتمامى إلى ذكراك.

بوركمان : (بضحكة قصيرة جافة) ذكراى؟ أوه، حقا! فى

الكلمة رنين يوحى بأنى كأنما متُ.

السيدة بوركمان : وإنك كذلك.

بوركمان : (فى بطء) نعم، ربما كان هذا صحيحًا.

(فى غضب) ولكن لا ، لا ، لم أمت بعد! لقد كنت

على حافة الموت، ولكننى الآن صحت، وعدت

إلى نفسى، إن حياة كاملة تنتظرنى، أستطيع أن

أراها فى انتظارى متأنقة حيّة، وأنت... أنتِ

أيضًا سوف ترينها.

السيدة بوركمان : (ترفع يدها) لا تفكر فى الحياة ثانية! ارقد هادئًا

حيث أنت.

ألارانتيم : (مصدومة) جنهيلد! جنهيلد! كيف تجرئين!

السيدة بوركمان : (لا تسمع إلى قولها) سأقيم نصبًا على قبرك.

بوركمان : نصب العار، أظن هذا ما تعنيه.

السيدة بوركمان : (في ثورة تتزايد) أوه، كلا، فلن يكون نصباً من معدن أو حجر، ولن يحاول أحد أن يصوغ أسطورة ساخرة حول هذا النصب الذي سأقيمه، سيكون حول قبرك، كما كان دائماً، سياج من الأشجار والشجيرات الملتفة سريعة النمو التي تتقارب وتتقارب، حتى لا تقع أعين الرجال ولا أفكارهم بعد ذلك على جون جابرييل بوركمان.

بوركمان : (في صوت أجش حاد) وماذا عن عملية الحب التي ستقومين بها؟

السيدة بوركمان : لن أقوى على ذلك بقوتي المفردة، فهذا ما لا يمكن التفكير فيه، ولكني ربيت شخصاً ليساعدني، وستكون حياته وقفاً على هذا العمل، ستكون حياة نقية عالية برّاقة، حتى إن سقطتاك السوداء هذه ستصبح كأن لم تكن!

بوركمان : (في غموض وتهديد) إن كنت تعنين إرهارت فقولى ذلك على الفور!

السيدة بوركمان : (تنظر في عينيه) نعم، إنه إرهارت، ابني، ذلك الذي تريد أن تبرأ منه تكفيراً عن أفعالك.

بوركمان : (وهو ينظر إلى ألالا) للتكفير عن أسود خطاياى.
السيدة بوركمان : (ناقضة الفكرة) إنها ليست إلا خطيئة نحو
شخص غريب، تذكر خطيئتك نحوى! (تنظر
إليهما فى انتصار) ولكنه لن يطيعك! عندما أناديه
إذ أحتاج إليه فسيخف عني! إنه سيبقى معى أنا!
معى أنا وليس مع أى إنسان آخر.

(تسمع فجأة ثم تصيح) إنى أسمع! إنه هنا، إنه
هنا! إرهارت!

(يفتح إرهارت بوركمان باب الصلاة
بسرعة ويدخل إلى الحجرة وقد لبس معطفه
وقبعته)

إرهـارت : (فى شحوب واضطراب) أمى! بحق السماء
ماذا...

(يفاجأ برؤية بوركمان عند الباب المؤدى إلى
الشرفة فيخلع قبعته ثم يسأل بعد فترة صمت)
ماذا تريدن منى يا أمى؟ ماذا حدث؟

السيدة بوركمان : (تمد يديها نحوه) أريد أن أراك يا إرهارت!
أريدك أن تبقى معى دائماً!

- إرهـارت : (في لعثمة) تريديني؟ دائماً؟ ماذا تعنين بذلك؟
- السيدة بوركمان : ستبقى معي، هذا ما أقوله! فإن هناك من يريد أن يأخذك مني!
- إرهـارت : (يتراجع خطوة) آه، أنتِ إذن تعرفين؟
- السيدة بوركمان : نعم، أتعرف ذلك أنتِ أيضاً؟
- إرهـارت : (ينظر إليها في دهشة) أأعرف أنا ذلك؟ نعم، بالطبع.
- السيدة بوركمان : آها، إذن فقد اتفقتم كلكم على ذلك! دون علمي؟
- إرهـارت! إرهـارت!
- إرهـارت : (بسرعة) أمي، أخبريني بما تعرفين!
- السيدة بوركمان : أنا أعرف كل شيء، أعرف أن خالتك جاءت لتأخذك مني.
- إرهـارت : خالتي أُللا!؟
- أُللا رانثيم : أوه، استمع إليّ قليلاً يا إرهـارت!
- السيدة بوركمان : (مستمرة) إنها تريد مني أن أتنازل عنك لها، فهي تريد أن تقوم مقام أمك يا إرهـارت! تريد أن تكون ابنها لا ابني منذ اليوم، تريد أن تورثك كل ما تملك وأن تتنازل عن اسمك وتحمل اسمها

بدلاً منه!

إرهـارت : أهذا صحيح يا خالتي ألا؟

ألا رانثيم : نعم، صحيح.

إرهـارت : لم أكن أعلم شيئاً عن ذلك. لماذا تريدان أن أعيش معك ثانية؟

ألا رانثيم : لأنى أشعر أنى أفقدك وأنت هنا.

السيدة بوركمان (بغبطة) : إنك تفقدينه لأنى أكسبه... نعم، وهذا بالضبط ما يجب حدوثه.

ألا رانثيم : (تنظر إليه فى توسُّل) لن أستطيع فقدك يا إرهـارت، لأنى، وهذا ما يجب أن أخبرك به، امرأة وحيدة، على وشك الموت.

إرهـارت : على وشك الموت؟

ألا رانثيم : نعم، على وشك الموت، فهل تأتى لتبقى معى

إلى النهاية؟ تقدم نفسك كُليَّةً لى؟ تكون لى كأنك

ابنى الحقيقى؟

السيدة بوركمان : (مقاطعة) وتهجر أمك؟ وربما تهجر رسالتك فى

الحياة كذلك؟ هل تفعل ذلك يا إرهـارت؟

ألا رانثيم : إنى مُشرفة على الموت، فأجبنى يا إرهـارت.

إرهـارت : (في حرارة وعاطفية) لقد كنت طيِّبة نحوى يا خالتي أألا طيبة بالغة، فقد عشت معك في سعادة تامة لم يحس بها طفل من قبل.

السيدة بوركمان : إرهارت، إرهارت؟!

ألارانتيم : أوه، ما أسعدنى إذ ما زلت تستطيع قول ذلك!

إرهـارت : ولكنى لا أستطيع أن أضحي بنفسى الآن من أجلك، فليس من الممكن أن أخصص نفسى كُلية لأخذ مكان الابن منك.

السيدة بوركمان : (في انتصار) آه، كنت أعلم ذلك! لن تأخذه! لن تأخذه يا أألا!

ألارانتيم : (في حزن) فهمت، لقد استرددته منى.

السيدة بوركمان : نعم، نعم! إنه لى، سيظل لى! قل إن الأمر كذلك يا عزيزى إرهارت، فإن أمامنا نحن الاثنىن طريقاً طويلة سنقطعها معاً أليس كذلك؟

إرهـارت : (مقاوماً نفسه) أمى، يجب أن أخبرك كذلك بوضوح...

السيدة بوركمان : (في لهفة) ماذا؟

إرهـارت : أخشى أن يكون ما سنقطعه من الطريق سويًا
قصيرًا.

السيدة بوركمان : (كأنها أصيبت بصاعقة) ماذا تعنى بذلك؟
إرهـارت : (محاولا جمع شتات نفسه) يا للسماء، يا أمى، لا
تنسى أنى شاب! إنى أحس كأنى سأختنق فى
النهاية من هواء هذه الغرفة المطبق.

السيدة بوركمان : الهواء المطبق؟ هنا؟ معى؟

إرهـارت : نعم، هنا معك يا أمى.

أللاراثيم : إذن تعال معى يا إرهـارت.

إرهـارت : أوه، يا خالتى أللا، إن الحال معك لا يفضّل
الحالة هنا متقال ذرة، إنها متغيرة ولكن ليست
أفضل، ليست بالنسبة لى، فهناك أيضًا أشم
رائحة أوراق الورد والخزامى، ولكن الجو خانق
هنا وهناك على السواء.

السيدة بوركمان : (مصدومة، ولكنها تتمالك نفسها بعد مجهود) جو
خانق فى حجرة أمك؟ أهذا ما تقوله؟!

إرهـارت : (فى ضيق يتزايد) نعم، لم أجد تعبيرًا آخر، فكل
هذه العناية المريضة وال... المحبة التى تبلغ

حد العبادة الوثنية، أو ما سئتم أن تطلقوا عليها
من أسماء... لم أعد أستطيع تحمّل أى شىء
منها!

السيدة بوركمان : (في جلال عظيم) أنسييت يا إرهارت ما كرّست
حياتك له؟

إرهـارت : (في ثورة) أوه، بل قولى ما كرّستِ أنتِ حياتي
له، فأنتِ، أنتِ كنتِ إرادتى، إذ لم تسمحي بأن
تكون لى إرادة خاصة، ولكنى الآن لا أستطيع أن
أتحمل هذا الشر أكثر من ذلك، إنى شاب، تذكرى
هذا يا أمى. (وهو ينظر إلى بوركمان نظرة احترام
وأدب) ولن أستطيع أن أكرس حياتى للتكفير
عن خطيئة شخص آخر، مهما كان هذا
الشخص.

السيدة بوركمان : (يتملكها قلق يتزايد) من الذى غيّرك يا
إرهارت؟

إرهـارت : من؟ ألا تستطيعين إدراك أنه أنا نفسى؟
السيدة بوركمان : كلا، كلا، لقد وقعت تحت تأثير قوة غريبة، لم
تعد خاضعاً لأمك، ولا لـ... لأمك بالتربية أيضاً.

إرهـارت : (في حماسة مشتعلة) إنى خاضع لنفسى يا أمى!
تابع لإرادتى!

بوركمان : (يتقدم من إرهارت) إذن، لعل الوقت قد حان لى
أخيراً.

إرهـارت : (في صوت جاف وأدب متكلف) كيف؟ ماذا
تعنى يا سيدى؟

السيدة بوركمان : (باستخفاف) نعم، لك أن تسأل هذا السؤال.

بوركمان : (يتقدم دون أن يتأثر بالمقاطعة) اسمع يا إرهارت،
ألا تربط مستقبل حياتك بوالدك؟ فإن من يسقط
لا يمكن أن تقال عثرته بواسطة أى شخص
آخر. إن كل ما سمعته هنا فى هذه الحجرة
ذات الجو الخانق ليس إلا خرافات لا معنى
لها، فلو أنك أردت أن تحيا حياتك كما يفعل
جميع القديسين مجتمعين، فلن يكون فى ذلك أى
نفع لى.

إرهـارت : (في احترام متزن) هذا صحيح تماماً.

بوركمان : نعم، إنه صحيح، كما إنه لا فائدة كذلك من أن أسلم
نفسى إلى ندم حقير حتى أدوى، لقد حاولت أن

أغذو نفسى بالأمال والأحلام طوال هذه السنين،
ولكنى لست الرجل الذى يقنع بذلك، أما الآن فقد
نويت أن أقطع كل ما بينى وبين الأحلام.

إرهارت : (بأنخانة صغيرة) وماذا... وماذا ستفعل يا سيدى؟

بوركمان : سأعمل على خلاص نفسى، هذا ما سأفعله،

سأبدأ من أول السلم ثانية، فإن الإنسان يستطيع

أن يكفر عن ماضيه خلال حاضره ومستقبله

فقط، فخلال العمل، العمل الذى لا يمل، خلال

ذلك كله كان للحياة معناها فى شبابى... وإن

ذلك ليبدو الآن أعظم ألف مرة مما كان فى

الماضى. إرهارت، أتشارك معى وتساعدنى فى

هذه الحياة الجديدة؟

السيدة بوركمان : (ترفع يدها محذرة) لا تقبل يا إرهارت!

أللاراتثيم : (بحرارة) نعم، نعم، اقبل ذلك! أوه، ساعده

يا إرهارت.

السيدة بوركمان : أنتصحينه بأن يقبل ذلك، أنت المرأة الوحيدة التى

على وشك الموت؟

أللاراتثيم : أنا لا أهتم بنفسى.

السيدة بوركمان : نعم، ما دام الذى سيأخذه منك غيرى.

أللارانتيم : بالضبط يا جنهيد.

بوركمان : أتقبل يا إرهارت؟

إرهـارت : (يعزقه الألم) لا أستطيع الآن يا أبى، فهذا مستحيل
استحالة تامة.

بوركمان : ماذا تريد أن تفعل إذن؟

إرهـارت : (فى حدة مفاجئة) إنى شاب صغير! أريد أن
أعيش مرة بأى شكل كما يعيش غيرى من
الناس! أريد أن أحيا حياتى!

أللارانتيم : ألا تستطيع أن تتنازل عن شهرين أو ثلاثة تمر
سريعًا فى سبيل إشراق حياة مسكينة على وشك
الانتهاء؟

إرهـارت : لا أستطيع يا خالتى، ولو أنى كنت أتمنى لو أنى
أستطيع.

أللارانتيم : حتى ولو كان من أجل من تحبك أكبر الحب؟

إرهـارت : إنى أؤكد لك فى خشوع أننى لا أستطيع يا خالتى أللا.

السيدة بوركمان : (تنظر إليه يامعان) وحتى أمك لم يعد لها أى تأثير
عليك أيضًا؟

إرهـارت : سأحبك دائما يا أمى، ولكنى لن أستطيع أن
أستمر على الحياة منقطعاً لك، فليست هذه هى
الحياة التى أريدها.

بوركمـان : إذن تعال بعد كل ذلك واشترك معى! فإن الحياة
يا إرهارت، الحياة تعنى العمل، تعال وسنسير
سويًا فى الحياة قُدماً وسنعمل معاً!

إرهـارت : (بتأثر) نعم، ولكنى لا أريد أن أعمل الآن، لأنى
ما زلت صغيراً! وهذا ما لم أدركه من قبل قط،
ولكنى عرفته الآن، وأصبحت هذه المعرفة تظن
فى كل عرق من جسدى، لن أعمل! فقط
سأعيش، سأعيش، سأعيش!

السيدة بوركمـان : (فى صيحة كمن يقرأ الغيب) وماهدفك من الحياة
يا إرهارت؟

إرهـارت : (وعيونُه تلمع) السعادة يا أمى!

السيدة بوركمـان : وأين تظن أنك ستجدها؟

إرهـارت : لقد وجدتها فعلاً!

السيدة بوركمـان : (تصيح) إرهارت!

(يذهب إرهارت بسرعة إلى باب الصلاة
ويفتحه عن آخره).

إرهـارت : (ينادى من بالخارج) فانى، تستطيعين الدخول الآن!

(تظهر السيدة ويلتن على عتبة الباب وهي بملابس الخروج الكاملة)

السيدة بوركمان : (ترفع يديها) السيدة ويلتن!؟

السيدة ويلتن : (في تردد وهي تنظر إلى إرهارت نظرة متسائلة)
أتريد منى أن...؟

إرهـارت : نعم، تستطيعين الدخول الآن، فقد أخبرتهم بكل شىء.

(تتقدم السيدة ويلتن إلى داخل الحجره ويغلق إرهارت الباب بعد دخولها، تنحنى بهيئة رسمية لبوركمان الذى ينحنى لها فى صمت... فترة صمت قصيرة)

السيدة ويلتن : (تحاول أن تتحدث بصوت رزين) إذن فقد أخبركم أخيراً، وأظنكم تحسبوننى سبباً فى أن حلت مصيبة عظيمة بهذا البيت!؟

السيدة بوركمان : (بطء وهي تنظر إليها بشدة) لقد سحقت البقية الباقية من رغبتى فى الحياة. (فى ثورة) ولكن كل ذلك، كل ذلك مستحيل تماماً!

السيدة ويلتن : إنى أفهم تماما أن هذا الأمر يجب أن يبدو مستحيلاً لك يا سيدة بوركمان.

السيدة بوركمان : نعم، إنك بالتأكيد تحسّين أنه أمر مستحيل، وإلاّ؟
السيدة ويلتن : بل يجب أن أقول إنه يبدو بعيد الاحتمال، ولكن هذا ما حدث، وليس شيئاً أقل من ذلك.

السيدة بوركمان : (تلنتفت) أنتما جادان حقاً فى هذا الأمر يا إرهارت؟

إرهـارت : إنه يعنى السعادة لى يا أمى، كل الجمال والسعادة فى الحياة، وهذا كل ما أستطيع أن أقوله لك.

السيدة بوركمان : (تعصر يدها بالأخرى، وتخطب السيدة ويلتن) أوه، كيف استطعت أن تتملقى وتغوى ابنى التمس؟!

السيدة ويلتن : (ترفع رأسها فى كبرياء) لم أفعل شيئاً من هذا القبيل.

السيدة بوركمان : لم تفعلى؟ وتقولين ذلك!؟

السيدة ويلتن : نعم، أنا لم أتملقه ولم أغوه، لقد جاء إرهارت إلىّ بمحض إرادته، وذهبت أنا بمحض إرادتى إلى منتصف الطريق لمقابلته.

السيدة بوركمان : (تقيسها بنظراتكما في احتقار) نعم، بالطبع، هذا ما أستطيع تصديقه بسهولة.

السيدة ويلتن : (تمالك نفسها) السيدة بوركمان، إن في الحياة الإنسانية قوى يبدو أنك لا تعرفين عنها إلا القليل.

السيدة بوركمان : هل لى أن أسألك أى قوى تعنين؟

السيدة ويلتن : القوى التى تفرض على شخصين أن تتصل حياتهما سوياً اتصالاً وثيقاً... دون خوف.

السيدة بوركمان : (وهى تبتسم) ظننتك مرتبطة فعلاً ارتباطاً وثيقاً... بأخر.

السيدة ويلتن : (في اقتضاب) هذا الأخير هجرنى.

السيدة بوركمان : ولكنه ما زال حيّاً، هكذا يقولون.

السيدة ويلتن : إنه ميت فى نظرى.

إرهـارت : (فى إصرار) نعم يا أمى، إنه ميت بالنسبة لفانى،

هذا إلى أن هذا الآخر لا يغيّر من الأمر شيئاً

بالنسبة لى!

السيدة بوركمان : (تنظر إليه فى عبوس) إذن فأنت تعرف كل هذا...

عن الآخر؟

إرهـارت : نعم يا أمى، إنى أعرف معرفة تامة... كل شىء
عن هذا الموضوع!

السيدة بوركمان : ومع ذلك تجسر على القول بأن ذلك لا يغير من
الأمر شيئاً بالنسبة إليك؟

إرهـارت : (متحدياً فى حدة طبع) كل ما أستطيع أن أقوله
إننى يجب أن أحصل على السعادة! إنى صغير!
أريد أن أعيش، أعيش، أعيش!

السيدة بوركمان : نعم، إنك صغير يا إرهارت، أصغر من أن تفعل
ذلك.

السيدة ويلتن : (بشبات وجد) لا تظنى يا سيدة بوركمان أننى لم
أقل له نفس الكلام، لقد عرضت أمامه حياتى
كلها، وقد كررت له مرة بعد مرة أننى أكْبُرُه
بسبع سنوات...

إرهـارت : (مقاطعاً) أوه، هراء يا فانى، لقد كنت أعرف
ذلك منذ اللحظة الأولى.

السيدة ويلتن : ولكن لا شىء، لا شىء استطاع أن يمنعه.

السيدة بوركمان : حقاً؟ لا شىء؟ لماذا إذن لم تصرفيه دون عناء
أكثر؟ لماذا لم تغلقى بابك دونه؟ كان يجب أن
تفعلى ذلك، وتفعليه فى وقته!

السيدة ويلتن : (تنظر إليها وتقول في صوت خافت) لم أستطع أن أفعل ذلك يا سيدة بوركمان.

السيدة بوركمان : لماذا لم تستطعي؟

السيدة ويلتن : لأنه بالنسبة لى أنا أيضاً كان يعنى السعادة.

السيدة بوركمان : (باحترار) هم، السعادة، السعادة.

السيدة ويلتن : لم أذق طعم السعادة فى حياتى من قبل، فلم يكن

ممكنًا أن أطرد السعادة بعيدًا عنى لا لشيء إلا

لأنها جاءت متأخرة.

السيدة بوركمان : وإلى متى تحسبين هذه السعادة ستدوم؟

إرهارت : (مقاطعًا) دامت أو لم تدم، ليس لذلك أهمية الآن

يا أمى!

السيدة بوركمان : (بغضب) إنك فتى أعمى! ألا ترى إلام يقودك

كل هذا؟

إرهارت : لا أريد أن أنعم النظر فى المستقبل، لا أريد أن

أنظر حولى فى أى اتجاه، كل ما صممت عليه

أن أحيا حياتى... أخيرًا!

السيدة بوركمان : (بألم) وتدعو تلك حياة يا إرهارت!؟

إرهارت : ألا ترين كم هى جميلة!؟

السيدة بوركمان : (تعصر يديها إحداهما بالأخرى) وعلى أن أحمل
هذا الثقل من العار أيضًا!

بوركمان : (في مؤخرة القاعة في صوت خشن حاد) هو...
لقد تعودت على حمل مثل هذه الأشياء يا
جنهيلدا!

ألارانشيم : (في توسل) بوركمان!

إرهارت : أبى!

السيدة بوركمان : سأضطر يومًا بعد يوم إلى رؤية ابني مرتبطًا
بـ... بـ...

إرهارت : (يقاطعها بخشونة) لن ترى شيئًا من ذلك يا أمى!
فليرتح بالك من هذه الناحية، لأنى لن أبقى هنا.

السيدة ويلتن : (في سرعة وتصميم) سنسافر بعيدًا يا سيدة
بوركمان.

السيدة بوركمان : (يشحب وجهها) أنت أيضًا مسافر بعيدًا؟
مسافران معًا ولا شك؟

السيدة ويلتن : (تحنى رأسها موافقة) نعم، سأسافر إلى الخارج،
إلى الجنوب، وسأصحب معى فتاة صغيرة،
وسيسافر معنا إرهارت كذلك.

- السيدة بوركمان : معك؟ ومع فتاة صغيرة؟
- السيدة ويلتن : نعم، إنها فريدا فولدول الصغيرة التى تعيش
معى، فإنى أود أن أصحبها معى إلى الخارج
لتزيد ثقافتها الموسيقية.
- السيدة بوركمان : ولهذا فأنت تصحبينها معك؟
- السيدة ويلتن : نعم، فلن أستطيع أن أتركها وحيدة فى الدنيا.
- السيدة بوركمان : (تكتم ابتسامتها) ماذا تقول فى هذا يا إرهارت؟
- إرهـارت : (فى ارتباك وهو يهزُّ كتفيه) لا بأس يا أمى، ما
دامت فانى تريد الأمر هكذا.
- السيدة بوركمان : (فى برود) ومتى ستبدأ هذه المجموعة المتميزة
السفر إن كان لى أن أسأل؟
- السيدة ويلتن : سنسافر فى الحال، الليلة، زحافتى المغطاة
تنتظرنا فى الطريق خارج بيت آل هنكل.
- السيدة بوركمان : (تقيسها بنظراتها من الرأس إلى القدم) آها! إذن
فهذا ما كان يقصد بالحفلة؟
- السيدة ويلتن : (مبتسمة) نعم، كنت أنا وإرهارت كل المدعويين
إلى الحفل، ومعنا. فريدا الصغيرة بالطبع.

السيدة بوركمان : وأين هي الآن؟

السيدة ويلتن : إنها فى الزحافة تنتظرنا.

إرهـارت : (فى حيرة مؤلمة) لا شك أنك تفهمين يا أمى، لقد

كنت أود أن أجنبك هذا كله، أنت وغيرك.

السيدة بوركمان : (تنظر إليه فى ألم شديد) أكنت تريد أن ترحل

بعيدًا عنى دون أن تودعنى؟

إرهـارت : نعم، ظننت أن ذلك أفضل، أفضل لنا جميعًا، فقد

حزمتنا أمتعنا واتفقنا على كل شىء، ولكن

بالطبع عندما أرسلت إلى...

(يمد يديه إليها) وداعًا يا أمى.

السيدة بوركمان : (بإشارة اشمزاز) لا تلمسنى!

إرهـارت : (برقة) أهذا رأيك الأخير؟

السيدة بوركمان : (بجفاء) نعم.

إرهـارت : (يستدير عنها) وداعًا أنت إذن يا خالتى أُللا.

أُللا راتثيم : (تضم يديه) وداعًا يا إرهـارت! وعش حياتك...

وكن سعيدًا، سعيدًا كأُساعد ما تستطيع.

إرهـارت : شكرًا يا خالتي. (ينحنى لبوركمان)

وداعا يا أبى. (يهمس للسيدة ويلتن)

هيا بنا نخرج، فكلما أسرعنا كان ذلك أفضل.

السيدة ويلتن : (في همس) نعم، هيا بنا.

السيدة بوركمان : (في بسمة خبيثة) السيدة ويلتن، أظنّين أنك

تصرفت تصرفاً حكيماً إذ تصحبين معك هذه

الفتاة؟

السيدة ويلتن : (تبتسم أيضاً بسمة فيها السخرية والجد)

إن الرجال كثيرو القلق يا سيّدة بوركمان، وكذلك

النساء أيضاً، فعندما ينتهى إرهارت منى،

وانتهى منه، إذ ذاك يكون من الخير لنا كلينا أن

يجد هذا الصديق المسكين شخصاً آخر يعتمد

عليه.

السيدة بوركمان : ولكن أنت؟

السيدة ويلتن : أوه، سأعرف ما أفعل، أوكد لك، وداعاً لكم

جميعاً!

(تنحنى وتخرج من باب الصلاة، بينما يقف

إرهارت فترة، كأنه متردد ثم يستدير ويتبعها)

السيدة بوركمان : (تسقط يديها المطوية) وحيدة بلا ولد.

بوركمان : (كأنما وصل إلى حل بعد تردد طويل) إذن

فلأخرج وحيدًا إلى العاصفة! قبعنى! معطفى!

(يذهب مسرعًا إلى الباب)

أللا راتثيم : (في فزع توقفه) جون جابرييل، إلى أين أنت

ذاهب؟

بوركمان : إلى الخارج، إلى الحياة العاصفة قلت لك، دعيني

أذهب يا أللا!

أللا راتثيم : (تحاول منعه) لا، لا، لن أدعك تخرج! فأنت

مريض، إنى أرى ذلك بوضوح فى وجهك!

بوركمان : دعيني أذهب، قلت لك!

(يخلص نفسه منها ويخرج إلى الصلاة)

أللا راتثيم : (عند الباب) ساعديني فى منعه يا جنهيد!

السيدة بوركمان : (فى صوت بارد حاد وهى تقف فى وسط الحجره)

لن أحاول منع أى واحد فى العالم، دعهم يذهبوا

عنّي... الواحد بعد الآخر؟ كما، كما يحلو لهم.
(ثم فجأة تصيح في صرخة حادة) إرهارت، لا
تتركني!

(تندفع نحو الباب وقد مدت ذراعيها،
فتوقفها أלא رانثيم)

«الستار»

الفصل الرابع

المنظر:

(فضاء مكشوف خارج المبنى الرئيسي الذى يبدو إلى اليمين، وقد صمم ركن منه ليظهر على المسرح فيه باب يصل إليه الإنسان بعدد من الدرجات الحجرية المنخفضة. يمثل المنظر الخلفى وهادئاً منحدرة، فيها أشجار مورقة تبدو قريبة، إلى اليسار خط من الأشجار يمثل حدود الغابة.

العاصفة الثلجية انتهت ولكن الثلوج التى نزلت أخيراً قد تراكمت بكثرة حول المكان، وقد حملت الأغصان المورقة حملاً ثقيلاً من الثلج. الليل مظلم والسحب ثقيلة، وبين فترة وأخرى يطل القمر بضوئه الشاحب، ليس هناك من ضوء إلا ضوء معتم ينعكس من الثلوج، يقف على الدرجات بوركمان والسيدة بوركمان وأللا رانثيم، بوركمان مستنداً على جدار المترل فى تعب وقد ألقى على كتفيه لفاعاً من طراز قديم، وأمسك فى إحدى يديه بقبعة رمادية من اللباد اللين، وأمسك فى اليد الأخرى عصا غليظة ذات

عقد، ألا رانثيم تحمل معطفها على ذراعها، أما
السيدة بوركمان فقد انحدر شالها الكبير على
كتفها كاشفاً عن شعرها).

ألا رانثيم : (تسد الطريق أمام السيدة بوركمان) لا تذهبي
وراءه يا جنهيد!

السيدة بوركمان : (في خوف وحيرة) دعيني أمر قلت، لك! يجب ألا
يرحل بعيداً عنى!

ألا رانثيم : قلت لكِ ألا فائدة مطلقاً! فلن تستطعي اللحاق
به.

السيدة بوركمان : دعيني أذهب يا أللا! سأصيح وراءه في الطريق
بأعلى صوتي، ويجب أن يسمع صياح أمه!

ألا رانثيم : إنه لن يسمعك، تأكدي أنه ركب الزحافة الآن.

السيدة بوركمان : لا، لا، لا يمكن أن يكون قد وصل إلى الزحافة
بعد!

ألا رانثيم : إن أبوابها قد أغلقت عليه منذ فترة طويلة،
صدقيني.

السيدة بوركمان : (في يأس) إن كان في الزحافة فهو إذن معها،
معه... هي!

بوركمان : (يضحك في وجوم)

إذن، فمن المحتمل ألا يسمع صياح أمه.

السيدة بوركمان : كلا، لن يسمعه (تسمع) اسمع! ما هذا؟

ألاراثيم : (تسمع أيضاً) يبدو أنها أجراس زحافة.

السيدة بوركمان : (في صرخة مكتومة) إنها زحافتها!

ألاراثيم : لعلها زحافة أخرى.

السيدة بوركمان : كلا، كلا، إنها زحافة السيدة ويلتن المغطاة! فأنا

أعرف أجراسها الفضية! استمعي! أنهم الآن

يمرون بنا في أسفل التل!

ألاراثيم : (بسرعة) جنهيد، إذا أردت أن تصيحي لسمعك

فهذا هو الوقت الملائم! ربما بعد كل ما حدث!

(تسمع رنات الأجراس في الغابة عن قرب)

أسرعي يا جنهيد! فإنهم الآن تحتنا تماماً!

السيدة بوركمان : (تقف لحظات مترددة، ثم تشتد وتقول في صوت

بارد عنيف) كلا، لن أصيح وراءه، فليذهب

إرهارت بوركمان بعيدا عني، بعيدا جدا، إلى

ذلك الذي يسميه الحياة والسعادة.

(تخفت رنات الأجراس فلا تسمع لبعدها)

ألا راتثيم : (بعد فترة صمت) لم نعد نسمع الآن رنات الأجراس.

السيدة بوركمان : إن صوتها يشبه أجراس الجنازة.

بوركمان : (بضحكة جافة) أوهو.. إنها لا تدق الليلة لى!

السيدة بوركمان : كلا، إنما تدق لى، ولذلك الذى ذهب بعيداً عنى.

ألا راتثيم : (تحنى رأسها مرات مفكرة) من يعلم، لعلها مع كل ذلك رنات الحياة والسعادة له يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : (فى نشاط مفاجئ، تنظر إليها بشدة) أتقولين الحياة والسعادة؟

ألا راتثيم : لوقت قصير على أى حال.

السيدة بوركمان : أتتحملين تركه ليعرف الحياة والسعادة معها؟

ألا راتثيم : (فى حرارة وعاطفة) بالطبع، من كل قلبى وروحى!

السيدة بوركمان : (برود) إذن، فأنت ولاشك أغنى منى فى قوة الحب.

ألا راتثيم : (تنظر بعيداً) لعل الافتقار إلى الحب هو الذى يحفظ له قوته.

السيدة بوركمان : (تثبت عليها نظرها) إن كان الأمر كذلك، فساكون سريعا فى مثل غناك يا أ للا. (تتحول إلى داخل المنزل) هيا يا جون.. يجب أن تدخل أنت أيضا.

ألاراثيم : (تقف بعض الوقت وهى تنظر إلى بوركمان فى انزعاج ثم تضع يدها بحذر على كتفه).

بوركمان : (كأما أيقظته) أنا؟

ألاراثيم : نعم، فهواء الشتاء قاس عليك جدا، وإنى لألاحظ ذلك يا جون، فتعال، تعال معى، إلى داخل البيت، حيث الدفء.

بوركمان : (بغضب) أظنك تريد أن أصعد إلى الصالة الكبرى ثانية.

ألاراثيم : كلا، بل إلى الحجرة التى فى الطابق الأول.

بوركمان : (يشعل غضبه) لن أضع قدمى تحت سقف هذا البيت ثانية!

ألاراثيم : إلى أين تذهب إذن، وقد تأخر الليل واشتد الظلام يا جون؟

بوركمان : (يلبس قبعته) أول كل شيء، سأذهب لأرى كل كنوزى المدفونة.

ألاراثيم : (تنظر إليه بقلق) جون، إني لا أفهمك.

بوركمان : (وهو يضحك والسعال يقطع ضحكه) أوه، لست أعنى سرقات أخفيتها، لا تخافى من ذلك يا أللا. (يسكت ثم يشير بيده) أترين هذا الرجل هناك؟ من هو؟

(يتقدم إلى ركن المتزل ويلهلم فولدول فى لفاع قديم مغطى بالثلوج، وقد تدلت حافة قبعته إلى أسفل، وفى يده مظلة كبيرة، وهو فى تقدمه يتعثر فى الثلوج مجهدا ويعرج بقدمه اليسرى عرجا واضحا).

بوركمان : ويلهلم! ماذا تريد منى ثانية؟

فولدول : (يرفع نظره إليه) يا للسماء، أخرجت إلى درجات المنزل الخارجية يا جون جابرييل؟ (ينحنى) وكذلك السيدة بوركمان كما أرى؟

بوركمان : (باقتضاب) إنها ليست السيدة بوركمان.

فـولـدول : أوه، أرجو المعذرة، فأنت ترى أنني أضللت نظرتي في الثلوج، ولكن كيف حدث؟ أنت، من لم تضع قدمًا خارج البيت...؟

بوركمان : (بغير اهتمام ويمرح) لقد حان الوقت لأخرج ثانية إلى الهواء الطلق، ألا ترى ذلك؟ ما يقرب من ثلاث سنوات في الحجز، وخمس سنوات في السجن، وثمان سنوات في الصالة الكبرى من الطابق العلوى.

أللاراتثيم : (في ضيق) بوركمان، أرجوك.

فـولـدول : آه، نعم، نعم، نعم!

بوركمان : ولكن أريد أن أعرف ما الذى جاء بك إلى هنا؟

فـولـدول : (مازال واقفاً أسفل الدرجات) كنت أريد أن أصعد إليك يا جون جابرييل، أحسست بوجوب حضوري إليك فى الصالة الكبرى، يا إلهى، هذه الصالة الكبرى.

بوركمان : أردت أن تصعد إليّ بعد أن طردتك؟

فـولـدول : أوه، لم يكن من المستطاع أن يقف هذا عقبه فى طريقى.

- بوركمـان : ماذا فعلت برجلك؟ فإني أراك تعرج؟
- فـولدول : نعم، ماذا تظن؟ لقد وقعت تحت إحدى الزحافات.
- أـلـلـاراتـثـيـم : وقعت تحت زحافة.
- فـولدول : نعم، زحافة مغطاة.
- بوركمـان : أو هو!
- فـولدول : يجرها حصانان، كانا ينزلان التل في سرعة كبيرة، فلم أستطع الابتعاد عن طريقها بسرعة كافية، وهكذا...
- أـلـلـاراتـثـيـم : وهكذا وقعت تحتها؟
- فـولدول : لقد نزلت من التل ومر علىّ يا سيدتى... أو أنستى، لقد مرت علىّ تمامًا ودفعتنى لأتدحرج وأتدحرج فوق الثلوج.. وهكذا ضاعت منى نظارتى وكسرت مظلتى. (بدلك ساقه) كما أصيب رسغى أيضًا إصابة بسيطة.
- بوركمـان : (يخفى ضحكه) أتعرف من كان فى هذه الزحافة... يا ولهم؟

فولدول : كلا، وكيف أستطيع رؤية من بداخلها وهي مغطاة وستائرهما مسدلة؟ كما أن السائق لم يقف ولو للحظة واحدة بعد أن تركني أتدحرج فوق الثلوج. ولكن لا أهمية لذلك مطلقاً لأنى... (في ثورة) أوه، إنى سعيد جداً، سعيد جداً!

بوركمان : سعيد؟

فولدول : حسن، لست أدري كيف أسمى حالتى هذه بالضبط، ولكنى أعتقد أن أقرب كلمة معبرة هي كلمة سعيد، لأن أمراً رائعاً قد حدث! وهذا هو السبب الذى دفعنى... واضطرنى إلى الحضور إليك يا جون جابرييل لتقاسمنى سعادتى.

بوركمان : (في صوت خشن) حسن، قاسمنى إذن!

ألاراثيم : أوه، ولكن ادخل مع صديقك أولاً إلى المنزل يا بوركمان.

بوركمان : (بعنف) قلت لك إنى لن أدخل إلى المنزل.

ألاراثيم : ولكن، ألم تسمعه يقول إن الزحافة مرت فوقه؟!

بوركمان : أوه، إن كلاً منا قد داسته الحياة بطريقة

أو بأخرى، المهم أن ينهض الإنسان مسرعاً مرة أخرى دون أن يرى أحد أنه أصيب.

فولدول : هذا قول عميق يا جون جابرييل، ولكنى أستطيع بسهولة أن أقص عليك قصتي هنا فى كلمات قليلة.

بوركمـان : (فى صوت أكثر لطفًا) نعم، أرجوك أن تقصها على يا ولهم.

فولدول : حسن، الآن ستسمع! تصور أنى عندما عدت إلى البيت بعد أن تركتك هذا المساء، وجدت خطابًا فى انتظارى، أيمكنك معرفة الراسل؟

بوركمـان : لعله من ابنتك الصغيرة فريدا؟

فولدول : بالضبط! تصور أنك عرفت ذلك فى الحال! نعم، كانت رسالة طويلة، رسالة طويلة جميلة من فريدا، وقد أحضرها أحد الخدم، ولكن هل يمكنك أن تتصور ماذا فيها؟

بوركمـان : لعلها أرسلت تودعكما أنت وأمها؟

فولدول : تمامًا! إنك بارع فى التخمين يا جون جابرييل، نعم، لقد أخبرتنى أن السيدة ويلتن تميل إليها، وأنها ستصحبها معها إلى الخارج لتتعلم الموسيقى، وقد استأجرت السيدة ويلتن مدرسًا

ممتازاً ليصحبهما في الرحلة، وليقوم بتعليم فريداً أيضاً، فإنها لسوء الحظ أهمل تعليمها في بعض المواد. أرايت؟

بوركمـان : (يهتز وهو يضحك خفية) بالطبع، إن الأمر في غاية الوضوح يا ولهم.

فـولدول : (مستمراً في حماسة) يكفي أن تتصور أنها لم تعرف بأمر السفر إلا الليلة، وهي في تلك الحفلة التي تعرفها، هم! ومع ذلك وجدت الوقت الكافي لتكتب لي، وكانت الرسالة جميلة، فيها حرارة وعاطفة أوكد لك، فليس فيها أى أثر للاستخفاف بأبيها، ثم ما أطفها فكرة أن ترسل إلينا خطاباً تودعنا فيه... قبل رحيلها. (يضحك) ولكنى بالطبع لن أتركها ترحل هكذا.

بوركمـان : (ينظر إليه في تساؤل) كيف؟

فـولدول : لقد أخبرتني أنهم سييكررون بالرحيل غداً صباحاً، في وقت مبكر جداً.

بوركمـان : أوه، حقاً؟ غداً؟ أخبرتك هي بذلك؟

فـولـدول : (يضحك وهو يدلك يديه) نعم، ولكنى أكثر حيلة مما تظننى، ألا تعلم ذلك؟ فأنا ذاهب مباشرة إلى منزل السيدة ويلتن.

بوركمـان : هذا المساء؟

فـولـدول : أوه، ولكن الليل لم يتقدم كثيرًا، وحتى لو وجدت المنزل مغلقًا فسأدق الجرس دون تردد، لأننى يجب أن أرى فريدا قبل سفرها، وسأراها، مساء الخير، مساء الخير! (يهم بالذهاب).

بوركمـان : قف لحظة يا صديقى المسكين ولهم، وفر على نفسك مشكلة هذا الطريق المتعب.

فـولـدول : أوه، لعلك تفكر فى رسغى.

بوركمـان : نعم، ثم على أى حال لن تذهب إلى منزل السيدة ويلتن.

فـولـدول : بل سأذهب حقيقةً، سأدق الجرس وسأقرع الباب بيدي حتى يفتحوا لى ويدخلونى، لأننى يجب أن أرى فريدا، وسأراها.

ألـارـاثـيـم : لقد سافرت ابنتك فعلا يا مستر فولدول.

فـولـدول : (في ذهول) أسافرت فريدا فعلا؟ أنت واثقة؟ من أخبرك؟

بوركمان : عرفنا ذلك من مدرستها المقبل.

فـولـدول : حقا؟ ومن هو؟

بوركمان : شخص يدعى مستر إرهارت بوركمان.

فـولـدول : (يشرق محياه بالفرح) ابنك يا جون جابرييل! أهو مسافر معهما؟

بوركمان : نعم، إنه هو الذى سيساعد السيدة ويلتن فى تعليم فريدا الصغيرة.

فـولـدول : أوه، تعالى الله! إن فالطفلة فى أيد أمينة. ولكن، أنت واثق من أنهما سافرا معها فعلا؟

بوركمان : لقد كانت معهما فى تلك المحفة التى وقعت تحتها فى الطريق.

فـولـدول : (يصفق) تصور أن ابنتى فريدا الصغيرة كانت فى هذه الزحافة الفخمة!؟

بوركمان : (يخنى رأسه مرات) نعم، نعم، يا ولهلم، كانت ابنتك فى زحافتها وكذلك كان السيد إرهارت، خبرنى، ألاحظت الأجراس الفضية؟

فولدول : نعم، حقًا. أقلت إنها أجراس فضية؟ أكانت من الفضة؟ أكانت أجراس من الفضة الحقيقية الخالصة؟

بوركمان : كن متأكدًا من ذلك، كان كل شيء حقيقيًا... فى الخارج والداخل.

فولدول : (فى قوة هادئة) أليس غريبًا أن الحظ قد يصفى الإنسان فى بعض الأوقات؟ إن موهبتى، موهبتى الغنائية الضئيلة قد تحولت فى ابنتى إلى موسيقى. إذن، فلم يكن عبئًا على أى حال أننى ولدت شاعرا، فها هى ذى تتطلق إلى الدنيا العظيمة الواسعة، الدنيا التى كنت أصبو من كل قلبى إلى رؤيتها، لقد بدأت فريدا الصغيرة رحلتها فى زحافة مغطاة رائعة ذات أجراس فضية معلقة فى أعناق الخيل.

بوركمان : وقد داست على أبيها!

فولدول : (مسرورا) أوه، يوه، وماذا يهمنى من ذلك ما دامت ابنتى أحسن؟ لا شك أننى تأخرت على الرغم من كل ذلك، يجب أن أعود إلى البيت لأطمئن أمها فقد تركتها تبكى فى المطبخ.

بوركمـان : تبكى؟

فـولدول : (يبتسم)، أتصدق ذلك؟ لقد كانت تبكى وأنا خارج بكاء مرًا.

بوركمـان : وأنت تضحك ياولهلم؟

فـولدول : نعم، إنى أضحك بالطبع، ولكنها، هذه المسكينة لا تعرف ما هو خير من ذلك. هل فهمت؟ حسن، إلى اللقاء من حسن الحظ أن الترام قريب، إلى اللقاء، إلى اللقاء يا جون جابرييل، إلى اللقاء يا سيدتى.

(ينحنى ثم يعود وهو يعرج فى مشقة من

الطريق الذى جاء منه)

بوركمـان : (يقف برهة صامتًا وهو يحقد أمامه) إلى اللقاء ياولهلم! فليست هذه المرة الأولى فى حياتك التى تداس فيها يا صديقى القديم.

ألـاراتثيم : (تنظر إليه فى جزع مكتوم) إن لونك شاحب يا جون، شاحب جدا.

بوركمـان : هذا تأثير الهواء المكتوم فى الطابق العلوى.

ألـاراتثيم : لم أرك من قبل فى مثل هذه الحالة.

فـولـدول : نعم، فأظنك لم ترى من قبل مسجونًا هاربًا.
ألـارـانـثـيـم : أوه، أرجوك أن تدخل معي إلى المنزل يا جون!
فـولـدول : لا فائدة من محاولة إغرائى على الدخول، لقد
أخبرتكَ.

ألـارـانـثـيـم : ولكن إذا رجوتك وتوسلت إليك؟ من أجلك
أنت... (تفتح الخادم الباب وتقف عنده).

الـخـادم : أرجو المعذرة، ولكن السيدة بوركمان طلبت منى
أن أغلق الباب الخارجى الآن.

بـورـكـمـان : (مخاطبا ألالا فى صوت خافت) أرايت؟ إنهم
يريدون حبسى فى الطابق العلوى ثانية!

ألـارـانـثـيـم : (للخادم) ليس السيد بوركمان فى حالة حسنة،
فهو فى حاجة إلى بعض الهواء النقى قبل
الدخول.

الـخـادم : ولكن السيدة بوركمان أخبرتنى.

ألـارـانـثـيـم : سأغلق أنا الباب، فقط دعى لى المفتاح فى القفل.

الـخـادم : أوه، حسن جدا، سأتركه. (تدخل ثانية إلى
المنزل).

بـورـكـمـان : (يقف لحظة صامتا وهو يتسمع، ثم ينزل الدرج
مسرعا ويخرج إلى الفناء المتسع) الآن، أصبحت

خارج الجدران يا ألبا! الآن لن يستطيعوا
الإمساك بى ثانية أبدا!

ألباراتثيم : (اللى نزلت إليه) ولكنك رجل حر هناك أيضا يا
جون، تستطيع أن تخرج وتدخل كما تشاء.

بوركمـن : (فى همس وكأنه فزع) أبدا لن يظلمنى سقف بعد
اليوم! ما أطيب وجودى هنا فى الخارج فى
الليل، لو أنى صعدت إلى القاعة الآن؛ فإن
السقف والجدران ستتطبق علىّ وتسحقنى،
تسحقنى كالذبابة سحقاً تاماً.

ألباراتثيم : ولكن إلى أين أنت ذاهب إذن؟

بوركمـن : لا شىء إلا أنى سأتقدم وأتقدم وأتقدم، وسأحاول
إن لم أستطع أن أشق طريقى ثانية إلى الحرية،
والحياة، والمجتمع الإنسانى. أتأتين معى يا ألبا؟

ألباراتثيم : أنا؟ الآن؟

بوركمـن : نعم، فى الحال!

ألباراتثيم : ولكن إلى أين؟

بوركمـن : إلى أبعد ما أستطيع.

أللاراثيم : أوه، ولكن فكر فيما تفعله! كيف تخرج فى ليل

الشتاء الرطب البارد هذا؟

بوركمان : (فى صوت كثير الحشونة) أوهو، أتقلق سيدتى

كثيرا من أجل صحتها؟ نعم، نعم؛ فأنا أعلم كم

هى رقيقة.

أللاراثيم : بل أنا قلقة من أجل صحتك أنت.

بوركمان : هو هو هو! صحة رجل ميت! أنا لا أستطيع أن

أمنع نفسى من الضحك عليك يا أللا! (يتحرك إلى

الخارج).

أللاراثيم : (تتبعه وتمسك به لئلا تمنعه من التقدم) ماذا قلت عن

نفسك؟

بوركمان : رجل ميت، هذا ما قلته، ألا تذكرين أن جنهيد

طلبت منى أن أرقد هادئا فى مكانى؟

أللاراثيم : (فى تصميم تضم المعطف إلى جسدها) سأذهب

معك يا جون.

بوركمان : نعم، فإننا يخص أحدنا الآخر يا أللا، (يتقدم) هيا

إذن!

(يتقدمان تدريجيًا حتى يخترقا الغابة المنخفضة التي إلى اليسار، فتخفيهما شيئًا فشيئًا حتى لا يظهر منهما شيء. يختفي المتزل والفضاء المتسع أمامه، المكان المكون من الوهاد المنحدرة وخطوط الأشجار يتغير ببطء ليصبح أكثر تيهًا ووحشة).

صوت (يسمع من الغابة التي إلى اليمين).

ألاراتيم : إلى أين نذهب يا جون؟ فأنا لا أذكر هذا المكان.

صوت : (أعلى من صوتها).

بوركمان : يكفي أن تقتفى آثار أقدامى على الثلج!

صوت

ألاراتيم : ولكن ما الحاجة إلى أن تتسلق عاليًا هكذا؟

صوت

بوركمان : (قريبًا) يجب أن نصعد هذا الطريق المنحني.

ألاراتيم : (ما زالت محتفية) أوه، ولكننى لا أستطيع أن أتقدم

أكثر من ذلك.

بوركمان : (على حافة الغابة إلى اليمين) هيا، هيا! فلسنا

بعيدين الآن عن المنظر، كان يوجد هنا دائمًا

مقعد.

ألاراثيم : (تظهر بين الأشجار) أتتذكرة؟

بوركمان : يمكنك الراحة هنا

(يطلعان على قمة من سهل مرتفع في الغابة، وقد ارتفع خلفهما جبل فجأة، إلى اليسار في مكان منخفض جدا متسع حول خليج حوله شعاب "فيورد"، فيه صفوف عالية من الأشجار يعلو بعضها بعضاً، إلى اليسار فوق السهل المرتفع شجرة ميتة وتحتها مقعد. الثلوج متراكمة فوق السهل، يدخل من اليمين بوركمان تتبعه ألاراثيم، وهما يخوضان الثلوج بصعوبة)

بوركمان : (يقف على حافة منحدر شديد الانحدار إلى اليسار) تعالی هنا يا ألأ، وسترين.

ألاراثيم : (تصعد إليه) ماذا تريد أن ترينى يا جون؟

بوركمان : (يشير إلى الخارج) ألا ترين كيف ترقد البلاد أمامنا حرة متفتحة... هناك إلى أقصى الأفق؟

ألاراثيم : طالما جلسنا على هذا المقعد من قبل، ونظرنا إلى مسافة أبعد كثيرا كثيرا.

بوركمان : إنها أرض الأحلام التي كنا ننظر إليها إذ ذاك.

ألاراثيم : (تحنى رأسها مراراً في بطاء) نعم، كانت أرض الأحلام فى حياتنا، ولكن هذه الأرض الآن قد دفنت تحت الثلوج وماتت الشجرة العجوز.

بوركمان : (غير مستمع إليها) أتستطيعين رؤية دخان المركب البخارية الكبيرة هناك خارج الخليج؟

ألاراثيم : كلا.

بوركمان : أما أنا فأستطيع، إن السفن تذهب وتجىء لتتسج شبكة من الصداقة بين جميع أنحاء العالم، وتسكب النور والحرارة فى نفوس رجال فى آلاف كثيرة من البيوت، وهذا ما كنت أحلم بأن أعمله.

ألاراثيم : (فى نعومة) وقد ظل ذلك حلماً.

بوركمان : نعم، ظل حلماً (يتسمع) ولكن استمعى يا عزيزتى، هناك عند النهر! إن المصانع تدور! مصانعى! كل هذه المصانع التى كان من المفروض أن أنشئها من عدم! اسمعى! ألا تسمعين دويها؟ لقد بدأت نوبة الليل... هم يعملون إذن ليلاً ونهاراً. اسمعى! اسمعى، إن

العجلات تدور بسرعة والسيور تومض وهى

تدور، وتدور. وتدور، ألا تسمعينها يا ألاً؟

ألاراثيم : لا أسمعها.

بوركمان : أنا أستطيع سماعها!

ألاراثيم : (بقلق) أظنك تغالط نفسك يا جون.

بوركمان : (يزداد فى الاستفهام شيئاً فشيئاً) ولكن كل هذه...

إنها ليست إلا الاستحكامات حول المملكة،

صدقينى!

ألاراثيم : أقلت المملكة، أى مملكة؟

بوركمان : مملكتى بالطبع! المملكة التى كنت على وشك

غزوها عندما، عندما مت.

ألاراثيم : (مصدومة، فى صوت خافت) أوه، جون، جون!

بوركمان : أما الآن فإنها ملقاة، دون دفاع، ودون سيد...

معرضة لكل اللصوص وقطاع الطرق. ألا ترين

يا ألاً سلسلة الجبال... هناك بعيداً؟ إنها تسمو

إلى العلا وترتفع كالأبراج بعضها خلف بعض!

هذه هى مملكتى الواسعة، مملكتى الدائمة

السرمدية!

ألاراثيم : أوه، ولكن عاصفة ثلجية تهب من ناحية هذه
المملكة يا جون!

بوركمان : هذه العاصفة، هي في نظري، أنفاس الحياة، هذه
العاصفة تقبل نحوى وكأنها تحية من أرواح
رعاياي، إذ يبدو أنني أثرت فيها، هذه الملايين
السجينة، إنى أستطيع أن أرى عروقها المعدنية
وهي تمد لي أذرعها الدوارة المتشعبة المغربية،
لقد رأيتها من قبل تقف أمام عيني وكأنها أشباح
حية، في تلك الليلة التي وقفت فيها في الخزانة
وشمعة في يدي، لقد توصلت إليّ أن أحرك،
وقد حاولت أن أهبك الحرية، ولكن قوتي خانتني
وغرق الكنز ثانية في الأعماق.

(يمد يديه) ولكنى سأهمس لك هنا في هدأة الليل،
إننى أحبك أنت يا من ترقدين مسحورة فى
الأعماق بين الظلام، إنى أحبك أيتها الكنوز التي
لم تولد بعد، والتي تتوق إلى النور! إنى أحبك
بكل ما يلعب حولك من قوة وعظمة، إنى أحبك،
أحبك، أحبك!

أللاراتثيم : (فى اضطراب يتزايد وتحاول كبتة) نعم، إن حبك ما زال هناك يا جون، إن جذوره دائماً كانت هناك، ولكن هنا، فى ضوء النهار، كان هنا قلب إنسانى حى ممتلئ بالحرارة يتأجج ويخفق من أجلك، وقد سحقت هذا القلب. أوه، بل أسوأ من هذا! أسوأ عشر مرات! لقد بعته فى سبيل، فى سبيل...

بوركمان : (يرتجف وكان رعشة باردة تسرى فى جسده) فى سبيل المملكة... والقوة، والقوة... والمجد... أهذا ما تعنيه؟

أللاراتثيم : نعم، هذا ما أعنيه، لقد قلت ذلك مرة هذه الليلة، قلت إنك قتلت حب الحياة فى المرأة التى أحبتك والتى أحبيتها بدورك على قدر ما تستطيع أن تحب. (ترفع ذراعها) وإذ ذاك تنبأت لك يا جون جابرييل بوركمان، بأنك لن تلمس الجائزة التى كنت ستنالها مقابل هذا القتل، ولن تدخل مملكتك المظلمة الباردة منتصراً.

بوركمان : (يتجه إلى المقعد مترنحا ثم يرتقى عليه جالسا) كنت أخاف ودائما أن تصح نبوءتك يا أللا.

ألاراتثيم : (تذهب إليه) يجب ألا تخاف من ذلك يا جون، فهذا خير ما يمكن أن يحدث لك.

بوركمان : (يصرخ وهو يقبض على صدره) آه...! (يضعف) لقد عادت ثانية.

ألاراتثيم : (تمزه) ما هي يا جون؟

بوركمان : (يهوى إلى مسند المقعد الخلفي) إنها يد من الثلج تقبض على قلبي.

ألاراتثيم : جون أحسست باليد الثلجية ثانية؟

بوركمان : (يتمتم) لا ، ليست يدًا ثلجية، إنما هي يد معدنية. (يغوص في المقعد).

ألاراتثيم : (تنزع معطفها وترميه فوقه) استلق هادئا حيث أنت، سأذهب لأعود بنجدة لتساعدك.

(تسير خطوة أو خطوتين إلى اليمين ثم تقف وتعود لتجس نبضه وتلمس وجهه بعناية).

ألاراتثيم : (في نعومة وعزم) كلا، هذا أفضل يا جون بوركمان، هذا خير لك.

(تلفه بالثوب بعناية ثم تسقط على الثلج)
أمام المقعد. فترة صمت قصيرة.

تدخل السيدة بوركمان من الغابة إلى
اليمين وقد غطت جسمها بوشاح، وأمامها تسير
الخادم حاملة المصباح)

الخادم : (تلقى الضوء على الثلج) نعم يا سيدي، هذه
آثارهم هنا.

السيدة بوركمان : (تنظر حولها) نعم، هاهما! إنهما يجلسان هناك
على المقعد (تنادى) ألاً!

ألاراثيم : (تنهض) أتبحثين عنا؟

السيدة بوركمان : (بعزم)، نعم، أنت ترين أنني أبحث عنكما.

ألاراثيم : (تشير) انظري، إنه راقد هناك يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : نائم؟

ألاراثيم : أظنه نومًا طويلًا عميقًا.

السيدة بوركمان : (في غضب) ألاً! (تتمالك نفسها وتساءل في

صوت منخفض) أهو الذى فعل ذلك... بنفسه؟

ألاراثيم : كلا.

السيدة بوركمان : (في راحة) ليس بيده إذن؟

ألاراثيم : كلا، إنها يد معدنية ثلجية التى قبضت على قلبه.
السيدة بوركمان : اذهبى فى طلب النجدة، أحضرى الرجال من
المزرعة.

الخادم : نعم، سأفعل يا سيدتى. (لنفسها) يرحمنا الله!
(تخرج خلال الغابة من اليمين).

السيدة بوركمان : (تقف خلف المقعد) إذن فقد قتله هواء الليل.
ألاراثيم : يبدو هذا.

السيدة بوركمان : على الرغم مما كان عليه من القوة؟

ألاراثيم : (تتقدم إلى مقدمة المقعد) ألن تنظرى إليه يا
جنهيد؟

السيدة بوركمان : (فى حركة اشمئزاز) أبداً، أبداً! أبداً.

(تحفض من صوتها) كان جون جابرييل بوركمان
ابن أحد عمال المناجم، فما كان يستطيع أن
يعيش فى الهواء الطلق.

ألاراثيم : بل إن البرودة هى التى قتلته.

السيدة بوركمان : (هز رأسها نفيًا) أتقولين البرودة؟ البرودة؟ لقد
قتلته من زمن بعيد.

ألا رانثيم : (تحى رأسها موافقة) نعم، وحولتنا نحن الاثنيين إلى خياليين.

السيدة بوركمان : إنك على حق فى ذلك.

ألا رانثيم : (فى بسمة مليئة بالألم) رجل ميت وخيالان... هذا ما فعلته البرودة بنا.

السيدة بوركمان : نعم برودة القلب، وإنى لأظن أن الواجب علينا الآن أن تمد كلُّ منا يدها للأخرى يا أُللا.

ألا رانثيم : أظن أننا نستطيع الآن.

السيدة بوركمان : نحن التوأمتان، نجتمع فوق جثة من أحببنا.

ألا رانثيم : نحن الخيالان، فوق جثة الرجل الميت.

(السيدة بوركمان خلف المقعد وألا رانثيم

أمام المقعد تتصافحان)

«انتهت»

الإشراف اللغوى: حسام عبد العزيز

الإشراف الفنى: حسن كامل



مختارات
من

إيسن

لايسن مكان كبير في تاريخ المسرح، إذ إنه من أساتذة الصنعة المسرحية، ومعلم من معالم تطور المفهوم المسرحي كان المسرح قبله بعيدا عن مشاكل المجتمع الحقيقية خاضعا في بنائه لمواصفات أرسطو المعلم الأول، وكانت المسرحيات تتراوح بين الإلتقان المحكم والفتور البارد مثل مسرحيات سكريب وساردو الكاتبين الفرنسيين اللذين راجت مسرحياتهما وطوفت عبر القارة الأوروبية في ذلك الزمان حتى كتب إيسن مسرحياته فعبّر عن مفهوم جديد للمسرح، وربطه بالحياة الدائرة واختار شخصياته من غمار الناس وناقش قيم المجتمع وأهدافه.

وقد تأثر بإيسن عدد كبير من كتاب المسرح الذين وفدوا بعده وخاصة الكاتب المسرحي العظيم وأحد موجهي هذا العصر جورج برنارد شو. كانت حماسة برنارد شو لإيسن لا تقل عن حماسه لجميع الأفكار الجديدة، التي عاش حياته من أجلها ومنه عرف شو أن سر المسرح الجيد هو أن يختار الكاتب المسرحي نماذجه من غمار الناس وأن يكون عينا يقظة تتتبع ملامح عصره، وعقلا نافذا يلقى فيها الرأي والتوجيه.